(TLEMCEN) 91/2 -796

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

فرع الفنون الشعبية

سجل تحت رقم 1814
بتاريخ
الرقم 31 ماي 2008

15 DEC 2010
AR. 16.

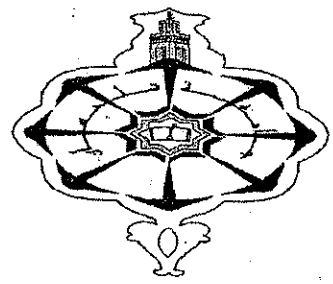

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير

دراسة فنية أثرية لجامعي : الأعظم(الباشا) و الباي بوهران

من إعداد الطالب:
خرواع توفيق

تحت إشراف:
الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات

لجنة المناقشة

* الأستاذ الدكتور شايف عكاشة	رئيساً	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
* الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات	مشرفاً	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
* الدكتور معروف بلحاج	مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
* الدكتور الغوتي بسنوسي	مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
* الدكتور عبد الحق زريوح	مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان

السنة الجامعية : 2007– 2008

بـــــــــــــسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ

وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى

الزَّكٰوةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى

أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينْ"

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

****

- إلـى روح أمّي الطّاهرة التي تركتني في أعزّ حاجتي إليها .
- إلـى روح شيخي الطاهرة الذي اتّخذناه منهاجا ودربا في مسيرة حياتنا.
- إلـى والدي أطال الله عمره الذي كان الدّرب الذي سرت و ما زلت أسير عليه .
- إلـى زوجتي التي أحيّ فيها صبرها على الظّروف الإستثنائيّة التي كانت تعيش فيها بسبب انشغالي لمدّة فاقت السّنتين في إعداد هذا البحث .
- إلـى زينة الحياة الدّنيا إبني أحمد.
- إلـى إخوتي و زوجة أبي ، وكلّ عائلة زوجتي .

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل

توفيـــــــق

كلمة شكر و تقدير

****

أوّلاً أحمد الله الذي وهبني الصّحة و العافية على إتمام هذا البحث ، ثمّ أتوجّه بجزيل الشّكر والإمتنان لمشرفي عليه **الأستاذ الدّكتور عبد الحميد حاجيات** الذي لم يبخل عليّ بنصائحه القيّمة و إرشاداته الجليلة التي مكّنتني من الوصول بهذا البحث إلى الصورة التي هو عليها .

كما أشكر **الأستاذ بن ديدة مختار** رئيس قسم الفلسفة بجامعة سيدي بلعباس الذي تتبع معي مراحل إنجاز هذا البحث خطوة خطوة دون الكلل و الملل في توجيه مساره ، وإلى **الأستاذنا الكريم : مخلوف سيد أحمد** على نصائحه و إرشاداته التي كانت لي ملاذا في توجيه مسار البحث ، كما أتوجّه بخالص الشّكر لكلّ أساتذة قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان على تلقيني المبادئ الأساسية للبحث العلمي و أخصّ بالذّكر : **أ.د : السعيدي محمد – د: معروف بلحاج – د: مقنونيف شعيب – د: أوشاطر مصطفى .**

دون أن ننسى الصدّيق المخلص ورّفيق المعين **الأستاذ بن عراج عمر** من قسم الفلسفة بجامعة سيدي بلعباس ، كذلك لكل زملائي في الدّفعة بقسم الثقافة الشعبية .

وفي الأخير ، لا يسعني إلاّ أن أثّمن المساعدات التي قدّمها لي إخواني من مختلف مكتبات الوطن ، وخاصّة :

- مكتبة قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان .
- المكتبة المركزية لجامعة وهران .
- مكتبة متحف زبانة بوهران و على رأسها **الأستاذ بن عمر محمد.**
- مركز البحث العلمي بجامعة وهران (كريديش) وعلى رأسها **د. نجاح مبارك** .
- مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية وهران .
- مكتبة معهد علم الآثار بجامعة الجزائر وعلى رأسها مدير المعهد **أ.د. حملاوي علي** .

وكلّ من قدّم لي مساعدة مهما كان نوعها من قريب أو بعيد .

توفيـــــــق

المقدمـــة

حين أشرقت الأرض بنور الإسلام ودخل النّاس فيها أفواجاً و عَلَت كلمة التّوحيد في مختلف الأقطار و الأمصار التي أظلّها الإسلام ، وقف التّاريخ يُسجّل لهذا الدّين الجديد أروع انتصار عرفته البشرية في مجال البحث الروحي والعمل على إيقاظ الضّمير الإنساني وشحنه بقوى الخير وفوازع الفضل والإحسان .

لقد عرف الإسلام واقع الحياة فشرّع لها من التّنظيم و الأحكام ما يحفظ بقائها ويُشيع الأمـــن و السّلام في أرجائها و يضمن للإنسانية حياة تفيض فيها عوارف الودّ و الإيخاء .

ولعلّ و أبرز مظهرٍ من مظاهر الإجتماع و أكثره أثراً و أعظمه شأناً في دعم المجتمع الإسلامي وتماسكه صلاة الجماعة التي كان من شأنها هذه الإجتماعات المتكرّرة مع الصّلوات الخمس كلّ يوم ، لا يكاد ينقضي أحدها حتّى يقوم الآخر ، والتي كان من شأنها أن أوحت إقامة المساجد و إعداداً يُلائم هذه الفريضة المكتوبة ويتّسع لما يجري في حياة الجماعات من ألوان الخير أو الشرّ على السّواء ، لهذا كان المسجد أوّل عملٍ إتّجه إليه الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّـــم عندما هاجر إلى المدينة حيث بنى مسجده بقباء ، وعلى هذه السُّنّة الكريمة جرى المسلمون يُتابعون الرّسول الكريم في إقامة المساجد حيث كان الإسلام مُجتمعاً في كل بلد و في أي مكان من ديار الإسلام .

وأصبح المسجد هو المركز الذي تدور حوله الحياة الدينية و الإجتماعية و الإقتصادية و الفكرية ، والمُلاحظ في المساجد الجامعة التي كانت محوراً في المدن أنّها كانت أكبرَ مساحةً و أكثرَ شهرةً و أبعد أثراً في مُختلف ميادين الحياة ، كما أضحت من أهم معالم المدينة الإسلامية التي يُضفي عليها صفة المدَنيّة .

وجديرٌ بالذّكر أن تشييد الجوامع الضّخمة لم يظهر لدى حكّام المسلمين إلاّ بعد أن انتقلت الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق سنة 661م/41هـــ على **يد معاوية بن أبي سفيان** مُؤسّس الدولة الأموية الذي بنى مساجد لا تقلّ ضخامةً عن الكنائس المسيحيّة ، وانتشرت في عهده حركةُ بناءٍ واسعةٍ و استقدم العمال و الفنّانين من مُختلف أنحاء الدّولة ، و ساعد المعلّمون من السّوريين و الرّوم والفرس في تطبيق أصول الزّخرفة و تطويرها عن المنظر الشّرقي .

وحين انتشر الدّين الإسلامي إلى كافة أنحاء العالم شرقاً و غرباً ، آل الأمر إلى كثرة المساجد فيها ، وغدت المساجد بُيوت الله كما حثّ القرآن الكريم المسلمين عليها و على عمرانها. وبعد ذلك تحدّدت عمارة المسجد أو طُرزه المعمارية وفقاً لروح هذه العقيدة الطّاهرة ، ففريضة الصّلاة تكون بوُجود قبلة أو محراب أو غيرها ، يقول الله تعالى : « **قد نرى تقلُّب وجهكَ في السَّماءِ فلنُولّينّكَ قبلةً ترضاها فولّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ وحيث ما كنتم فولُّوا وُجوهكم شطره وإنّ الذين أوتوا الكتٰب ليعلمون أنّه الحقُّ من ربّهم و ما اللهُ بغافلٍ عمّا يعملون** » سورة البقرة الآية (144) ، أو وُجود أعمدة وقواعد و تيجان و أقواس يعتمد عليها السّقف ، ومن مكان يُؤذّن فيه للصّلاة ومن منبر يتعالى فوقه الخطيب ، فأثّر ذلك على هذا الطّراز .

ومنذ أن ظهر المسجد أخذ الفنّ المعماري الإسلامي وفنّ الزّخرفة الإسلامية طريقها إلى النّمو و الإزدهار ، وتفاوتت بعدها المساجد بحسب تفاوت نوع البناء و مواده وطرز زخرفته . وفي بلاد المغرب العربي كان عقبة بن نافع فاتح الغرب الإسلامي هو صاحب الفضل في بناء أوّل مسجدٍ فيه و هو مسجد **القيروان سنة 61 هـ** ، ومن ثمّ بدأ ميلاد المساجد الأثرية في المغرب الإسلامي بميلاد الدّول و المماليك إلى أن دخلها المسلمون العُثمانيون في القرن السادس عشر الميلادي ، وأصبغوا عليها طابعهم الأناضولي العريق .

إنّ مدينة **وهران** ومنذ زمن موغلٍ في القدم تحتلُّ موقعاً جغرافياً هامّاً بفتحها تجارياً و حضارياً ، وإبتداءاً من القرن الثالث الهجري أي بعد دخول الإسلام إليها تطورت بها المسالك التجارية الأوروبية المّارة من وهران والرّابطة بين الصّحراء جنوباً ، والتلّ شمالاً من جهة ، وبين الشّرق و الغرب من جهة ثانية .

وقد نتج عن هذا التّبادل التّجاري ترسيخ قواعد الإسلام و ازدهار المراكز العمرانية بها ، واشتهرت في المنطقة بعض الأضرحة و المساجد و زوايا التّعليم الديني و التّصوف ، من ذلك ضريح الشيخ سيدي الهواري و سيدي الحسني و جامع الباشا و مسجد الباي محمد الكبير .

هـــذا ولقد شرّفني أستاذي ومشرفي الكريم **الأستاذ الدّكتور عبد الحميد حاجيات** بدراسة أثرية حول مسجدين يُعتبران من أهمّ المساجد العثمانية في مدينة وهران ، فأخذته بغبطة وتعطّش ، خاصّة و أنّ هذه الإثارات تحمل عدّة معاني منها أنّها بُنيت في ظروف المقاومة و الجهاد و الإستعداد للهيمنة على كلّ الغرب الجزائري و القضاء على المُتمرّدين مثل مغراوة و أولاد نايل و الجنوب الصّحراوي الجزائري و إخضاع الجميع للسّلطة الجزائرية في ظلّ الخلافة العُثمانية ، وأهمّ شُغل شَغل الجزائر في هذه الفترة هو تحرير وهران من الغزو الإسباني .

وممّا زادني شرفاً هو أنّ هذا الموضوع لم يُدرس من قبل دراسةً أثريةً سواء قبل الإستقلال الوطني أو بعده ، اللّهم إلاّ الدّراسات السّطحية التي سبقتني ، والتي كان معظمها عبارةً عن قصائد شعرية ، أو دراساتٍ إستشراقيةٍ غربية مرّت على هذا الموضوع مرور الكرام .ولسدّ هذا النّقص و الفراغ في هذا المجال قرّرت مُعالجة موضوع **دراسة فنّية أثرية لجامعي الأعظم (الباشا) و الباي بوهران** في شقّها الدّيني و اتّخذته عنواناً لرسالة الماجستير .

إنّ هدفنا من هذه الرّسالة هو إبراز بقدر الإمكان القيمة التاريخية و المعمارية الفنّية للمساجد الأثرية بمدينة وهران متّخذين في ذلك نموذجين من مساجد المدينة العتيقة هما جامع الباشا و مسجد الباي محمد الكبير ، مبرزين كذلك الأثر البارز الذي تركته عمارتهما الدينية التركية في الطّابع المحلّي للمنطقة .

كلّ هذا قد وُجد رغم المشاكل التي إعترضتنا و المُتمثّلة خاصّةً في ندرة المصادر و المراجع المعالجة لموضوع العمارة الإسلامية بالمنطقة ، الشيء الذي أرغمني أن أزور عدداً كبيراً من مكتبات الوطن ، كذلك بعد المسافة بين هذه المساجد و مقرّ إقامتي و جامعتي الأصلية هو الآخر كان عائقاً في مسيرة بحثي ، ولكنّ ذلك لم يُثبّط شيئاً من عزيمتي و قرّرت أن أسير قُدما لإخراج هاذين المعلمين الأثريين إلى النّور و أنقذهما من النّسيان .

إعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على الجانب النّظري أوّلاً ، وقد ركّزت فيه على ما ورد في المصادر و المراجع التي تطرّقت إلى تاريخ المدينة العريقة و تاريخ المعلمين الأثريين ، أمّا الجانب الثّاني فخصّصته للدّراسة الميدانية التي تعتمد على التّطبيق و المُعاينة المُباشرة .

من أجل ذلك انقسمت المنهجيّة المُستعملة في هذا البحث إلى نوعين ، **المنهج التاريخي** الذي اعتمدت فيه على تقصّي نشأة الجامع الكبير بوهران (جامع الباشا) ومسجد الباي محمد الكبير ، **والمنهج الوصفي** التحليلي الذي اعتمدت فيه على وصف النّموذجين المّختارين بالشّرح و التّحليل.

وسعياً منّي للإحاطة بالموضوع من مُختلف جوانبه و حيثياته ، رأيت من المُناسب اتّخاذ خطّة بحث تنبني على مقدّمة و أربعة فصول و خاتمة و كلّ فصل مُقسّم إلى عدّة مباحث .

يتناول **الفصل الأوّل** التّعريف بمدينة وهران جغرافيا و تاريخيا ، وقد حاولنا إبراز ذلك البلاء الحسن الذي أبلته المدينة في وجه النّصارى الإسبان .

الفصل الثاني يبحث في الجامع الكبير بوهران (جامع الباشا) كنموذجٍ أوّلٍ و الذي أُراعي فيه الدّراسة التّاريخية ثم المعماريّة ثمّ الفنّية ، مُسلّطاً الضّوء في ذلك على أهمّ عناصره المعمارية الفنّية.

والفصل الثّالث خصّصته لدراسة مسجد الباي محمد الكبير و هو النّموذج الثّاني أُراعي فيه كذلك الدّراسة التّاريخيّة للمسجد ، ثمّ الدّراسة المعمارية ثّم الدّراسة الفنّية .

وفي الفصل الرّابع و الأخير عالجت موضوع الزّخرفة في المسجدين ، فحاولت بقدر المُستطاع أن أُسلّط الضّوء على أهم الزّخارف االنّباتية و الهندسية و الكتابية في المسجدين من النّاحية الفنّية .

وأنهيت بحثي **هذا بخاتمة و مُلحق للخرائط و المُخطّطات و الأشكال و اللّوحات** .

الفصل الأول

جغرافية و تاريخ مدينة وهران

المبحث الأول: الإطار الطبيعي لمدينة وهران

1 ـــ موقع مدينة وهران :

1 ـ 1 ـــ الموقع الفلكي

1 ـ 2 ـــ الموقع الجغرافي

2 ـــ التضاريس :

1 ـ 1 ـــ الجبال والهضاب

1 ـ 2 ـــ السهول و السبخات

3 ـــ المناخ و النباتات

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لمدينة وهران

1 ـــ أصل تسميتها

2 ـــ تطور المدينة تاريخيا :

2 ـ 1 ـــ بناء وهران

2 ـ 2 ـــ وهران في ظل الخزريين المغراويين

2 ـ 3 ـــ وهران تحت حكم الفاطميين و الأمويين

2 ـ 4 ـــ وهران تحت حكم المرابطين و الموحدين

2 ـ 5 ـــ وهران بين الزيانيين و الحفصيين و المرينيين

2 ـ 6 ـــ أوضاع وهران خلال القرن 9هـ - 15 م

2 ـ 7 ـــ الإحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير

2 ـ 8 ـــ وهران في ظل دولة الأتراك

2 ـ 9 ـــ القضاء النهائي على النفوذ الإسباني بوهران

المبحث الثالث: الحياة العامة للمدينة

1 ـــ الحياة الإجتماعية

2 ـــ الحياة الإقتصادية

3 ـــ الحياة الثقافية

المبحث الأول : الإطار الطبيعي لمدينة وهران

تعتبر المدينة ظاهرة جغرافية تشغل بقعة مساحية من سطح الأرض ، نشأت من تكاثف التجمعات العمرانية التي أقامها الإنسان لتكون موطنا له في شكل علاقة متبادلة بينه و بين البيئة التي اختارها مكانا له ، فأصبحت بمثابة كائن حي يخضع للعديد من العوامل الطبيعية و البشرية ، فرضت نفسها عليه و على سكانه حتى أدت إلى نموها بمعدل سريع .
لذا يجب دراسة مختلف الظروف الطبيعية و البشرية التي نشأت في ظلالها المدينة التي نحن في صدد الدراسة عنها و هي مدينة وهران .

أولا : موقع مدينة وهران :

يعتبر الموقع من العناصر الهامة في دراسة جغرافية المدن ، و من أعظمها تأثيراً في حياتنا ولذلك ينبغي – قبل التعرض إلى موقع وهران – أن نميز بين مصطلحين يختصان بهذا الشأن هما :

الموقع الفلكي :

وهو عبارة عن تحديد المدينة بخطوط الطول و دوائر العرض .

الموقع الجغرافي:

و هو تحديد بُعدها بمسافات عن مواقع ثابتة معينة، أي دراسة الموقع المكاني بالنسبة للمناطق المحيطة و الأجزاء المجاورة ، و على هذا الأساس يمكن دراسة موقع مدينة وهران من وجهتين هما :

1-1 الموقع الفلكي:

إذا كانت دولة الجزائر تمتد بين خطي عرض 19° - 37° شمالا و خطي طول 30°- 8°شرقا ، و20°2°غربا ، فإن مدينة وهران تقع فلكيا على خط عرض 42° 35°شمالا و خط طول 30° 38° غربا ، و هي بذلك تقع في منطقة معتدلة على البحر المتوسط بين السفوح الشرقية لجبل مرجاجو غربا ، و الجروف الصخرية و هضبة بئر الجير شرقاً

و السَّبخة الكبرى جنوباً ، و من ثمَّ فإن الموقع الفلكي هنا قد يكون محدودَ الأهمية و لا تظهرُ قيمته إلا من وجهة نظر الموقع المركزي و تحديد توسط المدن بالنسبة لإطار الدولة السياسي ، أو في داخل الوحدات الإدارية [1].

2-1 الموقع الجغرافي :

تقع ولاية وهران في غرب البلاد الجزائرية وهي ثاني أكبر ولايات الوطن بعد الجزائر العاصمة، وقد حملت إسم (بايلك الغرب) طوال عهد الحكم التركي العثماني للجزائر .

و تمتد من شرق مدينة الشلف [2] شرقاً ،إلى الحدود المغربية غرباً ، و إلى أقاصي الصحراء جنوباً ، و في العهد الفرنسي إلى حدود ولاية الساورة.

و بعد إعادة التقسيم الإداري عام 1958 خلال الثورة المسلحة ، و عام 1975 بعد استعادة الإستقلال الوطني ، تقلصت مساحتها كثيرا ، و فصلت عنها مناطق واسعة تتمثل في الولايات التالية :

تلمسان ، سعيدة ، معسكر ، سيدي بلعباس ، مستغانم ، تيارت.

و أصبحت حاليا تتألف من ثلاثة دوائر صغيرة و هي :

- دائرة وهران في الوسط .
- دائرة أرزيو في الشرق.
- دائرة المرسى الكبير في الغرب .

و تطل شمالا على البحر المتوسط بساحلٍ طويلٍ و متعرِّجٍ [3] يمتدُ من مصبِّ وادي المقطع شرقاً إلى ما وراء مركب الأندلس غرباً ، و تُشرف على خليجين بحريين هامين هما : خليج أرزيو شرقا ، و خليج وهران و المرسى الكبير غربا [4] .

---

[1] – بشير مقيبس " مدينة وهران" دراسة في جغرافية العمران ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (الجزائر ، 1983)، ص : 31 .

[2] – كانت تسمى سابقا الأصنام.

[3] – يبلغ طول الساحل الوهراني حوالي 190 كم تقريبا .

[4] – يحي بوعزيز، "وهران" ، ط1 ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، (وهران ، 2002)، ص : 26 .

ثانيا : التضاريس :

يتّسِم سطح وهران بالإنبساط في الوسط و الجنوب و الشرق ، و بالإرتفاع في الغرب و الشمال ، و تنحدر الربوات الشمالية بحدةٍ إلى ساحل البحر ، و بصورة تدريجية نحو الجنوب . هذا ما جعل لدينا أنواعا عديدة من التضاريس يمكن تقسيمها إلى قسمين هامين هما :

1 - الجبال و الهضاب :

أ)- الجبال الساحلية :

تتمثل هذه الجبال في كتلتين رئيسيتين هما :

كتلة مرجاجو و كتلة الأسد ، تمتدان محاذيتين للساحل الوهراني من وادي ساسل في الجنوب الغربي إلى وادي نقون في الشمال الشرقي على ارتفاعٍ يتراوح بين 300- 760 مترًا [1].

تتميز هاتان الكتلتان بمجموعة من التلال الصخرية القليلة الإرتفاع و الخفيفة الإنحدار بوجه عام . من أهمها في كتلة مرجاجو تل القعدة المحصور بين وادي العطشان شرقا و رأس الأندلس على ارتفاع 424 متر ، و تل سانتون الواقع غرب المرسى الكبير على ارتفاع 318 متر .

أما كتلة الأسد (أرزيو) فيظهر بها تلان :

أحدهما يتصل بهضبة وهران في الشمال و يسمى بجبل خار ، و يبلغ ارتفاعه 611 متر

و الثاني يقع حول رأس فرات و يعرف قبل عروس إذ يصل ارتفاعه إلى 631 متر فوق مستوى سطح البحر .

ورغم ارتفاع هذه الكتلة الأخيرة ووعورة سطحها ، إلا أنها لا تشكل أي خطر أمام امتداد عمران وهران نحوها في الوقت الحاضر أو في الوقت المستقبل القريب لأنها توجد على بعد 18 كيلومترا تقريبا من حدود عمران المدينة . و ذلك خلافا لما هي عليه في كتلة مرجاجو

[1] - DESPOIS,J,"Géographie de l'Affrique du Nord – Ouest ",Payot, Paris1967 , p88

و التي يمكن اعتبارها حقا أهم ظاهرة فيزيولوجية في هذا القطاع . فهي عبارة عن تلال غير متناظرة ، تنحدر سفوحها الجنوبية انحدارا لطيفا نحو جنوب شرق المدينة و تشتد في الشمال حتى تصل في بعضها إلى (30°) تقريبا ، لذلك نجد هذه الكتلة لا تسمح بقيام العمران فيها ، و لا تساعد على الإستغلال الزراعي بسبب ضخامة قواعدها ووعورة سطحها حيث تغطيها الصخور الجيرية البازلتية التي تنتشر عليها أشجار الصنوبر و الماكي و الأحراج و غيرها من النباتات الفقيرة .

ب)- الهضبة الساحلية :

تظهر هذه الهضبة كوحدة جيولوجية متجانسة تمتد في اتجاه عام من جبل مرجاجو في الجنوب الغربي ، إلى جبل خار في الشمال الشرقي ، و يتراوح إرتفاعها ما بين 100 إلى 200 متر ، حيث تتدرج في الإرتفاع كلما اتجهنا من المدينة القديمة إلى حدود عمران وهران الحالية في الشرق و إلى أبعد من ذلك في الشمال الشرقي .[1]

2 - السهول و السبخات :

توجد في منطقة وهران عدة منخفضات حوضية على شكل سهول و مسطحات مائية تمتد من الغرب إلى الشرق ، يرجع تكوينها إلى الزمن الرابع نتيجة بقايا البحار الجيولوجية القديمة التي كانت تغطي المنطقة و الرواسب التي جرفتها مياه السهول و الأودية المنحدرة من الجبال المحيطة و رسبتها في تلك الأحواض ، تحول جزء منها إلى سهول فيضية مثل سهل مليتة و الجزء الآخر لم تكتمل عملية الردم و الإرساب به و بقي على شكل مسطحات مائية تمثلها السبخة الكبرى .[2]

---

[1]- LESPES.R."Oran Étude de Géographie et L'histoire Urbaine " Collection du Centenaire d'Algérie ".

[2] – بشير مقيبس، مرجع سبق ذكره ، ص 46

1)- السهول :

أ)- السهول الساحلية :

و يقصد بها تلك السهول الضيقة المحاذية للساحل و التي تبدو على شكل أجزاء أرضية متقطعة محصورة بين الجبال و البحر و لا تظهر إلا في مناطق محدودة للغاية ،تشكلت في الزمن الرابع بسبب تلك الرواسب التي قذفت بها مياه السيول و الشعاب من الجبال نحو المناطق المنخفضة ، و غالبا ما نجد تربتها غير خصبةٍ لارتفاعِ نسبة الملوحة بها ، و لذا خُصِّص معظمها في زراعة الحبوب و البقول و الكروم .

و تتمثل بصورة واضحة في السهل الصغير الممتد شمال غرب المرسى الكبير على ارتفاع 150متر في سهل الأندلس بمنطقة -بوسفر – عين الترك ، هذا بالإضافة إلى شريط ضيق يمتد على أطراف الجروف الموجودة بحي رأس العين ، و شريط آخر بمنطقة بئر الجير شمال شرق المدينة و هذه في مجملها لا تساهم إلا بقدر ضئيل جدا في تغذية سكان مناطقها بالمنتجات الزراعية .

ب)- السهول الداخلية :

تتمثل هذه السهول في ذلك المنخفض الطولي المحصور بين المرتفعات الساحلية شمالا و مرتفعات تسالة جنوبا و وادي تليلات و البحر المتوسط غربا . و تزيد مساحة هذا المنخفض 1200 كم^2 نتيجة لعمليات التعرية المائية التي نحتت الجبال المجاورة في أزمنة مختلفة و أخذت تنقل الرواسب لترسبها في قاع هذا المنخفض إلى أن غطت سطح قاعه إلى ارتفاعٍ يزيد على 100 متر تقريبا ، تحولت معظم جهاته خاصة المجاورة لمرتفعات تسالة إلى سهل" فيفي" الذي يدعى سهل ملاته وتبلغ مساحته 880 كم^2 . بينما بقي الجزء الآخر من هذا المنخفض عبارة عن سبخات و مستنقعات تنحدر إليها أودية و شعاب محملة بتكوينات

ملحية وطينية من المرتفعات لتجرفها في الفصول المطيرة إلى تلك السبخات ، و بذلك نجد ارتفاع نسبة الملوحة في تربة هذا المنخفض تزداد في المناطق المحيطة بتلك السبخات [1] .

و يمتد إلى جانب سهل ملاته عدة سهول يختلف اتساعها و ارتفاعها من منطقة إلى أخرى ، من أهمها سهل تليلات الواقع شرق السهل السابق و الذي يتراوح ارتفاعه بين 100- 150 متر تغطيه تربة غرينية و رملية و كلسية ، و سهل المقطع الذي يمتد في الشمال الشرقي لسهل مليتة على مساحة 1250 كم ^{2} تقريبا و على ارتفاع يتراوح هو الآخر بين 100 – 150 متر، أما تربته فتكاد تكون كلسية تخترقها عدة أودية من أهمها وادي تليلات ووادي الحمام ووادي سيق ووادي العكاز .

و يلاحظ على نظام جريان أودية هذه السهول - في الوقت الحاضر- بأنه شديد التذبذب ، فقد تكون سيلية جارفة في بعض الأيام الممطرة في فصل الشتاء، وجافة في معظمها خلال فصل الصيف.

لذلك يمكن اعتبار هذه السهول دلتا كبيرة تكونت عن طريق إرساب التكوينات السفحية و السيلية المستمرة ، و بفضل هذه التربة اكتسبت حقول وهران خصوبتها وغناها بالمنتجات الزراعية لتزويد سكانها يوميا بالخضر و الحبوب و الفواكه[2].

2)- السبخات :

تُوجد داخل منطقة وهران عدة سبخات و مستنقعات إلا أن أهمها هي : سبخة وهران التي تمتد جنوب المدينة بحوالي 20 كم و شمال سهل مليتة و شرق الطريق الوطني رقم (2) و غرب الطريق المزدوج ، تبلغ مساحتها 320 كم $^{2\ 3}$ ، و توجد إلى جانبها الشرقي و الشمال الشرقي عدة ضايات * مثل ضاية المرسلي و ضاية سيدي معروف و ضاية سيدي محمد و ضاية أم الغلاز ، و كلها تنتشر بسهل تليلات وهضبة وهران .

[1] – TINTHOIN ,R, " Les Aspects Physiques du Tell Oranais " Essai de Morphologie de Pays Semi – Aride la Fouque Oran ,1948 .p: 163-170 .

[2] – Ibid, p: 167 .

[3]– DESPOIS ,J, op.CIT,p: 103-104 .

* – الضايات : هي عبارة عن أحواض مائية عذبة ، أما السبخات فهي مالحة .

ثالثا : المناخ و النباتات :

تقع ولاية وهران وكل الغرب الوهراني في ظل المطر لذلك تقل فيها الأمطار نسبيا، و تعتمد في فلاحتها على مياه الآبار بصفة عامة ، أما الجهة القريبة من الساحل فتتلقى أكثر نسبة من الأمطار على عكس المناطق الداخلية .

و بالتالي فالغطاء النباتي فيها يكون خفيفا تبعا لقلة نسبة الأمطار ، فتنمو على الربوات و المرتفعات أشجار البحر المتوسط الدائمة الخضرة و المتنوعة : كالصنوبر ، و البلوط ، و العرعار ،و الزيتون ، و السرو ، و في السهول تنمو و تزدهر غراسة الأشجار المثمرة كاللوز ، و الكروم ، و الحوامض ، و الإيجاص ، و التِّين و الزَّيتون و المشمش و الخوخ و الرُّمان و غيرها .

كما أن هناك مساحات كثيرة من الأراضي حول ولاية وهران عبارةٌ عن بورٍ و أحراشٍ لا تشتغل إلا في الرَّعي و ذلك بسبب نمو النباتات الشوكية فيها ، كالعليق ، و الصبار و غيرها و ذلك في شكل أجمات و أدغال.

تُربى في المرتفعات قطعان الماعز ، و الأغنام و في السهول الأبقار الحَلُوبة و الخيول و الأحمرة و غيرها، و يجري التوسع في تربية الأبقار الحلوبة للاستفادة من ألبانها ، و أصوافها ، و لحومها و جلودها ، كما يجري التوسع في تربية طيور الدواجن كذلك للإستفاذة من لحومها ، وبيضها و ريشها[1] .

[1] - يحي بوعزيز "وهران" ، ص: 28 – 29 .

المبحث الثاني : الإطار التاريخي لمدينة وهران

ما تزال عملية التأريخ للمدن الجزائرية بطيئة و متأخرة جدّاً رغم أهميتها، و هي إحدى القضايا التاريخية المطروحة على الباحثين الجزائريين في إطار إعادة صياغة تاريخ الجزائر الوطني. ذلك أن هذه المدن تعرضت لعمليات الطمس ، و المسخ ، و التشريد بكيفية فضيعة جدا لمعالمها الحضارية ، العمرانية ، الفنية ، التاريخية ، الثقافية و الدينية ، خاصة العربية الإسلامية منها ، و ذلك من طرف الإسبان و الفرنسيين الذين بذلوا كل جهودهم لإثبات أن هذه البلاد كانت أروبية قبل أن تكون عربية مسلمة . إن مدينة وهران تعد أكثر المدن الجزائرية التي عانت ويلات الإستعمار و بطشه و طغيانه ، هذا الأخير الذي قام بهدم و طمس و تخريب مرافقها و معالمها الحضارية ، و الدينية ، أولاً من الإسبان ثمّ الفرنسيين بعد ذلك .

فخلال السيطرة الإسبانية التي دامت حوالي ثلاث قرون ، قام الإسبان بتدمير مساجدها و مدارسها ، و أخلوها من سكانها الأصليين ، و حولوها إلى مركز و محتشد لقواتهم العسكرية ، و للمساجين و المنفيين الإسبان أصحاب السوابق الإجرامية في إسبانيا ، و بنو بها الكنائس و القلع و الحصون لدعم وجودهم الإستعماري و الإستطاني بها .

و عندما حررها الجزائريون و العثمانيون سنة 1792م ، حاولوا أن يعيدوا لها أمجادها ، ووجهها العربي المسلم ، و بذلوا جهداً كبيراً لتعميرها ، و إصلاح ما تخرَّب منها ، و أنجزوا أشياء هامة في ظرفٍ وَجِيزٍ جداً لم يتعدَّ ثمانية و ثلاثين عاما .

ثمّ عاد إليها الإستعمار الفرنسي الأوروبي مرّةً أخرى ، و عاد إلى عملية الطّمس و التّهديم و التخريب لما شيده الأجداد فيها ، من المعالم الحضارية الإسلامية ،و دامت العملية قرناً و واحداً و ثلاثين عاماً كاملة [1] .

من المشاكل التي تعترض الباحث في تاريخ مدينة وهران ، و تحتاج إلى تعمق و دراسات جوهرية :

1) - التاريخ الحقيقي لتأسيسها .

[1] - المرجع نفسه : ص 9 – 10.

2) – إسمها الذي تحمله ، من أين أخذته ، هل من إسم قبيلة ، أو مكان أو حيوان أو غيره.

3) – بعض مراحلها التاريخية في العصرين : الوسيط و الحديث ،فهي ما تزال غامضة ، خاصة العهد الإسباني و جوانب من العهد التركي العثماني بعد ذلك .

1)- أصل تسميتها :

لقد اختلفت آراء الباحثين و المؤرخين في أصل تسمية " وهران " و تفسيرها ، و تباين الكثير في كيفية نطقها ، فالبعض ينطقها وَهران – بفتح الواو – و البعض ينطقها وِهران –بكسر الواو – و مهما كان محل هذه الكلمة فإننا سنحاول تحليل حروفها لمعرفة ما جاء في بعض كتابات الرحالة و المؤرخين العرب .

يذكر "محمد بن يوسف الزياني" في أحد الروايات[1] أن بني يفرف عندما أرادوا غزوها لم يستطيعوا التعرف على مكانها ، و عثروا على رجل من أهلها و سألوه عنها فرفض أن يرشدهم إليها ، و شددوا عليه فصوب عصاه نحوها ، و قالوا له : هي صوب عصاك هذه فقال لهم : واه. ثمّ سمعوا شخصاً آخر يقول : رآنا . فقصدوه و عثروا على المدينة و سلبوا أهلها ، و سبوهم ، و قالوا: هذه غنيمة واه رآنا . ثم بمرور الزمن حذفت من الكلمتين الألف الأولى بعد الواو ، و الألف الأخيرة بعد النون ، و تألفت منها كلمة واحدة هي : " وهران ".

و للدكتور "جورج سيقي" رأي آخر في أصل تسميتها ، فيقول : إن إسم وهران ربما أخذ من إسم أحد الأمراء الفاطميين الذي كان يدعى بوشارام وارهام وهران: BouchaRait Ouaham Wahrân.

أو من إسم المجرى المائي الذي ينحدر من الجبل ، و يفصل بين قمة جبل المايدة ، و قمة الجبل الذي أقيم عليه حصن مرجاجو أو سانتاكروز :Santa-Cruz [2] و الذي كان

[1] – هي سبع روايات ، أوردها محمد بن يوسف الزياني في كتابه :" دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران " ، تقديم و تعليق : المهدي البوعبدلي ، (الجزائر، 1978) ص :31 – 33 .

[2] – أسسه الإسبان سنة 1567 على قمة جبل سيدي هيدور ، و عند إتمامه أطلقوا عليه إسم : القديس كروز.

يحمل إسم (واران- Ouaran).كما ذكر "سيقي" بأن وهران كانت تسمى بالمرسى الصغير تمييزاً لها عن المرسى الكبير. [1]

أمَّا السيد "عبد الحميد بن شنهو" فيقر في محاضرة ألقاها بالمركز الثقافي بوهران بتاريخ 1971/06/25م:" إن كلمة وهران جمع و مفردها أهرى AHRI بمعنى مستودع و مخزن و مؤسسة إلى غير ذلك" . و طبعا هذا التعريف غامض نوعا ما ، و ربما اعتمد في تفسيره هذا ما ذكره الحافظ "أبوراس" من أن وهران هي بفتح الواو لا بكسرها ، و تعتبر مدينة هامة في المغرب الأوسط ، احتل موقعها ساحل البحر المتوسط ، تحيط بها البساتين و الحدائق من كل جانب و تكثر بها الأبراج و القصور و الفنادق و الحمامات و المستودعات و المخازن إلخ ...

و من خلال التفسير الذي جاء به السيد "محمد الحسيني الطالب" [2] يتبين بأن وِهران بكسر الواو هي أصلاً كلمةٌ بربريةٌ تتكون مشتقاتها من عدة معان تتبين على النحو التالي :

- وِ WI : هي أداة تصدير لمفرد وَ WA و معناها" الذي هو" Celui de" أو" مكان في" A L'endroit" أو "إلى" بـــ" aux ".
- هر :HR : و هو مرادف أهر : إِهـــرَان (AHR – IHRAN) و معناها في لغة تيفنغ الطوارق(سكان الهقار) " الأسد " .
- آن AN : و هي علامة جمع في اللغة البربرية مثل " en ".

و من دراسة كل هذه المشتقات يمكن القول بأن كلمة وهران " هي مكان للأسد " ، فإذا كان اسم وهران لم ينل تعريفا كاملا و دقيقا من طرف البحاثة العرب و الأجانب إلى وقتنا الحاضر ، فيمكن اعتبار التعريف الثاني الذي هو " مكان الأسد " [3] أقرب إلى الحقيقة.

و لعلّ ذلك يرجع إلى قُرب المدينة من جبل آغار – و معناه في اللهجة البربرية المزابية الأسد – الذي يسمى بجبل الأسد الممتد شرق مدينة وهران .

---

[1] – Dr George Seguy :" Oran et l'Algérie en 1887" .(Oran Mars 1888) , p: 22-28.

[2] – TALEB,M.H "Bulletin du Centre de la Recherches et de Documentations Université D'oran" 1969.

[3] – هناك أسطورة تاريخية تقول " إن وهران اكتشفت لأول مرة في القرن السابع الميلادي، و قد اكتشفها تاجر كبير كان متجها بسفينة نحو الأندلس إلا أن سوء الأحوال الجوية منعه من ذلك حيث تعرضت سفينة إلى التلف و التدمير من قبـــل أمواج البحر العاتية فلم ينج من هذه الحادثة إلا هو و عندما وصل إلى ساحلها و جد شبلين صغيرين بجانب صخرة كبيرة كانت قد سقطت على أمهما، فأخذهما و رباهما و عاشوا معا. فسميت بوهران نسبة للشبلين الصغيرين (و الوهرهو اســم من أسماء الأسد).

2)- تطور المدينة تاريخيا :

2-1 : بناء وهران :

إنَّهُ لا خلاف* في أن وهران بنيت في القرن الثالث من الهجرة النبوية [1] على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم ، و إنما يكمن الخلاف فيمن بناها و العام الذي بنيت فيه .

يقولُ الحافظ "أبوراس" في عجائب الأسفار ، بنتها مغرارة [2] بإذن أمراء الأندلس الأمويين و أن الذي بناها من مغراوة هو "خزر" بن حفص ابن صولات بن رزمار بن صقلاب بن مغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين بن ورسيخ بن جانا بن زنات ، و ذلك بإذن الخليفة الأموي ببلاد الأندلس عبد الرحمان بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل [3] .

ليفهم من أنَّها بُنيت في وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمان بن الحاكم تولى سنة 206 هـ و توفي في ربيع الأخير سنة ثمان و ثلاثين و مائتين 238 هـ .

و يذكرُ الآغا المزاري أن الذي بناها هو محمد بن أبي عون ، و محمد بن عبدون و جماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران مع نفزة و بني مسغن و هم (بنو مسرغين)من أزديجة ، و كانوا أصحاب القرشي و هو الخليفة الأموي بالأندلس و ذلك سنة و مائتين [4]

و إلى من بناها ووقت بناءها أشار الحافظ أبوراس في سنيته التي تسمى بالحلل السندسية ، بقوله:

---

* هناك رأي آخر أورده المؤرخون و الجغرافيون من العلماء الإفرنج يذهب إلى الجزم بأن وهران قد أسست منذ زمان قديم جداً و ربما يعود زمان تأسيسها إلى ما قبل التاريخ ، أنظر : " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية " محمد بن ميمون الجزائري ، تقديم و تحقيق الدكتور: محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (الجزائر 1981) .

[1] – (290هـ 902 م) أنظر . يحي بوعزيز (وهران) ، ص :31 .

[2] – هي قبيلة بربرية كانت تستقر في المنطقة الممتدة من سهل مليانة شرقا إلى وادي تافنة غربا .

[3] – محمد سي يوسف " دراسة مخطوط عجائب الأسفار و لطائف الأخبار لأبي راس الناصري" ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 2 ، (الجزائر ، 1986) ، ص : 134 – 155 .

[4] – الآغا بن عودة المزاري " طلوع سعد السعود " في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق و دراسة : د. يحي بوعزيز ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1990 ، ص: 122 .

بنتها مغوارة بإذن مواليهـــــم الأمويـــن أمـــراء أندلـــــــس

ثالثُ قرن خرز منهم قد أسسها و ملكهم في غاية الغز و الشمـــس

كما نسبها إليه الشاعر التِّلمساني المشهور "ابن خميس" عندما زارها في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) و قال : أعجبني بالمغرب مدينتان بثغرين ، وهران خزر ، و جزائر بلكين.[1]

2-2 : وهران في ظل سلطة الخزريين المغراويين :

نَمَت وهران في بداية عهدها على شكل بلدةٍ صغيرةٍ تمتدُ على الضفَّة الغربية لوادي الرُحى ، و استقرت بها قبائل نفزة و بني مسغن في الأطراف الوسطى للوادي ، كما استقر عند مصبه بعض البحارة الذين قدموا من الأندلس ، بجوار الشريط الساحلي في منطقة محمية من الرياح الغربية و الشمالية الغربية بواسطة قمة لامون ، تبعاً لوظيفتها الزراعية و الحربية و كمنفذ تجاري لمنطقة تلمسان في الداخل ، إلى جانب أنها كانت تعتبر محطة رئيسية تلتقي عندها مختلف الطرق البرية و البحرية .

و لما كانت وهران تتمتع بميزات الموقع الجيد ، فقد كان له الأثر في اجتذاب عدد كبير من سكان المناطق المتجاورة و الوافدين إليها من الأندلس ، و بذلك أخذت تنمو و تتوسع على طول الوادي حتى وصل عمرانها الواجهة البحرية ، و أصبح ساحلها البحري يلعب دوراً هاماً في التجارة و الصيد .في سنة (909 م- 297 هـ) زحفت على وهران عدة قبائل ، و طالبت من سكانها أن يسلموا لها بني مسغن (أهل مسرقين) الذين فروا إليها ، لتقتص منهم بسبب دماء سالت بين الطرفين ، فرفضوا . و قامت هذه القبائل بفرض الحصار على المدينة و قطعت عنها المياه و ضيقت على السكان ، ففر بنو مسغن ليلاً و استجاروا بقبيلة وزداجة ، و فر سكان وهران كذلك ، تاركين أموالهم بعد أن تأزم الموقف، و قام المحاصرون بإشعال النيران في المدينة و أحرقوها ، فكان ذلك في شهر ذي الحجة من نفس السنة.

[1] – يحي بوعزيز ، " وهران " ، ص 32 .

و في العام الموالي (910 م- شعبان 298 هـ) عاد إليها أهلها ، و أعـادوا بناءَها و تعميرَها بأمرٍ و مساعدة أبي حامد داوس بن صولات- عامل تيهرت- الذي عَين عليها "محمد بن أبي عون" والياً و حاكماً . ثم ظهرت سلطة بني خزر المغراويين عليها ، و كان أول حكامهم عليها "خزر بن حفص بن صولات" الذي كان عاملا للأمويين بالأندلس كما سبق و ذكرنا ، ففرض سيطرته عليها ، و على معظم المغرب الأوسط (الجزائر) واهتم بأمرها ، فأحاطها بسور ، ووضع نواة لقصبتها ، و شيد عددا من الأبنية ، كل ذلك بتشجيع من "عروبا" عامل عبيد الله المهدي الشيعي على تيهرت الرستمية .

و بعد خزر تولى ابنه محمد حكم وهران ، و سكن بها و مد نفوذه حتى إلى جهات تونس شرقا ، و سجلماسة و المغرب الأقصى غربا ، و قضى على كثير من العُصاة ، وهابه الناس بسبب صرامته ، و حارب قبائل عجيسة ووزداجة و الشيعيين . غير أنه تعرض في الأخير لهزيمة من طرف العجيسيين و الوزداجيين الذين انتزعوا منه وهران عام(918 م- 30 هـ) و حكموها حوالي سبع سنوات إلى أن انتزعها منهم "محمد بن خزر" مرة أخرى و استعادها بعد حروب طويلة و مريرة عام (925 م - 313 هـ) و عين عليها ابنه الخير و أخضع لسلطته خصومه العجيسين و الوزداجيين ، فشن حروبا كثيرة بضواحيها ، و حارب الشيعيين في تيهرت و غزا المسيلة و الزاب .

بقيت وهران بِيَدِه عدة سنوات أخرى إلى أن انتزعها منه "داوس بن صولات الكتامي" عامل عبيد الله الشيعي عام (930 م -318 هـ) ، و عين عليها مرة أخرى محمد بن أبي عون الشيعي الذي أطاع الشيعيين الذين زحفوا على المغرب الأقصى لمحاربة "ابن أبي العافية المكناسي"عام (344 هـ) و شرد أهلها العجيسيين و الوزداجيين الذين هاجروا إلى الأندلس ، و تجندوا في قوات المنصور بن أبي عامر و رحل البعض إلى مدينة إفكان ، ثم ظهر له أن يُعيد تجديد بناء وهران و تعميرها ، نظرا لأهمية موقعها ، و انتقل إليها بأهله و جنوده من مدينة إيفكان التي كان قد بناها قبل ذلك في بني راشد ، فاتخذها مقرا له، و عين عليها "محمد بن الخير الخزري المغراوي" واليا عليها ، فتصدى لمقاومة سلطة الأمويين و عمل على نشر دعوة الشيعيين لغاية عام (970 م – 360 هـ) ثم انقلب عليهم و انحاز إلى الأمويين الذين أمدوه بقوات كبيرة و حثوه على محاربة "بلكين بن زيرى"

، فواجهه في عدة معارك و لم ينجح فانتحر وخلفه إبناه : "الخير" و "يعلي" ، اللذان حاربا الصنهاجيين الشيعيين و انتصروا عليهم ، و ثأرا لأبيهما المنتحر، و أرسلا رأس زيري إلى قرطبة سنة (971 م – 361 هـ) و تولى "الخير" حُكم وهران و من بعده تولاها ابن أخيه "محمد بن الخير" و ذلك خلال عقد السبعينات من القرن العاشر الميلادي (الستينات من القرن الرابع الهجري) .

و بعد محمد بن الخير حكم وهران "محمد بن يعلي بن محمد بن الخير" ، و هاجمه الصنهاجيون سنة (987 م – 377 هـ) ، فانتزعوها منه هي و تلمسان و باقي مناطق غرب المغرب الأوسط ، و استمرت الإضطرابات بها و بغيرها حتى عام (1001م – 391 هـ).

تم استعاد "يعلى بن محمد" وهران مرة أخرى في هذه السنة، و ضبط أحوالها و بقي على حكمها هي و المغرب الأوسط حتى عام (1019 – 410 هـ) فتولاها ابن أخيه "محمد بن الخير" مرةً ثانيةً و بقي عليها فترةً من الزمن.[1]

3-2 وهران تحت حكم الفاطميين و الأمويين:

عاشت وهران في عهد الفاطميين اضطراباتٍ سياسيةٍ كثيرةٍ بسبب الصراع الذي كان قائماً بينهم و بين الأمويين في الأندلس ، ففي سنة (987 هـ- 376 هـ) حكمها "زيري بن مناد الصنهاجي" لصالح الفاطميين ، و تلاه في العام الموالي "أبو البهار بن زيري بن مناد" ، و أعلن انضمامه للأمويين بالأندلس ، ثم تركها للفاطميين .

و في عام (992م-381 هـ) تولّى حُكمها و إدارتها "خلوف بن أبي بكر" حاكم تيهرت الذي أعلن تبعيته للأمويين بالأندلس ، و استمر على حكمه لها حتى عام (998م-387هـ) ثم تلاه "خزرون بن محمد الوزداجي" و بقي تابعا للأمويين كذلك بالأندلس على إثر ثورة زيري بن عطية الصنهاجي .

[1] – محمد بن يوسف الزياني ، مرجع سبق ذكره ، ص: 74 – 77 .

و في مطلع القرنين الخامس الهجري و الحادي عشر الميلادي ، أُتخذت وهران قاعدة بحرية للأساطيل البحرية الإسلامية و مركزا تجاريا لمعظم تجار الحوض الغربي للمتوسط من المسلمين و المسيحيين و الأوروبيين .

وقد زارها في هذه المرحلة عدد من الرحالة الكبار منهم : الرحالة "ابن حوقل" الذي أشاد بعمرانها الواسع الجميل و تحصينها و مبانيها العامة و أسوارها المحيطة بها ، و بإزدهار الثقافة و التجارة فيها ، و ذكر أن صلاتها متينة و مكثفة مع سكان الموانئ الأندلسية [1] ، و عن ميناء وهران يقول : " أنه محمي من الرياح لامثيل له في بلاد القبائل " و يضيف قائلا : " أنه أكثر الموانىء أهمية و حيوية في البلاد ، نشاطه تجاري دائم ، و السفن لا تفارقه ليل نهار ، تحمل إليه البضائع و تعود محملة بالحبوب "[2] .

كما ذكر "البكري" الجغرافي العربي عام 1068م عندما زار مدينة وهران : " هنا نجد مدينة جميلة تقع على مسافة أربعين ميلا من أرزيو لا تنازعها أية مدينة أخرى من حيث موقعها الممتازِ و مياهها العذبةِ و مطاحنها و مساجدها و قلاعها " [3] .

ووصفها الرحالة "الإدريسي" بما يلي : " نشأت وهران على ساحل البحر ، تحيط بها أسوار متينة ، أسواقها دائما مأهولة ، يفد إليها الناس من جميع الأنحاء للبيع و الشراء ، بها حرف متنوعة ارتبط نشاطها بالدور التجاري الهام الذي تتمتع به ، بسبب موقعها المواجه لمدينة ألمرية على ساحل الأندلس" و كان أول من أشار إلى متاجرها الواسعة و مصانعها الكبيرة . أما عن ميناءها فقد اعتبر أهميته قاصرة على توفير بعض التأمينات للسفن و حمايتها من الأمطار ، ثم أضاف إلى أنه على بعد ميلين من وهران يوجد ميناء المرسى الكبير الذي يمكن للبواخر الكبرى أن ترسو به بكل أمان ، لأنه محمي من الرياح الغربية و ليس هناك أهم منه على سواحل البلاد كلّها [4] .

---

[1]– Didier، "Histoire D'Oran ",Tom IV.(Oran 1931) p: 45 .

[2] – IBN HAOUQUAL " Description de L'Afrique " Trad. de Slan dans le Journal Asiatique Fev-Mars , 1842,p: 186 – 187 .

[3] – El Bakri : " Description de l'Afrique Septentrionale " Trad de Slan Paris 1859, p: 179

[4] – El Edrissi " Description de l'Afrique et de l'Espagne " Trad .de Domy et de Gorge .Leyde 1866 , p: 96-97.

4-2 وهران تحت حكم المرابطين و الموحدين :

لقد بقيت وهران تحت حكم وسلطة الخزريين المغراويين الذين كانوا يخضعون أحياناً للفاطميين و أحياناً أخرى للأمويين ، إلى أن انتزعها منهم المرابطون عام (1081م-473 هـ) و اتخذوها قاعدةً بحريةً هامّةً لجزءٍ من أسطولهم البحري الحربي و التجاري ، نظرا لأهمية مينائها و مرساها من الناحيتين : الطبيعية و الإستراتيجية .

ففي هذا العام غزاها و سيطر عليها "يوسف بن تاشفين" و "محمد بن تينغمر المسوفي" ، و شهدت على إثر ذلك تطورات واسعة في مجالات متعددة . فتوسع عمرانها ، و نشطت تجارتها البحرية ، و تضاعف عدد السفن التجارية التي ترد إليها من مختلف أنحاء بلدان البحر المتوسط الشمالية الأوروبية ، و الغربية الأندلسية ، و ازدهرت الحركة الثقافية فيها كذلك ، و برز عدد كبير من العلماء و الفقهاء ، و الأدباء أمثال : "أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني" ، الذي اشتُهر بتطلعه في علوم الطب و الرياضيات و التصوف ، و انتقل إلى إشبيلة حوالي سنة (427 هـ - 1037 م) ليمارس مهنة التدريس و لربما التجارة ، و أخذ التصوف على الشيخ "ابن أبي زيد" ، و عاش و عَمر ثمانين عاما .

و أمثال أيضا : "رُكن الدين ابن محرز الوهراني" الأديب اللامع الذي هاجر في آخر حياته إلى مصرَ و دمشقَ ، فأسند إليه السلطان نور الدين خِطابة مسجد داريا* فبقي فيها إلى وفاته أيام صلاح الدين الأيوبي سنة (1179م- 575 هـ) [1] .

لقد بقيت وهران تحت حكم المرابطين حتى قامت الدولة الموحدية و اكتسحت كل المغرب الأقصى ، و أخذت بعد ذلك تتوجه لاكتساح المغرب الأوسط (الجزائر) خاصة بعد أن فر إليها بقايا المرابطين ، و على رأسهم السلطان "تاشفين بن علي"، و كانت وهران إحدى المدن و الموانئ التي اتجهت أنظارهم للسيطرة عليها بعد أن انسحب إليها السلطان المرابطين السالف الذكر .

* - داريا قرية صغيرة على باب دمشق في الغوطة .

[1] - El –Bekri , op .Cit , p: 165 .

ففي سنة (1145م) [1] هاجم "عبد المؤمن الموحدي" مدينة وهران التي يعتصم بها "تاشفين بن علي" و عندما حاول أن يفر ليلا سقط به فرسه فمات ، و عُثر عليه في الصباح الموالي ، فحز عبد المؤمن رأسه و أرسله إلى "تينملل" بالمغرب الأقصى . و كان "تاشفين بن علي" قد استخلف ابنه "إبراهيم" على مراكش ، و أرسل إلى قائد أسطوله "محمد بن ميمون" بالأندلس ليبعث له مراكب بحرية إلى وهران ، فأرسل له عشرة مراكب بقيادة القائد "لب بن ميمون"الذي اتجه بها إلى المرسى الكبير . و ذلك حتى يتمكن بها من مواجهة أعدائه، وفي حالة الفشل ينسحب عليها إلى الأندلس ، ولكن هذا الأسطول لم يفده في شيئ ،لأنه مات قبل أن يتمكن من الإلتحاق بالمرسى الكبير [2].

و بعد فشل حاكم المرابطين على وهران "بولوقين المتوكل" قطع عبد المؤمن الماء على المدينة و شدد الحصار عليها و اقتحمها ثم أباحها لقواته و جنوده ، فأحدثوا في سكانها مجزرة دموية رهيبة ، تدخل في إطار تصفية المعارضين له ، و المؤيدين للمرابطين [3] .

و نظرا لأهمية هذه المدينة و مينائها ، من حيث الموقع و الإستراتيجية فقد حولها هي و ميناء المرسى الكبير غربها إلى قاعدتين بحريتين لأسطوله البحري ، و أحدث بهما ورشتين لإصلاح السفن المعطوبة ، و بناء المراكب الجديدة .

و فعل نفس الشيء بموانئ : أرزيو ، و هنين ، و المعمورة ، و طنجة ، و تونس ، و قد بنى خبراءه البحريون سنة (1162م – 558 هـ) بأمرٍ منه مائة مركب في مينائي وهران و المرسى الكبير و أرزيو ، و مائة و عشرين مركبا في المعمورة ، و ستين مركبا في طنجة ، و مائة مركب أخرى في موانئ الريف المغربي الأخرى .

و كل ذلك كان في إطار استعداده للعبور إلى الأندلس لمواجهة النصارى الإسبان في العام الموالي ،و لكن المنية عاجلته و فاجأته ، فتحمل المهمة من بعده ابنه" يعقوب المنصور". [4]

---

[1] – كان ذلك في صبيحة عيد الفطر سنة 539 هـ .

[2] – محمد عبد الله عنان " عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس " ، ج1 ،ط1 (القاهرة 1964) ، ص: 249 – 252 .

[3] – عبد الرحمٰن بن خلدون " كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " ، ج 6 ، (بيروت ، 1959) ، ص: 189 – 281 .

[4] – Didier , op .CIT.pp: 115 -117 .

و في سنة (1186م-582هـ) أبرم السلطان الموحدي "يعقوب المنصور" اتفاقا مع إمارة بيزا الإيطالية نص على فتح موانئ وهران ، بجاية ، تونس ، سبتة ، لتجارتها و بضائعها التجارية . فأُسِست بوهران و باقي المدن المذكورة مكاتب لها لتنظيم العمليات الجمركية و فعلت مثلها كل من مدن :برشلونة ، مرسيليا ، البندقية ، جنوه واستفادت من الإتفاق .

و أخذ التّجار الأوروبيون يتوافدون على وهران بكثرة لتصريف بضائعهم الأروبية ، وشراء بضائع الصحراء التي تكثر بها عن طريق قوافل التجارة الصحراوية ، و اتخذوا من وهران محطة و عقدة مواصلات لهم ، في ذهابهم و إيابهم بين أوروبا و البلاد الأندلسية.[1]

2-5 وهران بين الزيانيين و الحفصيين و المرينيين :

ظلّت وهران تحت حكم الموحدين حتى قامت الدولة الزيانية بتلمسان سنة 1236م بزعامة "يغمراسن بن زيان" [2] ، ففرضت سيطرتها عليها و على المرسى الكبير ، إضافة إلى كل قرى و مدن إقليم التيطري حتى وصلت إلى مدينة دلس شرق مدينة الجزائر ، و قد عين الزيانيون على مدينة وهران ولاة من بني راشد منهم "ابن خالاس" الذي حكمها سنة (1242م-641هـ).

ثمّ احتُلت وهران و تلمسان من طرف "أبو زكريا أبي عدنان [3] في ظل صراعه مع يغمراسن ، و استطاع هذا الأخير إعادتها إلى حاضرة بني زيان سنة (1269م-668هـ).

و في سنة(1300م- 699 هـ) حاصر السلطاني المريني "أبو يوسف يعقوب" تلمسان مدة طويلة ، أرسل أخاه أبا يحي إلى وهران فهاجمها و اقتحمها و سيطر عليها إلى جانب الكثير من مدن التيطري كمستغانم و تنس ، و ظلت وهران بين أيدي المرينيين مدة من الزمن خلال عهود : "أبي الحسن" و "أبي عدنان" و "أبي سالم" . غير أنها لم تتأثر بهذه التقلبات السياسية ، فازدهرت فيها علوم كثيرة و حرف عديدة ، و توسع عمرانها ،

---

[1] - Didier ،Ibid , pp: 310 -316.

[2] - عينه الخليفة الموحدي عاملا على تلمسان و بلاد زناتة سنة (1227 م - 624 هـ) ، و استقل يغمراسن بالبلاد عقب سقوط دولة الموحدين .

[3] -يعتبر أبو زكريا يحي الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس ، و قد استقل بإمارة إفريقية سنة 675 هـ .

و أصبحت وهران مقصد كل عالم و أديب أمثال "أبي تمام الوهراني" الذي هاجر منها إلى بجاية و استقر بها لتدريس العلوم الشرعية و الأدبية .

و في عهد السلطان المريني" أبي الحسن" تولى حكم وهران "محمد اليطري" الذي فتحها و افتَكها من الزيانيين في سنة (1335 م-736 هـ) ، و عندما ظهر الثائر" إبراهيم بن عبد المالك الكوفي" بجبال ترارة [1]سنة(1344 م-745هـ) أخذ يعمل في نشر الدعوة للموحدين على ندرومة ، فحاصر وهران و تغلب على حاكمها "عبو بن سعيد بن أجانا" ، و انتصر على القوات التي جاءت لنجدته و سيطر على المدينة .

غيرَ أنَّ السلطانَ المريني "أبي الحسن"أعاد محاصرتها في شهر صفر من سنة (1347م-748هـ) في إثر حملته الكبرى على بلاد إفريقية من نفس السنة ، و منها أرسل أسطوله البحري بقيادة " البطوي " لمهاجمة الحفصيين في بجاية و افتكاكها منهم ، و قبل أن يسير هو برا إلى تونس أمر ببناء برجين في وهران هما : برج الأمحال [2] و برج المرسى الكبير ، ليتخذهما مركزين دفاعيين لحماية وهران من الغارات الأروبية ، و مركزين تجاريين يربطا وهران في تجارتها مع بلاد الشرق و الغرب ومع الموانئ الأروبية و الإسلامية [3] .

و في هذه الفترة و بالضبط في عام (1350م-751 هـ) وُلد عالم وهران المشهور "محمد بن عمر الهواري المغراوي" بكلميتو شرق مستغانم ، و ارتبط اسمه و تاريخه بها فيما بعد ، و أصبح جزءاً من تراثها الحضاري حتى اليوم [4].

ظلَّت وهران خلالَ هذه الفترة مركزَ سيطرةٍ و نزاعٍ بين المرينيين و الزيانيين إلى أن دخلها "أبو حمو موسى الثاني" [5] يوم 13 شوال 763 هـ - 07 سبتمبر 1361 م ، و استرجعها و ضمها إلى الدولة الزيانية و هدم أسوارها حتى لا يتمكن المرينيون من الإعتصام بها مرة أخرى.

---

[1] - كلمة استعملت في القرن 16م ، لاول مرة في تاريخ منطقة ندرومة و تعني التجمعات القبلية التي تحيط بالمدينة.

[2] – يسمى أيضا بالبرج الأحمر .

[3] – Didier , Ibid , pp: 316 -322 .

[4] – يحي بوعزيز ، (وهران)، ص: 49 .

[5] – يعتبر أبو حمو موسى بن يوسف " الثاني " مُحيي الدول الزيانية ، فقد تمكن من طرد المرينيين من تلمسان و دخولها في يوم الخميس ربيع الأول سنة 760 هـ / 07 فيفري 1359 م

لقد كان لسلطان تلمسان أبو حمو مرسى الثاني ثلاثة أولاد أكبرهم أبو تاشفين الذي عينه وليا لعهده في شهر شعبان سنة (1375م-776هـ) ، و أخوه زيان الذي كان طموحا في حكم وهران ،فأراد أن يقنع أباه بذلك الذي تغاضى عن الأمرحتى سنة1377 م حيث اهَمَّ أبو حمو موسى ابنه "أبا زيان" حاكم إقليم التيطري و مدينة المدية القيام باتصالات مشبوهة مع بعض القبائل المناوئة له ، و نقله إلى حكم مدينة وهران و ولايتها سنة 1378 م ، فثار غضب ابنه و ولي عهده أبو تاشفين وأراد هو الآخر أن تكون من نصيبه وهران لما لها من أهمية و موقع استراتيجي مهم .

تَحَيَّرَ "أبو حمو موسى" لهذا الأمر ، و أمر كاتبه "يحي بن خلدون" أن يتماطل في كتابة عقد التولية التي أمرها بها لصالح أبو تاشفين" حتى يجد مخرجا يرضي جميع أبنائه ، و قد عبر عبد الرحمان بن خلدون عن هذا بقوله : "و إنما أسعفه ظاهرا ، و عهد إلى كاتبه يحي بن خلدون بمماطلته في كتابتها حتى يرى المخلص من ذلك "[1].

ظنَّ أبو تاشفين تريُّثَ كاتب أبيه عن كتابة عقد التولية عدم رضاه على حكمه لوهران و خدمةً لأخيه أبي زيان ، و ذلك بوِشاية المدعو "موسى بن يخلف" -كما يذكر ذلك بن خلدون- فدبر أبو تاشفين مكيدة ليحي بن خلدون ، و اتفق مع أحد الصعاليك و قتله في إحدى ليالي رمضان من سنة (1379م- 780 هـ).

لمَّا علم" أبو حمو موسى" بهذا الأمر سكت عنه وولى ابنه" أبو تاشفين" على وهران ، فسارع هذا الأخير إلى السلطان المريني "أبي العباس أحمد بن سالم" ليتآمر معه ضد أبيه ، و اعترضوا عليه طريقه و هو متجهه إلى الجزائر ، فعزله من العرش سنة (1386م-788هـ) ،و أرسله إلى سجن القصبة بوهران.

بعد مدة قصيرة استطاع "أبو حمو موسى" الهرب من السجن بعد أن تفطن لمكيدة القتل التي يدبرها له ابنه ، و لكنه أمنه بعد ذلك لأداء فريضة الحج ، غير أن "أبو حمو" ذهب إلى بجايةو اتصل بأميرها الحفصي فأكرمه و ساعده و انتقل بعدها إلى مدينة الجزائر ، فجمع أنصاره و تقدم إلى تلمسان و دخلها في رجب سنة (790 هـ ، 1388م) بينما فر ابنه أبو تاشفين إلى فاس و استنجد بالسلطان المريني أبي العباس فأنجده و جهز له جيشا ، فقادهم

[1] - عبد الرحمان بن خلدون، مرجع سبق ذكره ، ص: 139 -140 .

نحو تلمسان ، و اصطدم مع أبيه في ناحية الغيران بجبل بني ورنيد [1] و راء جبل بني راشد و سقط أبو حمو على فرسه و مات في غرة ذي الحجة (791 هـ - 1389م) عن عمر 68 عاماً و لم يحنِ ابنه أبو تاشفين إلا الخِزيَ و العَار ، فخدعه السلطان المريني و احتل تلمسان و فرض عليه جباية سنوية بقي يؤديها حتى توفي سنة (1393م-795هـ).[2]

2-9 أوضاع وهران خلال القرنين 9 هـ و 15 م :

رغم كل هذه الإضطرابات ظلت وهران محافظة على أهميتها الإقتصادية و الثقافية ، و ظلت الهجرة إلى وهران تزداد إرتفاعا في بداية القرن الخامس عشر ، و على إثر هذه الزيادة الهائلة يقول حسن الوزان عن مدينة وهران ما يلي :

"... وهران حاضرة كبيرة ، بلغ عدد منازلها حوالي ستة آلاف أسرة أي ما يماثل 25000 نسمة تقريباً ، و بالمدينة تتوفر جميع الخدماتِ و المرافقِ العامة من مدارس و مستشفياتٍ و مساجدَ و حماماتٍ و فنادق" ، ثم أضاف قائلا : "إنها محاطة ببرجين حصينين لتوفير الحماية لها ، الأول هو البرج الأحمر و يقع شرقها و الثاني يقع غربها على جانب المرسى الكبير لحماية الميناء من الغزوات الخارجية ، كما يوجد بها سور متين لتوفير الأمن داخلها" ، و أشار إلى ماضي المدينة قائلا : "كان معظم السكان من الحرفيين يعتمدون في غذائهم على خبز الشعير تبعا لدخلهم اليومي الزهيد ، ثم ختم حديثه بتعظيم مجاملة سكانها و خاصية استقبالهم و كرمهم للضيف"[3].

و الواقع أن وجود جميع هذه الخدمات بالمدينة محاطة بسورٍ و برجين على هذا النمط ، قد أوضح النمط الحضاري لها في ذلك الوقت المبكر من تاريخها الإسلامي .

---

[1] - Didier , Ibid , pp: 322 -327 .

[2] – ابن خلدون ، مرجع سبق ذكره ، ص: 142 – 148.

[3] – حسن الوزان، "وصف إفريقيا" ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – لبنان 1983) ، ص: 362.

و في مطلع القرنين التاسع الهجري (806 – 808 هـ) ، و الخامس عشر الميلادي (1404 – 1405 م) هاجم القشتاليون مدينة وهران ، و قرية المرسى الكبير ، و أرزيو بزعامة الكونت بيدرو نينو- Pedro NINO و لكنهم أخفقوا في مسعاهم .

و عندما "فُصِل أبو يحي الزياني" [1] سنة (1437م-840هـ) في ثورته ضد أخيه "أبي العباس أحمد العاقل المتوكل" بتلمسان ، هرب إلى وهران و اعتصم بها و اتخذها مركزا له و لأنصاره عدة سنوات ، و استمر أبو يحي على إمارته بوهران إلى شهر شعبان من سنة (1448م-852هـ) حيث اقتحمها عليه عمال أخيه "أحمد العاقل" ففر في البحر بما خف معه متوجهاً نحو المشرق فنزل بجاية ثم توجه إلى تونس و بها توفي سنة (1451م-855هـ). [2]

و بعد مرور عدة سنوات ثار "محمد المتوكل" على عم أبيه " أبي عباس أحمد العاقل " فسيطر على وهران و منها زحف إلى تلمسان فاحتلها و قبض على أبي العباس سنة (1461م-866هـ) ثمّ نفاه بعد ذلك إلى غرناطة بالأندلس ، و ظلت وهران تحت نفوذه حتى توفي فخلفه إبنه "أبو ثابت محمد الخامس" من نفس السنة .

2-7 : الإحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير :

سقطت غرناطة سنة 1492 م في أيدي النصارى الإسبانٍ معلنةً نهاية الأندلس ، فهاجر إلى وهران عددٌ كبيرٌ من مسلمي الأندلس و استقروا بها ، و تولّى حكمها في سنة (1503م-909هـ) "أبو حمو موسى الثالث" [3] أمير تلمسان ، و في عهده بدأت هجمات البرتغاليين و الإسبان على وهران و المرسى الكبير بصفة مكثفة و مركزة و كبيرة .

ففي يوم 14 أوت 1415م في عهد الملك البرتغالي "جان الأول" هاجم الأسطول البرتغالي ميناء مدينة وهران، و لكنهم لم ينجحوا في حملتهم هذه و طردوا منها، ثم حاولوا

---

[1] – من أحد أمراء البيت الزياني ، و هو أخ السلطان العاقل .

[2] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، " تاريخ الجزائر العام " ، ط7 ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر، 1994) ، ص:197 .

[3] – يُلقب بأبي قلمون بن محمد الرابع ، انتصب قهرا على عرش تلمسان سنة 909 هـ بعد أن عزل ابن أخيه محمد السابع .

الكرة في سنة 1471م على يد ملكهم "ألفنسو الخامس- Alphonso" و احتلها لمدة سبع سنوات ، ثم أُرغم على الجلاء منها من طرف السكان. [1]

و بعد عشرين سنة من هذا التاريخ هاجمها الإسبان سنة 1497م بقيادة الدوق "دومدينا سيدون"ا و لكنهم فشلوا في حملتهم هذه فاتجهوا إلى مدينة مليانة بالمغرب الأقصى وسيطروا عليها ، ومطلع القرن السادس عشر الميلادي تزايدت غارات الإسبان ضد وهران و المرسى الكبير في سلسلة الحروب الصليبية التي أعلنتها اسبانيا على مسلمي المغرب العربي بعد أن استرجعت أرضها ببلاد الأندلس.

ففي سنة 1502م قاد "دون خوان دومينيسو" حملة بحرية للملك "دون ميقيل- Donmiguel " وهاجم غرب المرسى الكبير و عيون الترك ، وما إن أنزل جنوده إلى البر حتى قاومه سكان المنطقة فطردوه و أسروا له 35 رجلا ثم اعتقلوهم في قَلعةٍ برج المرسى الكبير.

و بعد ثلاث سنوات عاد "الماركيز قوماريس- Le Marquis Gomares " بحملة بحرية كبيرة ضمت خمسة آلاف رجل ذهب بها إلى قرية المرسى الكبير غَرب وهران فحاصرها خمسون يوماً ، ثم احتلها في 23 أكتوبر 1505م و طُرِد سكنها منها وحُوِّلَ مسجدها في الحال إلى كنيسة سموها كنيسة "القديس ميقيل"[2] ، و بعد عامين من هذا الإحتلال حاول الإسبان عزو قرية مسرقين[3] و أحوازها بمساعدة قبيلة "بني عامر" ، لكنهم تعرضوا إلى هزيمة ساحقة بعد أن انقلب عليهم السكان و الفلاحون الذين زالت عنهم دهشة المفاجأة ، فقتلوا منهم حوالي ثلاث آلاف رجل وأسروا عددا آخر ولاحقوا الفارين إلى ما وراء أسوار المرسى الكبير.[4]

و في سنة 1509م ، أتم الكاردينال "كزيمنيس- Ximenés "إستعداداته العسكرية و أبحر بنفسه في منتصف شهر ماي صحبة القائد "بيدرو نافارو-Pedro Navarro " على رأس خمسة عشر ألف رجل ، فنزل بالمرسى الكبير و اتجه إلى مدينة وهران و استعان ببعض

---

[1] – يذكر ديدي بأنه هو وحده الذي اختص بهذه الرواية حول احتلال البرتغاليون لوهران في هذا التاريخ ، أمـا غيـره و خاصة الباحثون البرتغاليون فلم يذكر منهم أحد هذه الرواية . أنظر : ديدي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 245 – 262 .

[2] – تم هذا الإحتلال في عهد السلطان الزياني أبو حمو موسى الثالث الذي يُلقب "ببوقلمون".

[3] – قرية صغيرة تقع في جنوب وهران بحوالي 12 كلم .

[4] – أحمد توفيق المدني ،"حرب الثلاثمائة بين الجزائر و إسبانيا 1942– 1792 "، ط2 (الجزائر– 1976)، ص:96-109.

الخونة من سكانها[1]، ففتحوا له أحد أبواب المدينة غدراً و خديعةً ، فاقتحمها هو وجنوده و هاجموا السكانَ بوحشية لا نظير لها و قتلوا أربعة آلاف رجل ، و أسروا ضعفهم ، و أسالوا الدِماء ليل نهار حتى احمرَّت مياه البحر.

قام "كزيمنيس" بعدها بتحويل كل مساجد المدينة إلى كنائس منها مسجد البيطار ، و أنشأ حصونا و معاقل جديدة لتحصين أنفسهم من أي هجومات قد يشفها السكان عليهم ، كما نهب كل ما وجده ذا أهمية بالمدينة من تحف و نفائس و كتب وصادرها إلى إسبانيا ، وحرَّر 300 أسيراً مسيحياً ، و أَوكَلَ مُهمَّة استخلاص الغرامات من السكان إلى اليهوديين "سطورة" و "بن زهوة" ، كما أرغم الإسبانُ "أبو حمو الثالث" أمير تلمسان على الإعتراف بهم ، و قَبِل أن يدفع لهم جِزية سنوية بمبلغ 12 ألف أوقية ذهبية و 12 فرسا و 06 صقور.[2]

[1] – ساعده في ذلك "سطوره المكاس اليهودي الإشبيلي" و"عيسى العربي"و"القايد بن قانص" الذين فتحوا للإسبان باب المرسى ، أنظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، نفس المرجع ، ج 2 ، ص: 203 – 204 .

[2] – المدني ، "حرب الثلاثمائة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792"، ج 2 ، ص: 203 – 204 .

2-8 وهران في ظل دولة الأتراك :

في سنة 1516م جاء الإخوة الأتراك الثلاثة : "عروج ، خير الدّين ، إسحاق"[1] إلى مدينة الجزائر بعد أن استنجدهم سكان جيجل ضد قلعة البينون الإسبانية أمام المدينة [2]، وكان هؤلاء الإخوة الثلاثة على دِراية بأطماع إسبانيا في بلاد المغرب العربي و جهودهم الأساسية هي تحرير هذه البلاد من السيطرة الإسبانية . فبعد أن استقروا في مدينة الجزائر و أخضعوها ، إتجه عروج إلى مدينة تنس ليُصَفِّي الحساب مع أميرها المتآمر مع الإسبان ، فتم ذلك سنة (1517م-923هـ) ثم اتجه إلى تلمسان لنفس الغرض بعد أن ترك أخاه "إسحاق" بقرية سيدي راشد[3] على رأس 500 جندي ، و عندما وصل عروج إلى تلمسان طَرد حاكمها الخائن "أبو حمو الثالث" و أعاد سلطانها الشرعي "زيان"، غير أن السلطان "أبو حمو الثالث" إستعان بإسبان وهران الذين انتظروا ذلك بفارغ الصبر ، فأمدُّوهُ بقوّات كبيرة هاجم بها "إسحاق" شقيق "عروج" بقلعة بني راشد و قتله ، ثم هاجم تلمسان و غدر بعروج و قتله خلال انسحابه إلى الناحية الغربية في سنة 1518م[4] [5] .

---

[1] – هم الإخوة باربا روس جاءوا من آسيا الصغرى بعد الإضطرابات التي عاشتها الدّولة العثمانيّة في عهد السلطان سليم الأول (1512 م، 1520 م) واستقرّ بهم المقام بالحوض الغربي من البحر المتوسط ، فكان عروج في هذه الفترة (أي سنة 1512 م) يملك أسطولاً بحرياً صغيراً قوامه 12 سفينة مرابطة على سواحل جزيرة جربة بتونس .

[2] – لم تدخل الدّولة العثمانية إلى الجزائر تحت لواء القهر و الظلم ، بل اختارت ذلك عن طواعيّة و محض الإرادة ، وذلك لأسباب سياسية وعسكريّة تمثّلت في الخطورة التي كانت تحاك ضد المدن المغربية و الأندلسية من مآمرات الإبادة و السّجون الذي تعرّض لها مسلمو الأندلس من قبل ملوك النّصارى الإسبان ، ذلك ما أوحى لهم الإستنجاد بإخوانهم على الشّواطئ المغربية ، فتمّت الموافقة على ذلك و انطلقت السفن المغربية من سواحل مراكش والمغرب الأوسط ــ الجزائر ــ اتجاه السّواحل الأندلسيّة لتعود بعد ذلك لمواقعها بالمغرب ، إلاّ أنّ ردّ فعل الإسبان و البرتغاليين كان أعنف، حيث هاجموا السّواحل المغربية واحتلّوا مواقع إستراتيجيّة هامّة قاموا بتحصينها و إمدادها بالجيش و المؤن و من أهمّ تلك المناطق التّي احتلّها الإسبان : مدينة مستغانم و المرسى الكبير بوهران سنة 1505 م و ميناء الجزائر سنة 1508م وبجاية سنة1512 م. وقد قام السّكان المحلّيون حينها بعدّة مقاومات محاولين في ذلك صدّ الهجمات الإسبانية إلاّ أنّها باءت بالفشل ، الأمر الذي دعاهم في سنة 1514 م إلى الاستنجاد بقوّةٍ إسلامية تمثّلت في الدّولة العثمانية التي كانت مرابطة بمرسى حلق الوادي و جزيرة جربة بتونس بعد أن اتّخذتهما معاً قاعدتين هامّتين للتّصدّي و شنّ الحملات العسكرية على السّفن المسيحيّة. أنظر :- يحي بوعزيز ، " الموجز في تاريخ الجزائر" ، دار الطّليعة للطباعة و النّشر ، (لبنان ، 1965)، ص:136 . وكذلك : – محمد عبد العزيز الشّناوي ، " الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترىً عليها" ، ج2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، (القاهرة ، 1980) ، ص : 899 ، وكذلك:

- Gaid Mouloud , L'Algérie sous lés turcs , S-N-E-D , Algér , 1974 , p: 34 .

[3] – تسمى "هوارة" و هي بلدة صغيرة من ولاية وهران تبعد عن مدينة معسكر بحوالي 25 كلم و عن مستغانم بنحو 65 كلم .

[4] – المدني، "حرب الثلاثمائة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792"، ص: 184 – 193 .

[5] -كان ذلك قرب مقطع وادي الملح على مسافة قريبة من وجدة و ذلك في شهرماي 1518م- 924 هـ ، أنظر: عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سبق ذكره ، ص: 43 – 44 ، وكذلك : (مؤلف مجهول) ، "غزوات عروج و خير الدّين" ، تحقيق نور الدّين عبد القادر ، المطبعة الثّعالبية و المكتبة الأدبية ، (الجزائر ، 1934) ، ص : 13 .

ومجمل هذا القول موجودٌ في مخطوطٍ من خزانة الشيخ البشير المحمودي هذا نصّه :

« إنّ سبب مجيئهم [1] للجزائر على ما في لوحة الناشر لأبي عبد الله محمد بن عسكر الشريف و الذيل للشيخ أحمد بابا و غريب الأخبار للحافظ أبو راس هو تغلُّبُ النصارى على السّاحل ولّما رأى ذلك العلاّمة ولي الله أبو العباس الشّيخ أحمد القاضي الزّواوي كتب إلى السّلطان سليم [2] بذلك فبعث للجزائر الباشته خير الدّين حسن بن مدليّة و شقيقه عروج و إسحاق ، ولّما قُتل إسحاق بالقلعة [3] وعروج بميناء بني يزناسن تخوَّف خير الدّين من الشّيخ أحمد بن القاضي و قتله فمات شهيداً رحمه الله و القصّة مشهورة فلا نطيل بها و اختلف في وقت مجيئهم للجزائر على خمسة أقوال بعض المؤرِّخين أنّهم ملكوا الجزائر سنة تسع و تسعين و ثمانمائة و استولوا على تلمسان سنة واحدو أربعين سنة و تسعمائة .....

وقال الحافظ أبو راس في زهرة الشّماريخ و الحافظ أبو عبد الله محمد بن عسكر الشّريف في دوحة الناشر أنّهم ملكوا الجزائر في أوّل القرن العاشر يعني في العام الأوّل من القرن العاشر.

وقال الشّيخ عبد الرّزّاق الجزائري ملكوا الجزائر في خمسة عشر من القرن العاشر وبه قال شيخنا اليفريني في زهرة الحادي ملكوا الجزائر في ثلاث وعشرين من القرن العاشر وبه قال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار ، وأمّا الشّيخ عبد الرّحمٰن الجامعي فإنّه قال في بضع عشرين من العاشر فقد أجمع وقال الحافظ أبو راس في موضعٍ آخر من زهرة الشّماريخ إنّهم ملكوا الجزائر العام الخامس و العشرين من القرن العاشر كما مرّ قريباً وبه قال السيّد محمد مسلم بن القادر الحمري في رجزه بقوله :

في عام كهّ من القرن العاشر *** كان ابتداء الترك للجزائر ومكثوا في بَرِّ الجزائر مالكين على الأوّل ثلاثمائة وستّة و أربعين سنة ، وعلى الثاني ثلاثمائة و خمسا و أربعين سنة ، و على الثالث ثلاثمائة و ثلاثين سنة ، وعلى الرابع ثلاثمائة واثنين و عشرين سنة، و على الخامس ثلاثمائة و عشرين سنة . قال الشّيخ مسلم بن عبد القادرالحميري في رجزه :

و امتدّ ملكهم بها كافا و سنين *** حتى إذا كمل الوعد كان البين [4]

---

[1]- يعني بها الأتراك .
[2]- سليم الأول من خلفاء الدولة العثمانية و عظمائها .
[3]- هي قلعة بني راشد الموجودة بالغرب الجزائري .
[4]- مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، (دبلوم الدراسات المعمّقة غير منشورة) ، جامعة الجزائر في 1981 ، ص : 14- 15 .

و في الأربعينات من القرن 16م عُين "حسن بن خير الدين" بايلربايا على الجزائر فحاول أن يحرر وهران و تلمسان من الإستعمار الإسباني[1] ففشل في ذلك وسحبته الدولة العثمانية و عوضته "بصالح رايين" سنة 1552م الذي حرر تلمسان و بجاية ووجه أنظاره لتحرير وهران ففاجأته الموت عن إكمال مهمته وخلفه في ذلك رفيقاه : "القائد يحي" و "حسن قورصو" اللذان اتجها إلى وهران و فرضًا الحصار عليها و فتحا حصن رأس العين ، و لكنهما لم يكملا الحملة إذ استدعاهما بايلرباي الجزائر ليساعداه في مواجهة حملات القرصان الإيصالي "أندري دوريا الجنوي".

و على إثر عودة "حسن بن خير الدين" بايلرباي على الجزائر للمرة الثانية سنة 1557م ،إهتم بأمر تحرير وهران وجهز جيشا بريا و بحريا لهذا الغرض ، فسمع حاكم وهران الإسباني "الكونت ألكوديت" بذلك وَجَهز هو الآخر أسطولا بريا و بحريا اتجه به إلى مستغانم ، و التقى الأسطولين البحرين في خليج أرزيو يوم 23 أوت 1558م ، و ألحقت الهزيمة حينها بالإسبان و استولى الأتراك على أموالهم و أسلحتهم و بواخرهم .

أما برا فقد اتجه "الكونت ألكوديت" بجيشه إلى مستغانم أين سبقه إليها حسن بن خير الدين و نظم فيها المقاومة و الدفاع ، فلم يستطع الإسبان الحصول على مبتغاهم ففروا إلى قرية "مزغران" أين استقبلهم سكانها بقتال مرير ، فقتلوا منهم و أسروا عددا كبيرا ، و أرسلوا جثة "ألكوديت" مع إبنه "دون مارتان" إلى وهران.[2]

و بقيت الأمور على حالها إلى أن أعيد "حسن بن خير الدين" بايلرباي على الجزائر للمرة الثالثة سنة (1563م – 969 هـ) مُعززاً بعشر سفن حربية و مزودًا بقوات عسكرية مسلحة ، وإن أول عمل قام به في ولايته هذه هو أن غزا وهران في ربيع السنة التالية وكاد أن يتم انتصاره على قوات الإسبان المقيمة بوهران لولا ما لحقها من النجدات (55 سفينة حربية) و أصبح الإسبان بذلك متفوقين، فرأى "حسن بن خير الدين" عدم تكافؤ قُواته معها وانسحب غضبانا أسفا –حتى لا يتعرض لكارثة– إلى الجزائر سنة (1567م–974هـ) منقطعا إلى إتمام إصلاحاته و تنظيماته الإدارية بها ، بشكل يسمح بضبط أمورها أحسن و التغلب على المشاكل الصعبة ، إستعدادا للمعارك المقبلة.[3]

---

[1]- Revue Africaine , 1943 , Page 298, Raport official de 1738 .

[2] – يحي بوعزيز، "وهران" ، ص: 72 –73 .

[3] – عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سبق ذكره ، ج 3 ، ص: 93 – 94 .

و مع مطلع العشرية الثالثة من القرن السابع عشر (1622 م) حاولت القوات التركية مهاجمة الإسبان في أحواز مدينة وهران مرات عديدة ، و خاضت معهم معارك كثيرة ، لكن ذلك لم يكن له تأثير كبير على المنطقة ، و انشغل كل طرفٍ بأموره الخاصة ، كما تقلَّد حكم بايلك الغرب[1] بايات كثر بعد "حسن بن خير الدين" أمثال الباي "شعبان الزناتي" و الباي "أبو خديجة"سنة 1564 م وبايات آخرون لم يكن لهم شأن يذكر ، إلى أن استولى أمر البايلك الباي الشجاع "شعبان الزناتي" .

ففي سنة (1679م-1098هـ) تولى الباي "شعبان" أمر بايلك الغرب بأمر من باشا الجزائر "شعبان آغا" [2]، فأسرع الباي شعبان إلى شن غارات دورية على مدينة وهران حتى جاءت سنة 1686م أين أعد حملة كبيرة حشد فيها ثلاثة آلاف رجل أغلبيتهم من الفرسان ، ووفر لهم كل ما يلزم من العدة والذخيرة، ثم خرج من معسكر قاصدا وهران فالتقى بالجيش الإسباني في مكان يعرف "بكدية لخيار" فهزمهم و شتت شملهم ، و لاحقهم إلى أسوار المدينة . غير أن الخونة من بني عامر ساعدوا الإسبان على قتل الباي "شعبان".

و بمقتله انسحب جنوده متأثرين ، فحاول بعده الباي "إبراهيم خوجة" إعادة حملة أخرى في العام الموالي ، إلا أن الباشا بالعاصمة استدعاه لمواجهة حملة الماريشال "دوستري" الفرنسي على العاصمة فامتثل لأمره و انسحب .

ولم يزل سكان وهران و أحوازها يَستصرِخُون بوُلاَّة الجزائر و قادتها و يبعثون فيهم الحماس لإنقادهم من نير الإسبان حتى هب لنجدتهم الداي "محمد البكداش"[3] فجهز لغزوها جيشا يحتوي على ثمانية آلاف و خمسمائة جندي نظامي منهم طلبة العلم و تلامذة المعاهد والزوايا ، وخرجت الكتائبُ ممتطيةً السُّفن يقودها "حسن وزان" صهر الداي في فاتح ربيع الأول 1119هـ - 02 جوان 1707م ، وكان على رأس الجيش حاكم بايلك الغرب الباي "مصطفى بن يوسف بوشلاغم المستاري[4] الذي اتجه بالجيش إلى وهران ، و عندما

---

[1] – على إثر التغيرات التي أتاحها حسن بن خير الدين سنة (974 هـ –1567 م) بإدارة الجزائر ، قسم القطر الجزائري إلى أربع مقاطعات : بايلك الجزائر المعبر عنها بدار السلطان و قاعدته العاصمة ، و بايلك التيطري و مركزه بالمدية ، و بايلك الشرق و قاعدته قسنطينة ، و بايلك الغرب بمازونة ثم تحول إلى معسكر و أخيرا إلى وهران كما سيأتي ذكره .

[2] – يقال إنه برتغالي الأصل و قد تولى منصب الأغوية بالجزائر سنة (1071هـ– 1661م) .

[3] – جلس على أريكة الحكم يوم الجمعة آخر شهر ذي القعدة 1118 هـ – فيفري 1707 م .

[4] – تولى حكم البايلك سنة 1733 م .

وصل إليها حاصرها ببرج العيون[1] يوم (14 جوان 1707م - 1119هـ) و فتحه في (8 سبتمبر) من نفس السنة ،ثم فتح بعده حصن الجبل (سانتاكروز) في الخامس و العشرين من شهر سبتمبر ، ثم اتجه إلى حصن بن كبيسة اليهودي ، فوضع عليه حصار مدة شهرين كاملين لحصانته ، و تم فتحه يوم (06 نوفمبر 1707م- شعبان 1119هـ) ، و قد أسر الأتراك بهذه القلاع حوالي الألف إسباني ،كما استحوذوا على الأطنان من الذخائر و الغنائم التي وجدوها داخل الحصون. إتجه الجيش الإسلامي بعد ذلك إلى وهران ، فاقتحمها يوم (20 جانفي 1708م- 26 شوال1119هـ) بدون مقاومة تُذكر، ثم أحاط البرج الأحمر و البرج الجديد و قاوم من بداخلها يوما كاملا حتى استسلموا و كان عددهم 560 رجلا ، و دخل المسلمون إليهما و استولوا على كل الأموال و الذخائر التي وجدوها بها ، وكان ذلك في يوم 14 فيفري 1708م .

على إثر ذلك فرّ حاكم وهران و كبار ضباطه إلى برج المرسى الكبير فلحقه المسلمون و حاصروه من كل جهة حتى فتحوا ثغرات في جدرانه بالقنابل ، ثم اقتحموا البرج و فتحوه يوم (16 أفريل 1708م- 13محرم 1120هـ) وقتلوا من كان به من الجنود و المدافعين و كان عددهم حوالي ثلاث آلاف و إمرأة ، كما استدل الباي بوشلاغم دماء الخونة من بني عامر المتعاونين مع الإسبان [2] .

و على إثر هذا الإنتصار العظيم نقل الباي "بوشلاغم" عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران و شرع في تجديد عمران مدينته الجديدة و دعم مركزه فيها وفي باقي جهات الغرب الوهراني ، إلاّ أنّ فرحته لم تكتمل ، فقد عاد الإسبان إلى وهران مرّة أخرى بقوات ضخمة تعدُّ بـــ:30 ألف رجل و 525 سفينة و 720 مدفعا و كميات هائلةٍ من الذخائر الحربية[3] حطت رحالها بوهران في 5 محرم 1145هـ - 29جوان 1732م ، ونزل الجيش بعيون الترك و تقدم على المرسى الكبير و وهران ، فواجهته القوات الإسلامية ، إلا أن عدم تكافؤ القوتين أرغم الباي "بوشلاغم" على الإنسحاب من المدينة و إخلائها في شهر جويلية

---

[1] - يقال له أيضا : " حصن العيون " " و برج الونيسي" نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى "بابن الونيسي" ، و قد شيده الإسبان لحماية العيون التي يستقي منها أهل البلاد ، و يعرف عند الإسبان بـــ: (Castillos Fernando) ، أنظر: محمد بن ميمون الجزائري ، مرجع سبق ذكره ، ص: 212 .

[2] - المرجع نفسه ، ص: 245 ، 249. وكذلك : عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سبق ذكره ، ص: 208 - 214.

[3] - كانت هذه الحملة بقيادة الكونت "مونتيمالر".

من نفس السنة عائداً إلى معسكر، فتأسف الناس جميعا لذلك ، و لازم الداي بابا عبدي بالجزائر العاصمة حتى توفي كمدا من شدة تأثره بالنكبة.

وكان من ضمن ما أُوخِذَ عليه الباي "بوشلاغم" هو عدم تحطيمه و تخريبه لحصونِ المدينة التي وجدها الإسبان جاهزةً عندما عادوا إليها و استعملوها بسرعة في تدعيم مواقعهم و تحصينها.

بـــَعد هذه النَّكبةِ العظيمةِ التي حلَّت بوهران مالت الكفَّة لصالح إسبانيا قرابة نصف قرن، فضعف حكم التيطري ، و قلت ردود فعل المسلمين لاسترجاع عاصمتهم المفقودة ، و أصبحت بايلك الغرب مسرحا للفتن و الحروب الداخلية و خاصة على مستوى جهازها الإداري . كان ذلك يحدث أمام مساعي إسبانيا في عقد صلح مع الجزائر كإتفاق 1776م حول تبادل الأسرى ،واتفاق 1783م،غير أن أحقاد إسبانيا المتأصلة جعلتها تنقض كل عهودها و تحاول إحتلال مدينة الجزائر في سنة 1783م . لكن مشيئة الله حالت دون ذلك ، و بقيت وهران تحت نفوذ الإسبان حتى بعث الله إليها القائد المغوار عثمـــــان الكبير.

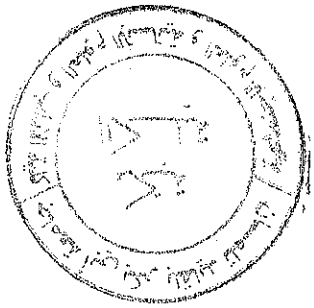

2-9 القضاء النهائي على النفوذ الإسباني بوهران :

رغم الإتفاقية المبرمة ما بين حكومتي الجزائر و إسبانيا سنة (1784م-1198هـــ) والتي تشيرُ إلى جلاء الإسبان من وهران و المرسى الكبير ، فإن الإسبان تلكأوا على ذلك وحاولوا الحصول على امتيازات لإنشاء مراكز تجارية بها رغم الرفض الذي وقع من الحكومة الجزائرية ، واستمر الوضع على حاله إلى أن جاء عهد الداي "بابا حسن".

إنّ أوّل عملٍ قام به هذا الداي في مهام حكومته هو أن أمر بغزو وهران وإزالة الحكم الأجنبي عنها ، وإعادتها دار إسلام كما كانت ، فغزاها بأمره باي المغرب "محمد بن عثمـــــان الكبيـــر"[1] مرتين : (1780م-1784م) ، (1194هـــ-1198هـــ) وخاب فيهما معا بسبب معاكسات جوية وتغير أحوال الطقس . وفي يومي 8و9 أكتوبر 1790م

[1] – هو محمد بن عثمان الكبير الكردي ، يسميه العرب من الناحية الغربية "محمد الأكحل" لأنه كان أسمر اللون ، ولاه الباشا محمد بن عثمان سنة 1779م على أمر بايلك الغرب لما توسمه فيه من فضائل الشهامة والصدق والحزم ، وإجابة-

الموافق ل 1 صفر 1204 هـ ضرب زلزال مدينة وهران على السّاعة الواحدة صباحاً قُتل فيها أزيد من ثلاثة آلاف شخص من سكانها الإسبان ، فتحطمت بذلك معنوياتهم وضعف مركزهم وقوتهم ، فاستغل "محمد بن عثمان" الفرصة وجمع ما أمكن جمعه من رجال وعتاد ، وزحف على وهران للمرة الثانية ، فحاصرها مدة ثلاث أشهر وضيق على الإسبان الخناق ، وتواصلت المعارك طوال صيف و خريف سنة 1791م في كل مرة يتقدم الجيش الإسلامي خطوة نحو المدينة ويحصن مواقعه ، فضاع بذلك أمل الإسبان في الإحتفاظ بالمدينة ، ودخلها المسلون في يوم 5رجب سنة 1206هـ -29 فبراير 1792م بعد إستعمارٍ دام 260 سنة.

سارعت إسبانيا بعد ذلك إلى إبرام معاهدةِ صُلحٍ مع الباشا "باباحسن" على لسان ملكها "كارلوس الرابع"، نصت بنودها على الأمور التالية:

1- تنسحب إسبانيا من وهران و المرسى الكبير دون قيد أو شرط.

2- تدفع إسبانيا للجزائر مبلغ 120ألف فرنك سنويا، مقابل السماح لها ببناء مؤسسة قرب المرسى الكبير.

3- تُعيد إسبانيا للجزائر كل ما غنمته من وهران سنة 1732م من مدافع وأسلحة.

4- تَسمَح الجزائر لإسبانيا بشراء ثلاث آلاف كيلة من القمح الجزائري سنوياً.

5- يُسمح للإسبان بإلتقاط المرجان من شواطىء الجزائر الغربية.

6- تَحمِلُ سفينة إسبانية بصفة رسمية مفتاحين ذهبيين إلى اسطنبول رمز استسلامِ مدينة وهران والمرسى الكبير مع جرتين من ماء عيون وهران يقدمها الإسبان كبشرى للسلطان العثماني "سليم خان الثالث" بهذا الفتح ، وتأكيداً للرابطة الودية مع دولة آل عثمان.[1]

أمرَ الباي "محمد بن عثمان الكبير" بعد ذلك بتقويضِ جميع الحصون التي كانت ملجأً للإسبان في حروبهم مع المسلمين بوهران ، مثل:برج مرجاجو ، وبرج رأس ،العين الكبير

-للرغبة العامة التي أبداها أهل تلك الناحية . أنظر : أحمد توفيق المدني ، "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (الجزائر، 1986) ، ص:140-141.

[1] - عبد الرحمن الجيلالي ، نفس المرجع ، ص:267-268 .

والصغير، وذلك حتى لا يقع في الخطأ الذي وقع فيه الباي بوشلاغم سنة (1708م-1120هـ)، ويومئذ تبارى شعراء الجزائر وأدبائها في نظم التهاني بهذا الإنتصار العظيم ،وأرخ هذا الفتح الحاج عبد القادر بن السنوسي بن رحو بنظم قال فيه:

بُشرى لنا قد بلغنا غايةَ الأرب بفتحِ وهران ذات العجب والعجب .

أرخت القوم ذاك العام مبتدراً قالوا فما الشهر منه يا أخا العرب .

فقلت في نظمٍ ما رموا أو أوْرفه وهران طار لها الإسلام في رجب 1206هـ.

ثمَّ قام الباي بعد ذلك بنقل مركز حكومته إلى وهران نهائياً ،وهاجر إليها كثير من سكان المدن المجاورة حتّى من :وجدة وفاس ومكناس ،إذ كان الباي يعمل على اجتذاب السكان إلى المدينة وتعميرها من جديد خاصة بعد زلزال 1790م الذي قضى على النواة الأولى للمدينة (القصبة) ،ثم أخذ في تشتيت القبائل الموالية للإسبان واستقطب اليهود ومنحهم أحسن الأراضي التي تقع عند الضفة الشرقية للوادي . وأصبح ميناء وهران منذ سنة 1795م يُمثل رباطاً قويا للتبادل التجاري بين أوروبا وإفريقيا ،وتوطدت علاقته التجارية أكثر بموانىء إسبانيا ومرسيليا وجنوه والبندقية. وهكذا نجد الأوضاع تتغير بسرعة فائقة حيث لم تدم فرحت انتصار المسلمين بوهران سوى ثمانٍ وثلاثينَ سنةً حتّى نزلت بالجزائر و وهران نكبةٌ و كارثةٌ جديدة و انهزامٌ آخرٌ و صليبيّةٌ ثانيةٌ و هو الإحتلال الفرنسي سنة 1831م[1].

[1] – بشير مقيبس، مرجع سبق ذكره ، ص: 90 .

المبحث الثالث : الحياة العامة للمدينة

1- الحياة الإجتماعية :

بذل محمد الكبير كل جهوده لتنشيط حياة عاصمته الجديدة بعد تعيينه مباشرةً كباي وهران ، فاعتنى في أوّل الأمر بتعميرها ، ولذلك وجّه نداءً إلى سكان المدية و مليانة و تلمسان و معسكر لتعمير وهران ، كما سمح لبعض العائلات الإسبانية بالبقاء بالمدينة و لكن هذه الأخيرة طلبت بعد مدّةٍ قصيرةٍ الرّجوع إلى وطنها وهكذا لم يبق بوهران إلاّ أوروبي واحد هو دومينيك قالاردو الذي أسلم و أصبح صائغ الباي .

و أخيراً ، أذن للمسلمين الذين كانوا قد ساعدوا الإسبانيين بالإستقرار بوهران و عاهدهم بأنّه لن يُعاقبهم على الأعمال الجنائية التي ارتكبوها قبل ذهاب الإسبانيين . وحتى ينشط التجارة باع بثمن قليل جدّا أراضي موجودة بين القصر الجديد و برج القديس أندراوس بشرط واحد وهو أن تبنى المباني في أماكن معينة و سلمها ليهود من ندرومة و مستغانم و تلمسان و معسكر .

أمّا في ما يخص الأملاك الخاصة التي تركها الإسبانيون ، فباع الباي البعض منها و أهدى الباقي بأحكام صدرت منه ، كتبها خوجته و ختمت بخاتمه ، وفي نفس الوقت الذي عمّر فيه مدينته و نشّط تجارتها ، أعطاها نظاماً إدارياً وعسكرياً يسمح لها بأن تلعب دورها كعاصمة ناحية الغرب الجزائري بصورة حسنة .[1]

2- الحياة الإقتصادية :

تُعتبرُ مدينة وهران نقطة اتصالٍ بين المغربين الأوسط و الأقصى و بوابة إفريقيا بالنسبة لبلاد أُوربا ، كما تتمتَّعُ بطرقٍ برِّيَّةٍ بين الشمال و الجنوب وزادها المرسى الكبير إهتماماً بحيث حفّزها على الإتصال بالعالم الخارجي المسيحي ، و لهذا يجمع الرحالة

[1] - رشيد بورويبة ، " وهران " ، فن و ثقافة ، (نوفمبر 1983) ، ص : 121 ، 122 .

و الجغرافيون على تحديد موقع وهران و طرق المواصلات مع التأكيد على الطابع التجاري للمدينة فها هو ياقوت الحموي يصف أهلها قائلا : " و أكثر أهلها تجارا ". لقد عَرفت المدينة منذ عهدها الإسلامي الأول إزدهارا في الإقتصاد ، إذ تعلم أهلها التجارة في مواد : العاج و جلود الأنعام و الأبقار و الأغنام ، و تبر الذهب ، و الحبوب و الخضر و غزل النسيج و دباغة الجلود و صناعة السيوف و السكاكين ، و غيرها ، و كَثُر عليها تردد تجار مدن: بيزة ، البندقية ، جنوة ، مرسيليا ، القطلانيون ، ليشتروا مما تشتهر به من بضائع ، و يبيعوا سلعهم التي يحملونها إليها مثل : الأسلحة و الأقمشة و الأدوات الحديدية و الزجاجية و غيرها . كما ازدهرت في هذه المدينة صناعة الصوف و البارود و الأواني و الدباغة و الجلود و غيرها . و زادت منازلها و تعددت مساجدها و فنادقها و مدارسها و مبانيها العامة ، و أصبحت وهران إحدى المحطات التجارية الهامة التي تعد وتنطلق منها القوافل التجارية إلى أعماق الصحراء الكبرى ببضائع الشمال ، عبر سعيدة و خيثر و عين الصفراء و واحات توات ، إلى مدينة تمبكتو بمالي ، لتعود إليها ببضائع الصحراء بعد ذلك .[1]

كما لا تزال وهران حاليا ذو أهمية تجارية و اقتصادية في المنطقة و حتى على المستوى العربي ، فمن ناحية الزراعة يعد إقليمها من أهم الأقاليم الجزائرية المنتجة لمختلف أنواع المحاصيل ، ويعتبر سوقها أهم سوق إستهلاكية في الغرب الجزائري ، حيث تستوعب المدينة معظم إنتاج الحبوب و الفواكه و الخضر . بالإضافة إلى المواد الخام الزراعية الأخرى ، التي تدخل في الصناعة كالحلفاء والدوم وغيرها ، خاصة وأنَّ أهمَّ الأراضي المحيطةِ بوهران غير صالحة للزراعة كجبال مرجاجو من الناحية الغربية و مرتفعات أرزيو من الشمال الشرقي ، و التربة الملحية و السبخة الكبرى في الجنوب.

و من ناحية الصناعة فهي بالكاد تكون أهم منتج صناعي في الإقليم وذلك لتنوع صناعاتها و حداثتها ، حيث تجمع مصانعها بين صناعات أساسية مثل: مصانع مؤسسة صناعة الزجاج و الكريستال ، و مصنع مؤسسة الآلات الميكانيكية و الفلاحية ،وصناعة

[1] – يحي بوعزيز ، "طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون في القرن 19 م" ، مجلة الثقافة ، عدد 59 (الجزائر، 1980) ، ص: 13– 30 .

أرزيو البيترولية و الغازية ، و غيرها من الصناعات التي تستمد موادها الأولية الرئيسية من داخل الإقليم و قد تتخطاه في معظم الأحيان إلى أبعد من ذلك .

كما تمثل الوظيفة التجارية أهم جانب في العلاقات الإقتصادية بين مدينة وهران و إقليمها، لأنها تقوم بدور الوسيط بين معظم إقليمها بل و الأقاليم الأخرى . إذ يلاحظ فيها بأن عملية توزيع السلع هي أهم أوجه النشاط الإقليمي لها إلى جانب أهمية وظيفة التجميع و التخزين ، و ذلك سواء كانت تتم عن طريق تجارة التجزئة أو تجارة الجملة.[1]

3 - الحياة الثقافية :

تتمثل العلاقات الثقافية في الخدمات التعليمية و الأدبية و الفنية و الثقافية و الترفيهية التي تقدمها المدينة إلى من يريد الحصول عليها سواء لسكانها أو سكان إقليمها .وإذا كانت مدينة وهران تُوصَف بأنها مركز إشعاعٍ ثقافي في إقليمها نظراً لتمركز المؤسسات التعليمية و الثقافية فيها بمختلف أنواعها: كالمسرح، و قاعات المعارض الفنية و دور السينما،والنَّوادي ،والمكتبات العامة ،والمعاهد العليا ،إلى غير ذلك . فلا شكَّ أن الدَّور الذي تلعبه هذه المؤسسات قد يختلف من نشاط إلى آخر ، و بالتالي إلى تفاوت في الإتساع و الإتجاه . فمثلا هناك مسرح ضخم بوهران و هو مسرح "عبد القادر علولة"الذي يعتبر فريدا من نوعه في الغرب الجزائري ، إلا أن نشاطه يكاد يكون محدودا للغاية على مدار السنة ، حيث أنه لا يشترك بعروضه المسرحية إلا مرة أو مرتين في السنة ،ولا يتعدى مجال تأثيره معمور وهران . أما النّوادي و المكتبات العامة فهي تقتصر على أبناء المدينة نفسها لأنها محدودة النشاط أيضاً و من المؤسَّسات الثقافية السّابقة ،هناك دُورُ السينما التي وَجدت فيها نشاطا حيويا لا يقتصر على سكان المدينة فحسب ، و إنما يتعدى إلى بعض المناطق المحيطة مباشرة مثل: السانية ، المرسى الكبير ، مسرغين ، في دائرة نصف قطرها 25 كم ، و هي المناطق التي تحظى بنصيب أكبر من ذلك النشاط ، أما المناطق الأخرى التي تقع خارج هذه الدائرة ،

[1] - بشير مقيبس ، مرجع سبق ذكره ، ص: 390،397 .

فسكانها لا يرتادون دور السينما إلا ناذراً ، و ذلك لعدم توفر المواصلات الثابتة المواعيد بين تلك المناطق و المدينة.[1]

[1] - المرجع نفسه ، ص: 364 .

الفصل الثاني

الجامع الكبير بوهران(جامع الباشا)

المبحث الأول: تاريخ جامع الباشا.

أولاً: تأسيسه.

ثانياً: التجديدات التي أدخلت عليه.

المبحث الثاني: الدراسة الوصفية المعمارية.

أولاً: الصحن.

ثانياً: بيت الصلاة.

ثالثاً: المئذنة.

رابعاً: الميضأة.

خامساً: المباني الملحقة.

المبحث الثالث: الدراسة الوصفية الفنية.

أوّلاً: القبّة .

ثانياً: الأعمدة والدعامات .

ثالثاً: العقود .

رابعاً: التيجان .

خامساً: المحراب .

سادساً: الدِّكّة .

سابعاً : المنبر .

ثامناً : المئذنة .

إن المسجِدَ بكسرِ الجيم إسمٌ لمكان السجود، و المسجَدَ بفتح الجيم جبهة الرجل حيث يصيب السجود، و المِسجد بكسر الميم الخمرة و هي الحصير الصغير. وقد فسر الزركشي سبب اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة :" أنه لّما كان السجود من أشرف الأفعال في الصلاة لِما فيها من القرب إلى الله، اشتقَّ اسم المكان منه فقيل المسجد".[1]

وقد ذُكِر اسم المسجد في القرآن الكريم عدة مرات:

كقوله تعالى:" **وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلهِ فَلاَ تَدعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً** "[2]

وقوله أيضاً:" **سُبحَانَ الذِي أَسرَى بِعَبدَهِ لَيلاً مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَا الذّي بَارَكنَا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ".[3]

كما جاء ذكر كلمة مسجدٍ في الكثير من الأحاديث النبوية، كقوله صلى الله عليه وسلم: " **إذَا دخل أحدُكم المسجدَ فليُسلِّم على النّبي صلى الله عليه وسلّم** ".

أمّا لفظُ الجامع فهو وصفٌ للمسجدِ الكبير لما ذكره هشام بن عمار: أنّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– لّما افتتح البلدان كاتب وُلاّتَه بمصر و البصرة و الكوفة يأمرهم بتشييدِ المساجد أو الجوامع التي تقام فيها صلاة الجمعة.[4]

و المعروف أن المساجد التي كانت محوراً في المدن إنها كانت مساجد جامعة، وأن المساجد الجامعة كانت في معظم الأحيان أكبر مساحة وأكثر شهرة وأبعد أثراً في مُختلف ميادين الحياة من المساجد العادية الأخرى . فالمسجد الجامع هو أهمُّ معلم في المدينة الإسلامية و هو صاحب الفضل في إضفاء صفة المدينة على أي مركز إسلامي، وقد كان الخليفة بنفسه أو من ينوب عنه مُؤهّلاً لإمامة المسلمين وقت الصلاة في هذه المساجد خُصوصاً في يوم الجمعة، والمسجد اكتسبَ صفة " **الجامع** " من اجتماع المسلمين فيه لآداء الفريضة و ما يتبعها من مراسم .

---

[1]- WWW. KHAIMA.COM.

[2] -سورة الجنّ ، الآية (18) .

[3] - سورة الإسراء ، الآية (1) .

[4] - بلحاج بن نوح معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب من خلال بعض النماذج، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان سنة2002 ، ص: 167.

المبحث الأول : تاريخ جامع الباشا

أولاً : تأسيسه :

كثيراً ما اختلط على الباحثين التّفرقة بين إسم الجامع و المسجد و الزّاوية، ولكنهم أجمعوا أنّها مسخّرةٌ للعبادة والتعليم و نشر الدِّين الإسلامي.

إنّ حجم المؤسسة يلعب دوراً في وظيفتها، فالجامع الكبير أو الأعظم إمّا أن يُنسب إلى مُؤسِّسه من السياسيين و التّجار و العسكريين و نحوهم : كالجامع الأخضر و الجامع الجديد ...إلخ، وإمَّا أن يُنسبَ إلى الأحياءِ الواقعِ فيها كجامع باب الجزيرة وجامع سوق اللوح . وفي المدنِ الجزائرية نُلاحظُ جليّاً أن أغلبها قد احتوى على مسجدٍ يُطلق عليه إسم المسجد العتيق أو القديم وهو الذي قد بُني وسط المدينة القديمة أثناء نشاطها.

والعناية بالمساجد من المظاهر الجلية في المجتمع الجزائري المسلم، إذ لا تخلو قرية أو حي أو مدينة إلاَّ و فيها ما لا يُحصى من المساجد، وعند بنائهم يشترك كل النّاس في ذلك وحتى في آداءِ الوظائف فيه.

وقد كان تشييد المسجد عملاً فردياً بالدرجة الأولى، فالغنيّ المُحسن هو صاحب عملية البناء و الصيانة وما على أعيان القرية إلاَّ المساهمة بالتَّبرعات ونحوها، وليس للسلطة الحاكمة أي مجهودٍ في ذلك، فإذا بَنَى أحد البايات (الباشاوات) مسجداً ما فإنَّما يبنيه من ماله الخاصِّ ويُوقِفُ عليه أملاكه الشخصية مُعبِّراً عن ذلك بإحسانه وحبّه للخير و الدّين و ليس كواجب سياسي.[1]

فخلال العهد العُثماني بالجزائر لا يكاد يوجد باشا ظلَّ في الحكم فترة طويلة أو قصيرة إلاّ وقد بنى جامعاً أو مسجداً أو كُتّاباً أو زاويةً ووقّفَ الأوقاف على ما بناه ، ولعلّ هذا يُخالف ما قيل في أنّ الحكام العثمانيين بالجزائر لم يهتموا بأمور الدِّينِ. إنَّ الآثار الدينية العثمانية في بلادنا لخير دليلٍ على أنّهم ورغم قصر مدّة حُكّامهم في الحكم ، ورغم الصِّراعات الدَّموية التي كان يتَّسِم بها الحكم نفسه ، ورغم الإنقلابات المُتوالية داخل الأُسر

[1] - أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي "من القرن 10إلى14هـ ، ج1 ، (الجزائر، 1981) ، ص:244-245 .

الحاكمة ، رغم كل ذلك ، لم يمنعهم شيءٌ من خدمة الإسلام و المسلمين في الجزائر و إعمارها بالمساجد و الجوامع.[1]

ففي مدينة وهران ، وبعد أن تمّ جلاء الإسبان منها نهائياً سنة 1791م على يد القائد المحنَّك "الباي محمد بن عثمان الكبير" الذي أعاد للمدينة طابعها الإسلامي القديم بِبناء المساجد و دور العلم و الدين.[2]

فقد شرع الباي "محمد الكبير" في بناء الجامع الأعظم سنة 1796م بأمر من الداي "حسن باشا" أو كما يُسمّى (بابا حسن)[3] إحتفالاً بالفتح الكبير لمدينة وهران و تحريرها من العدوِّ الإسباني الذي دام فيها قُرابة ثلاثة قرون وضِمَنَ خُطّةٍ لإعادة الوجه العربي الإسلامي إليها بعد أن مسخها النَّصارى الإسبان و طمسوا مُعظم معالمها الإسلامية و الحضارية و خرَّبوها.

لقد أُسِّسَ جامع الباشا في شمال المدينة القديمة على الضِّفّة اليُمنى الشرقية لوادي الرّحى الذي يُعرف اليوم بوادي "راس العين" في سفحٍ شديد الإنحدار جنوب غرب برج الأمحال أو البُرج الأحمر أو البرج الجديد قُبالة حي القصبة على الضِّفَّة اليُسرى الغربية للوادي و يُجاوره على اليمين الجنوبي حي درب اليهود الذي بُني في نفس الفترة تقريباً على أراضي قدَّمها الباي "محمد بن عثمان الكبير" مجّاناً لليهود الذين هاجروا إلى هذه المدينة آتين من جهات مختلفة من البلاد[4] ، أما جداره الخارجي فهو ملاصقٌ لطريق فليب المنحرف دائرياً نحو الجنوب الشرقي[5].

إنّ كلّ ما صرفه الباي محمد الكبير لبناء هذا المسجد فمن عند الباشا "بابا حسن"[6] ، يُحكى أنّ الباي "محمد الكبير" لّما أتمّ فتح مدينة وهران و أعلم الباشا حسن بذلك ، فرح هذا الأخير فرحاً شديداً فرأته زوجته فاطمة و خالتها قد جلّ به الطَّرب ، فقالتا له: " كان اللاَّئقُ بك لإعلامِ سُرورك أن تبني بها جامعاً عظيماً فيبقى ذكرك مُخلَّداً في الألسنة ، فعند

---

[1] ـ المرجع نفسه ، ص: 230 .

[2] - Rene Lespes,"Oran " Etude de geographies et d'histoire urbaines , Paris,1938, p: 96.

[3] ـ إعتلى البابا حسن على إيالة الجزائر سنة 1791م إلـى سنة 1798م .

[4] ـ يحي بوعزيز ،" المساجد العتيقة في الغرب الجزائري" ، ط1 ، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية ، (الجزائر ،2002) ، ص: 67 .

[5] -Hoari Chaila , « Oran »histoire dune ville , (oran2002) , EDIK , p ; 55.

[6] ـ أحمد بن هطال التلمساني ، " رحلة الباي محمد الكبير إلى الصحراء " ، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ، ص : 28 .

ذلك أمر الباي " محمد الكبير" ببناءه ، وبعث له صندوقين مملوءين مالاً ، واحداً بعد واحدٍ[1] لِيُصرف ذلك على البناء ، وبعث أمين بنّائيه " محمد الشرشالي بن تدبيرت" ليحضِّرَ ذلك. ولما شُرع في بناءه حُفِر أساسه في بُستان تحت البرج فوجدوا به قُلّة مملوءةً ذهباً فصرفوها في البناء أيضاً ، وجمعوا لمنارته حجراً ضخماً أتو به أربعة أيامٍ من برج الصبايحية ، وكان السَّخَّارةُ هم الذين يحملون تلك الحجارة ، وقد ذَكر الباي ما صرفه على هذا الجامع مفصَّلاً في دفاتره[2].

أما عن تاريخ بناء المسجد فكلُّ المؤرخين أجمعوا على رأيٍ واحدٍ ، معتمدين في ذلك على كتابة تذكارية مكتوبةٍ على لوحةٍ حجريّةٍ مربَّعةُ القياس[3] ضلع كل واحدٍ منها 80سنتمتراً و سمكها 65سنتيمتراً، وتُعدّ الكتابة ثلاثة عشر سطراً خُصِّصت الثلاثة الأولى منها فقط لتخليد ذكرى إقامة البناء ، وأمّا العشرة الباقية خُصِّصت لذكر الأوقاف و الحبوس التي قدمها الباشا للجامع ، و هي على التوالي:

السطر الأوّل: **بـــسم الله الرّحمـــٰن الرّحيم وصلى الله على سيّدنا و مولانا محمّد وءاله و صحبه و سلّم تسليماً.**

السطر الثّاني: **الحمد لله وحده هذا الجامع بناه المعظم الأرفع الهمّام الأنفع مولانا .**

السطر الثّالث: **السيّد حسن باشا لا زالت أعداء الدِّينِ من هيبته تتلاشى بمحروسه وهران خلّدها الله دار إيمان[4].**

السطر الرّابع: **وحبس عليه ما يذكر بعد هذا بلغه الله مناه و رزقه ما يتمنّاه بمنه و حوله آمين .**

السطر الخامس: **فمن ذلك الحمام الذي بقربه من جهة الغرب و الحانوتان اللّتان عند حوانيت السيد الطاهر بن الحاج .**

---

[1] - هناك عدة روايات تذكر أن من الأموال التي ساعدت على بناء المسجد مداخيل إفتداء الأسرى المسيحيين ، أنظر:
Fey Henri Leon , histoire d'oran avant , pendant ,et après L'occupation espagnole (Oran, 1858), p ;37.

[2] - محمد بن يوسف الزياني ، مصدر سبق ذكره ، ص: 203- 204 .

[3] - أنظر اللوحة رقم (1) .

[4] - رشيد بورويبة ، " الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية "، ترجمة: إبراهيم شبُّوح ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (الجزائر ، 1979) ، ص:221.

السطر السّادس: **أحمد و الحانوت التي بين حانوت سي علي بن عبد القادر و حانوت سي عبد السلام و الحانوت التي بين حانوت السيد .**

السطر السّابع: **الحاج المكي و حانوت السيد الطاهر بن بن الحاج أحمد و حانوت آخر بين حانوت سي عثمان بن خده و حوانيت السيد مصطفى بن عبد الله .**

السطر الثّامن: **عبد الله بن دح و حانوتان فوق حوانيت السيد الطاهر المشرفي مع حوانيت بين أربع حوانيت الذمّي ياه ولد .**

السطر التّاسع: **داوود وحانوتان مقابلان لمنارة الجامع المذكور مع أربع حوانيت و نصف العلي تحد هذه الستة و نصف .**

السطر العاشر: **العلي من جهة البحر حانوت يرفدار و من جهة الغرب حوانيت سي أحمد بن منصور مع الأربعة عشر حانوتا التي .**

السطر الحادي عشر: **تحت حانوت الجامع المذكور كما أن الدارين الصغيرتين اللتين بزاء الحمام .**

السطر الثّاني عشر: **المذكور حبس على الجامع المذكور قيدت هذه الأحباس في أواسط .**

السطر الثّالث عشر: **رمضان من سنة 1210 هـ في ولاية المنصور أبي الحسن السيد باشا أيده الله .**

و أمّا عن تاريخ بناءه فهناك لوحتين صغيرتين على الجهة اليمنى لمدخله الرئيسي[1]:

الأولى هي قطعة نحاسية نُقِشت فيها كتابة باللغة العربية جاء فيها :

بـــــسم الله الرحمٰن الرحيم[2]

مسجد الباشا

أسس بأمر من سيدي حسن باشا سنة

1796

[1] - أنظر اللوحة رقم (03) .

[2] - البسملة هنا مكتوبة بالخط الرّيحاني .

والثانية قطعة من الخزف كتب عليها باللغة الفرنسية :

Mosquée du pacha
Edifiée Sur L´ordre de
Sidi Hassan Bacha En 1796
Monument Historique
(Arrété du gouverneur general 6 Aout 1952)

وترجمتها بالعربية هي :

مسجد الباشا

شيد بأمر من سيدي حسن باشا سنة

1796م

بناية تاريخية

قرار الحاكم العام 6 أوت 1952

ومهما يكن فإنّ نسبة المسجد إلى الباشا حسن وتاريخ تأسيسه سنة 1796م شيءٌ تُؤكّده الدّراسة الأثرية للّوحات الثلاث.

ثانياً: التجديدات التي أدخلت عليه:

يُعتبر جامع حسن باشا الجامع الوحيد الذي لم يمسّه التخريب الإستعماري الفرنسي ، إذ ذكر "أُجين كروك" أنّ الجنرال (ديميشال ــ Desmichels) حرص على سلامة الجامع لتفادي أيِّ مُقاومة محلّية في منطقة وهران[1].

[1] - بلبراوات بن عتو ، الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري 1779م-1797م ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة وهران سنة 2001-2002 ، ص: 214 .

و لقد مرَّ حتّى الآن على بناء هذا المسجد قرنان و زيادة ، كانت كلّها كفاحاً و جهاداً ضدَّ السياسة الإستعمارية من أجل تنوير الأجيال الصَّاعدة و الحفاظ على الوجه الإسلامي لهذه المدينة العربية المُجاهدة.

و بعد الإستقلال الوطني حظيَ جامع الباشا على بعض الإصلاحات القليلة و المُحتشمة ، فآخر إصلاحٍ له كان سنة 1964م حين كان إمامه الشيخ "عبد القادر مقنوس" الرجل الديني المُصلح.

و في هذا الصدد يقول الدكتور "يحي بوعزيز" :

« لقد سعى هذا الرجل منذ أن تولّى أمور هذا المسجد إلى إصلاحات مادّية يُشكر عليها ، وذلك بمُساعدة المُؤمنين الصالحين و تبرُّعاتهم و إحساناتهم ، فوراء جدار المحراب إلى الشرق إستحدثت أماكن للوضوء و الإغتسال ، وأُعيد تبليط أرضية قاعة الصلاة و الساحة الخارجية وكلُّ ممرَّات المسجد بالأحرى وذلك لوضع حدٍّ للرطوبة و تآكل الجدران و الغُبار، واستحدث بابٌ جديدٌ لدخول و خروج النَّاس أيَّام الجمعة و الأعياد عندما يكثر المصلّون»[1].

أمّا حالياً فالمسجد العتيق يُعاني أضراراً كبيرةً في عمارته الداخلية من خلال تصدّعاتٍ و انشقاقاتٍ في أرضية بيت الصلاة ، كما يُصيبُ جدرانه الداخلي و الخارجي تآكلٌ مستمرٌّ بسبب رطوبة البحر.

وعلى كُلٍّ ، فهناك بعض الجهود التي تقوم بها الوكالة الوطنية لحماية و صيانة الآثار بمدينة وهران الرّامية إلى إصلاح و ترميم هذا المسجد و إبقائه على أصله القديم ، كما أفادنا إمام المسجد الحالي [2] أنَّ هناك وُعوداً من طرف سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر لتقديمِ أموالٍ ماليةٍ من أجل إعادة ترميمه و تجديده.

[1] - يحي بوعزيز ، "المساجد العتيقة في الغرب الجزائري" ، ص: 70 .

[2] - هو الشيخ "عبد القادر مشرنن" من الأئمة الأعلام و البارزين في مدينة وهران و خطيب جامع الباشا الحالي ، و قد أجريت لقاءاً معه يـوم : 27 ديسمبر سنة 2006م في مقصورته بجامع الباشا.

المبحث الثاني : الدّراسة الوصفية المعمارية

ينبعُ الفنُّ الإسلامي في جوهره من العقيدة الدينية التي لا تكتمل إلاّ بالخلاص ، ولا تأخذ طريقها إلى قلب المُؤمن ووعيه إلاّ بالتجرُّدِ والطُّهرِ ، و طبيعي أن يكون المسجد هو مهدُ هذا الفنِّ الجديد ، و إذا كانت الفرائض الإسلامية من عباداتٍ و معاملاتٍ لا تحتاج أساساً إلى بناءٍ ذي مواصفاتٍ خاصة ، فمن الثّابت أنّ المساجد الأولى في الإسلام إحتاجت إلى مساحةٍ فسيحةٍ غير مُتساويةٍ يُحيطها سياجٌ من الحصير المُجدول من سعف النَّخيل ،و يتصدَّرها محرابٌ مُحدَّدٌ بِكُوَّةٍ في جدار البناء الأصلي[1] .

و قد أصبح للمساجدِ الإسلامية نظامٌ لا تخرج عنه مُستَمَدٌّ أساسه من المسجد الأول الذي أقامه المصطفى صلى الله عليه وسلّـــــم في المدينة المنوّرة ، و بمُعظم المساجد هناك جزء أوسط يُسمّى الصحن و هو سماوي في غالب الأحيان ، أما الجزء المسقوف من المسجد فهو بيت الصلاة وتُحيط به بوائك أكبرها هو رواق القلبة ، كما يوجد بها محراب و على يمينه منبر ، و يحمل السقف عقوداً على أعمدة من الرخام أو الحجر أو على أكتاف من البناء و قد استُعملت المساجد كمراكز للتعلُّم و التفقُّه في أمور الدّين منذ العصر الإسلامي الأول[2].

أولاً : الصّحـــن :

هو المساحة المكشوفة التي تُترك في وسط أو آخر مبنى المسجد للإضاءة و تهوية وحدات المبنى الدّاخليّة [3]، وقد أطلق على هذه المساحة المكشوفة عدّة مصطلحاتٍ من أشهرها الصَّحن و هو مصطلحٌ مُتعارفٌ عليه في غالبية الأقطار الإسلامية قديماً و حديثاً ، وله مترادفاتٌ أخرى كثيرة منها الفناء و الساحة و الرحبة والباحة ، أمَّا في العمارة العثمانية فأطلق على الجزء المكشوف الذي يتقدَّم الجُزء المغطّى في المسجد مصطلح "حَرَم" .ومهما

[1] - عكاشة ثروت ، " القيم الجمالية في العمارة الإسلامية " ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1981) ، ص: 99 .
[2] - أبو صالح الآلوفي ، "الفن الإسلامي" أصوله فلسفته مدارسه ، دار المعرفة ، (مصر ، بدون تاريخ) ، ص : 123 .
[3] - يحي وزيري ، "العمارة الإسلامية و البيئة ، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي " ، عالم المعرفة 304 ، (نوفمبر2004) ص: 111 .

يكن ،ففي بلاد الغرب الإسلامي شاع استعمال كلمة الصّحن الدالة على الفراغ المكشوف من مساحة المسجد[1].

لقد ظهرت هذه المساحات منذ القدم في عمارة الحضارات القديمة كعمارة بلاد الرَّافدين و العمارة المصريّة القديمة وفي عصر الدول القديمة و الوسطى و الحديثة في منازل القرويين ، وكان يُعرف حينها بالمسقط ذي الفناء الذي يُعتبر مركز النواة ومُجمّع عناصر المسكن ، كما وُجد هذا المسقط ذو الفناء قبل الإسلام في الجزيرة العربية[2] .

و مع مجيء الإسلام ظهر الصّحن لأول مرّةٍ في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلّـــــم بالمدينة المنوّرة سنة 622 م ، فكان يُصلّي بالمسلمين فيه ، ويجتمع معهم ليتدارسوا شؤون الإسلام ، وكان هذا الصحن ذو مساحةٍ مكشوفةٍ بين مظلّتينِ مغطّاتينِ إحداهما من الجهة الجنوبية و الأخرى من الجهة الشمالية ،وقد يُحدِّدُ الفراغ هنا طريق الحوائط المحيطة به و الغرف التي أُقيمت على أحد جوانبه المنفتحة عليه .

وقد شاع استعماله في العصر الأوّل من الإسلام في مسجد البصرة و الكوفة بالعراق و مسجد الفسطاط بمصر ،كما ظهر أيضاً في الدُّور و القصور في العصرين الأموي و العباسي ، و أصبح الصَّحن فيما بعد واسعاً جدّاً في المساجد حيث يتَّسع إلى عددٍ كبير من المصلّين ، وطوَّر المعماري المسلم الفناء إلى أن تحوَّل إلى حديقةٍ فيحاءَ تفجَّرت فيها المياه الجارية بحيث أصبح الحوش فردوساً أرضياً.

كما وُجد الصحن أو الفناء ليخفِّفَ من درجة حرارة الجوّ و دخول التَّيَّارات الهوائيّة الباردة التي تعمل على تخفيض درجة حرارة الجوِّ في فصل الصَّيف ، وكذلك دخول حرارة الشَّمس إليه في فصل الشِّتاء للحصول على الدِّفء ، ووُضع بجانب بيت الصلاة ليكون المسلم على اتصالٍ دائمٍ بالسّماء و الدُّعاء و الإنابة إلى الله تعالى.

و لعلَّ من العناصر المعماريّة الهامَّة في جامع الباشا بوهران صحنه الرَّائع الذي يتَّصف بميزاتٍ فَرديَّةٍ على غرار صحون المساجد الجزائرية الأخرى ، ومن أجل الشّرح المفصّل لذلك أردنا أن نُقسِّم العمل إلى نقاطٍ أساسيّةٍ هي :

---

[1] ـ محمد حمزة حداد ، "دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرَّحالة المسلمين ومقارنتها بالنُّهوض الأثرية والوثائقية و التاريخية" ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، (القاهرة ، 2001) ، ص : 33- 34 .

[2] ـ محمد حسين جودي ، "العمارة العربية الإسلامية ، خصوصياتها ، إبتكاراتها ، جماليتها " ، ط1 ، (عمان ، 1998) ، ص : 62 .

1ــ يُعتبر مدخل جامع الباشا من أجمل المداخل المسجدِيَّة في بلادنا ، فهو عبارة عن مدخل تذكاريّ مغطّى بقبّةٍ ثمانيةٍ مضلّعة ذات زخارف هندسية وآيات قرآنية في أعلاها من الجهات الأربعة[1].

وللدّخول إلى هذه القبّة نمرّ على واجهةٍ خارجيّةٍ [2]مزيّنةٍ بزخرفةٍ منظّمةٍ حول عقدٍ حذوي الشّكل إرتفاعه 1.36م واتّساعه 1.50م محمولٌ على أعمدةٍ يبلغ طولها1.33م زوجين أفقيين منها على اليمين و زوجين أفقيين منها على اليسار ،إضافةً إلى حافّةٍ مستديرةٍ وأربع زوايا وحافّةٍ مستطيلةٍ وإفريزٍ كتابي ومجموعةٍ من الحاملات الصّغيرة وإفريزٍ من الشّرفات .

وتقع الحافّة المستديرة بين عقد الإفتتاحيّة وعقدٍ موازي لها ، إنّها مزيّنةٌ بسبع فقراتٍ صغيرةٍ على شكل مربّعٍ منحرفٍ وفقرتين كبيرتين مؤثّثتين بزخرفةٍ نباتيّة، أمّا زواياه فهي مُؤثّثةٌ بأرضيّة نباتية تتوسّطها قفلة مقلوبة بارزة على مربّع ثماني الأسنان ، وتحتوي الحافّة المستطيلة على شريطين قائمين بمشبكات هندسيّة وشريط أفقي حيث تندرج كتابة بالخطّ اللين تجري داخل خرطوشين مُثمّنين مُحاطين بمربّعين ثماني الأسنان .

ويعلو هذا المستطيل إفريزٌ من الآيات القرآنية بالخط الكوفي مزخرفةٌ في جوانبه بأشكال هندسيَّةٍ مختلفةٍ :

تبدأ من جهة المدخل بقوله تعالـــــى:

« يـأيّها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربّكم »

في الجهة الغربية قوله تعالـــــى:

« و افعلوا الخير لعلّكم تُفلحون[3] و أنَ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا[4] »

و في الجهة الجنوبية المطلّة على الصّحن قوله تعالـــــى :

« حافضوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى و قوموا لله قانتين[5] »

وفي الجهة الشرقيّة قوله تعالـــــى:

---

[1] - أنظر اللوحة رقم (8) و (9) .
[2] - أنظر اللوحة رقم (6) .
[3] - سورة الحجّ الآية (77) .
[4] - سورة الجن الآية (72) .
[5] - سورة البقرة الآية (238) .

« فأقيموا الصّلاة و آتوا الزّكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم النصير [1] »

وفوق هذا الإفريزِ على الجهات الأربعة زخارف مختلفةٌ قوامها في الضّلع الواحد ثلاثة وعشرون كابلاً من الكوابل الصّغيرة مكلّلةٌ في أعلاها بإحدى عشر شرفةً متوسّطة الحجم على شكل زهرةٍ ثلاثيّة الفصوص .

وبعد هذا المدخل الرئيسي داخل القبّة ، يوجد مدخل آخر يحتوي جدرانه العلويُّ على حنّيةٍ ذات أشكال نباتية مختلفة، تعلوها كتابة آياتٍ من القرآن الكريم بالخطّ الكوفي ، وهي قوله تعالـــــى :

« و سيق الذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمرا ،حتّى إذا جاؤوها وفتّحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [2] ».

وفي داخل القبّة على يمينها و يسارها مدخلين يوفدان إلى رواقَي الصحن بنفس المقاسات لكلّ واحدٍ منهما (الإرتفاع 2.15م العرض 98سم السُّمك 52سم). أمّا الجهة المُقابلة للمدخل فهي عبارة عن ثلاثة عقودٍ مفصّصةٍ[3] أو ذات شراشر محمولةٌ على ثلاثة أعمدة صغيرة بطول 75سم.

وإلى جانب المدخل الرّئيسي لجامع الباشا على اليمين هناك مدخلٌ ثانويٌّ [4] و هو عبارة عن عقد نصف دائري ارتفاعه 1.36م وعرضه1.50م وسمكه1.33م محمولٌ على أعمدةٍ يبلغ طولها82سم زوجين أفقيين منها على اليمين و زوجين أفقيين منها على اليسار ، وهي مختومةٌ في الأعلى بتيجان دائريّة مربّعة .

2ـــ إنّ صحن جامع الباشا يُعتبر وحده قطعةً فنّيّةً في مساجد الجزائر[5] فهو على شكل نصف دائرة قطره جدار بيت الصلاة الشمالي الذي يُقابل الباب الرّئيسي المُؤدّي من بيت الصلاة إلى صحن المسجد و الذي يُقابل الباب الخارجي وهو المدخل الرّئيسي للمسجد ،و ينصف نصف الدّائرة إلى نصفين متساويين ، طول محيط نصف الدائرة من الخارج 53م و طول قطر نصف الدائرة يُساوي طول بيت الصلاة 27.50م .

---

[1] - سورة الحجّ الآية (78) .
[2] - سورة الزّمر الآية (73) .
[3] - أنظر اللوحة رقم (10) .
[4] - أنظر اللوحة رقم (6).
[5] - أنظر اللوحة رقم (8) .

ويُحِيط بنصف الدائرة من الدّاخل رواقٌ عرضه 2.60م وهو مسقوفٌ بسقفٍ عادي عدد أقواسه 14قوساً يتوسطها ويقسمها قوس قبّة المدخل الرّئيسي إلى نصفين ، كلّ نصفٍ يحتوي على سبعة أقواسٍ مدبّبةٍ على اليمين و سبعةٍ مدبّبةٍ على اليسار مكلّلةٌ بتيجان تذكّرنا بتيجان أعمدة منصورة ، وترتفع أرضية الرِّواق بدرجةٍ على الصّحن ، وهو مبلّطٌ ببلاطاتٍ سداسيّة الأضلاع ملوّنةٌ باللّون الأبيض و الأسود .

كما يفصل هذا الصّحن و بين الطريق الخارجي جدار عالٍ على يمين و شمال قبّة المدخل ، يبلغ طول هذا الجدار 5.30م و هو مزيَّنٌ في الأعلى بأزهارٍ ثلاثية الشكل .

إنّ طريق فليب الملاصق لصحن الجامع يُعتبر السَّبب المعماري الوحيد الذي أثّر على شكله الدّائري ، فالطريق يأتي في انحدارٍ مستقيمٍ من الأعلى ثمّ يبدأ بالدوران جهة اليسار عند صحن المسجد مؤثّراً بذلك في شكله الدائري .

3ــ إنّ أكثر ما تكون القباب في صحون المساجد فوق أحواض المياه التي يستعملها المصلُّون للوضوء ، وقبل أن تدخل الوسائل العصرية الحديثة لجرِّ المياه إلى المساجد بواسطة الأنابيب المعروفة وُجِد في كل مسجد تقريباً حوضٌ واسعٌ يقع عادةً في وسط الصحن ومن فوقه قبّة جميلة تُرفع على أعمدة من جوانبها الأربعة ، وكثيراً ما تُنقش على أطراف هذه القباب أبيات من الشعر التاريخي تتضمَّن أسماء الذين بنو هذه الأحواض و تاريخ البناء[1] .وكذلك هو الحال في صحن جامع الباشا ، فبمحاذاة قاعدة قبّة المدخل إلى داخل الصحن هناك قبَّةٌ مثمّنةٌ فوق فسقيّةٍ أو نافورةٍ معدّةٍ للوضوء [2] ملاصقة لقبّة المدخل من جهةٍ ، ومحمولةٌ فوق عمودين من الكلس الأبيض[3] بطول 2.50م من الجهة الأخرى ، تربطها عقودٌ من الجهات الثلاثة على شكل مفصّصٍ ، تعلوها تيجانٌ تذكّرنا بتيجان قصر الحمراء بغرناطة .

إنّ الأقواس الثلاثيّة الفصوص محاطة بحنايا مؤثّثةٍ بزهورٍ تندرج في لوحةٍ مزيّنةٍ بعناصر متكرّرة تشابه العناصر التي تُزخرف جدران مسجد سيدي أبي الحسن ومسجد سيدي أبي مدين بتلمسان ، ووجوه هذا البناء التي تُطلُّ على الصّحن مزيّنةٌ بأشرطةٍ قائمةٍ مؤثّثةٍ بمشبّكات و أشرطةٍ أفقيّةٍ ودوائر مزيّنةٍ بكتابات.

---

[1] - طه الولي ، "المساجد في الإسلام" ، ط1 ، دار العلم للملايين ، (لبنان ، 1988) ، ص : 301.

[2] - أنظر اللوحة رقم (9) و (11) .

[3] - حجر كلسي جدُّ صلبٍ ، يكون في غالب الأحيان ذو ألوان مختلفة .

جاء في الدّوائر : (الملك لله) و (البقاء لله) ، أمّا الأشرطة فهي عبارةٌ عن آياتٍ بالخطّ المغربي ، وهي كالآتي :

من الجهة اليُمنى قوله تعالـــــى :

« يأيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوٰة »

ومن الجهة الأمامية قوله تعالـــــى :

« فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق »

ومن الجهة اليُسرى قوله تعالـــــى :

« وامسحوا برؤوسكم و أرجلكم إلى الكعبين[1] ».

وكلّ هذه الآيات تدلّ على أنّ هذا الحوض لم يكن لتزيين الصحن فقط ، بل كان يُستعمل أيضاً للوضوء ، وعندما زاد عدد المصلّين في المسجد أُستحدث بمكانٍ آخر للوضوء ، و أحيط هذا الحوض بسياج من الحديد.

ثانياً : بيت الصلاة :

أمّا بيت الصلاة فهو الجزء المسقوفُ من المسجد ناحية القبلة ، وقد وُلد هذا العنصر المعماري زمن مسجد الرسول صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة المنوّرة في الصورة البسيطة ، وتطور مع مرور الزّمن إلى أن أصبح الجزء الرّئيسي من المسجد ،فهو يحوي القبلة و المحراب و المنبر و فوقه يقوم السّقف و قباب المسجد[2].

و قد أطلق على هذا الجزء عدّة مصطلحات منها المُغطّى و المُسقّف و الحَرَم و المُقدم و بيت الصّلاة، وهذا المصطلح الأخير ما هو إلاّ ترجمة حرفية لنفس المصطلح الفرنسي الذي يدلُّ على مكان الصّلاة في الكنائس وهو SALLE DE PRIERE ، وقد يرى البعض أنّ المصطلح ذو الإشتقاق العربي الصّحيح هو المصلّى بدلاً من بيت الصّلاة ، وتفادياً لإدخال نمطٍ آخر من أنماط العمائر الدينية الإسلامية وهي المُصلّيات ، تَمَّ الإقتصار على المصطلح الذي يسبقه (بيت الصلاة)[3].

إنّ بيت صلاة جامع الباشا ينطق بالأثر التُّركي ، فهو مربّع الشّكل بداخله قبّة عثمانية الطراز مثمّنة الأضلاع ذات مقطعٍ مفلطحٍ قليلاً مرتكزة على ثمانية دعائم مربّعة

---

[1] - سورة المائدة الآية (6) .

[2] - د.حسين مؤنس ، "المساجد" ، العدد37 ، عالم المعرفة ، (الكويت ، 1981) ، ص: 76 .

[3] - محمد حمزة الحدّاد ، مرجع سبق ذكره ، ص: 35-37 .

ضخمة ،و تُحيك بالقبة المركزيّة إثنا عشر قُبيباتٍ تُغطّي تسعة أساطين على جوانب بيت الصلاة.

ويمكن أن نُعدِّد هذا النّوع من القباب في المساجد الجزائرية مرّات عديدة ، بل إنّ نموذج القبّة المثمّنة قد طُبِّق أيضاً في عام 1696م في المقام ذي الطراز الإسباني المغربي حيث دفن سيدي عبد الرحمٰن حاكم مدينة الجزائر ، وعدا هذا المسجد المدفني فإنّ مسجد القبّة الذي بُني سنة 1918م وهو الآن عبارة عن متحفٍ ،وجامع سفير الذي أُعيدَ بناؤه سنة 1826م يدلاّن على بقاء هذا الشّكل حتّى القرن التاسع عشر ، وأكثر المعابد الأخرى ذات الطرز المشابهة قد اندثرت خاصّةً مسجد السيِّدة الذي شُيِّد في نهاية القرن الثامن عشر و مسجد كتشاوة الذي بُني عام 1794م[1]. وهذه المساجد كلاها تتميّز ببيت صلاة واسع وقبّة مثمّنة الشّكل مُحاطةٌ بقبيبات صغيرة ، وهي تحمل بذلك طابع مساجد بلاد الآناضول في آسيا الصغرى[2] .

تبلغُ المساحة الإجمالية لبيت صلاة جامع الباشا 750.75م^2 [3]، طول ضلعه الغربي 27.75م والجنوبي(جدار القبلة) 27.90م ،أمّا ضلعه الشرقي فطوله27.14م وطول الشمالي 27.90م ، وتبلغ سماكة جدرانه من الجهات الأربعة بحوالي 1.57م.

وعلى خلاف المساجد العثمانية في الجزائر يتمُّ الدخول إلى بيت صلاة جامع الباشا [4]من باب يقع في منتصف جداره الشرقي مُقابل قبّة حوض الوضوء من جهة الصّحن ، و هو مصنوعٌ من الخشب الصّلب[5] يبلغ عرضه 1.76م و ارتفاعه 2.90م ويحتوي على

[1] - د.عفيف البهنسي ، "الفنّ الإسلامي" ، ط1 ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النّشر ، (دمشق ، 1986) ، ص: 248-249 .

[2] - د. حسين مؤنس ، "تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي" ، ج2 ، ط2 ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، (بيروت ، 1992) ، ص: 363 .

[3] - Rachid Bourouiba , « Apports de l'algèrie a l'architecture religieuse arabo-islamique » , Entreprise national du luir ,Alger 1986,p: 30.

[4] - انظر المخطط رقم (1) و (2) .

[5] - أنظر اللوحة رقم (7) .

زخرفةٍ مكوّنةٍ من حنّيةٍ نصف دائريّةٍ وزاويتين مؤثّثتين بفرشٍ نباتيّ ، وترتكز هذه الحنّية على دعامتين مزخرفتين تعتمدان على قاعدتين عاليتين .

وقد نقش فوق هذا الباب آيات من القرآن الكريم بالخطّ المغربي و هي قوله تعالى :

« إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر »[1].

أمّا الباب الثاني فيقع في الجدار الغربي لبيت الصلاة مُقابلاً للباب الأوّل يبلغ عرضه 0.65م و ارتفاعه2.46م و هو الباب الثّاني من حيث الأهمية ومخصّصٌ للنّساء ، إذ لا يدخل منه سوى النّساء أيام الجمعة و الأعياد و صلاة التراويح في شهر رمضان .

كما أنّ هناك باباً ثالثاً يقع في أقصى الزّاوية الغربية لجدار القبلة يخرج مُباشرةً في الرّواق المؤدّي لبيت الوضوءِ الجديد، وهو الباب الوحيد الذي يمرُّ منه الإمام من مقصورته إلى المنبر و المحراب أيّام الجمعة و الأعياد ، يبلغ عرض هذا الباب 0.65م و ارتفاعه 2.52م و ينتهي هو الآخر في الأعلى بعقد نصف دائري.

أمّا النوافذ فهناك سبة عشر نافذة[2] مخصصّة لتزويد الغرفة بكمية كبيرة من الضوء ، يبلغ عرض الواحدة منها 1.24م وارتفاعها 1.73م ترتفع على الأرض بمترٍ تقريباً ، أربعةٌ منها على جدار القبلة و ستّةٌ على الجدار الشّرقي و سبعة على الجدار الشمالي ، وهي محاطة من الخارج بشبابيكَ من الحديد المتقاطع أفقيّاً و عموديّاً مشكّلاً بذلك مربّعاتٍ طول ضلعها 20سم تتماسك بواسطة سَنَابِك [3]، ويتراوح قطر القضيب الواحد بين سبعة ملمترات إلى تسعة منه ، بينما قطر السُّنبكة الواحدة بين اثني عشر ملمتراً إلى خمسة عشر منه ، وكلّ القضبان و السنابك غير مزخرفةٍ على الإطلاق وهي بذلك شبيهةٌ بنوافذ الجامع الكبير بمعسكر[4].

يتألّف بيت صلاة جامع الباشا من سبعة أساكيب موازيةٍ لجدار القبلة [5]يتراوح عرضها ما بين 3.30م إلى 3.75م ، وسبعة بلاطات عمودية على نفس الجدار عرضها مابين 3.30م إلى 3.96م تتميّز البلاطة الوسطى بأنّها الأكثر اتّساعاً . وكلّ هذه البوائك

---

[1] - سورة التوبة الآية (18) .

[2] - أنظر اللوحة رقم (12).

[3] - هي مكعباتٌ ذات أضلاع منتظمة و متعدّدة الأوجه كأنّها ماسة بلورية في شكلها و حجمها ، أنظر:
محمد الطيّب عقاب ، "مدخل إلى العمارة الجزائرية ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني" ، دار الحكمة ، (الجزائر، 1999) ، ص: 158-159 .

[4] - أنظر الشكل رقم (18) .

[5] - أنظر المخطط رقم (2) و اللوحة رقم (14) .

السَّائرة في اتِّجاهٍ موازٍ و عمودي نحو جدار القبلة تستندُ على مجموعة من الدَّعامات ذات الشكل المربَّع و الأعمدة الأسطوانية تعمل كلٌّ منها على حمل الأقبية بواسطة عقود على شكل منكسرٍ و نصف دائري ، ويبدو أنّ ذلك كلّه من أصل البناية الأولى للجامع.

ثالثاً : المئذنة :

لقد جاء بناء مئذنة جامع الباشا بوهران متزامناً مع بناء المسجد ، فحسب المؤرّخ "محمد بن يوسف الزياني" يكون تاريخ بنائهم واحدٌ وهو سنة1796م ، فقد حملوا له ولمئذنته حجراً ضخماً أربعة أيامٍ من برج الصبايحيَّة[1] .

تقع مئذنة جامع الباشا في الزّاوية الشرقية من المسجد وهي منفصلةٌ تماماً عن بيت صلاته ، يبلغ ارتفاعها 31.50م ، وهي مقسّمة من الخارج إلى ثلاثة أقسامٍ هي :

1)- القسم السّفلي: يبلغ ارتفاعه 17.40م وطول ضلع قاعدته 2.30م و سمكها 1م .

2)- القسم الأوسط: يبلغ ارتفاعه 11.60م وقاعدته أصغر من القسم السّفلي وسمكها 50سم ، وهو يُشبه السُّفليّ في كلّ شيءٍ ما عدا في الطّول و عرض الجدار ، وينتهي في الأعلى بطنفٍ عليه شرفة .

3)- القسم الثّالث: يبلغ ارتفاعه 4.50م وطول ضلع قاعدته 80سم وهو عبارةٌ عن جوسق المئذنة ، يُحيط بالقسم العلوي ممرٌّ عرضه 1م مُحاطٌ بشرفةٍ من الحديد يقف فيه المؤذّن للأذان .

أمّا المئذنة من الدّاخل فهي تتكوّن من نواةٍ مستديرةٍ قطرُها 1.50م مُحاطةٌ بممرٍّ المئذنة المؤدّي إلى أعلاها ، عدد أدراجها 150 درجة عرض الواحدة 30سم وارتفاعها 18سم وطولها 85سم و هي تدور عكس اتِّجاه عقرب السّاعة مُتمِّمةً سبع دوراتٍ إلى الأعلى.

[1] - راجع الصفحة (45) .

رابعاً : الميضأة :

الميضأة هي المكان الذي يتطهَّر فيه المسلمون قبل الدخول إلى المسجد وهي أقل عناصر المسجد لُزوماً له، وعندما نُفكِّر قليلاً نجد أنَّ وُجود الميضأة في المسجد هو تقليلٌ لهيبته وحرمته ، فهي موضعٌ ناجسٌ خاصةً إذا أضيفت إليها دورات المياه ، و المفروض أنّ المسلم يذهب إلى المسجد طاهراً متوضِّئاً ، وليس المفروض أن يُنظِّف و يتوضَّأ في المسجد. وقد وُجدت الميضأة في المسجد قديماً عندما كانت معظم البيوت تخلو من المياه الجارية و دورات المياه عكس اليوم الذي نحن فيه[1] .

و على كلٍّ ، فقد أجاز الشَّارِعُ الحكيمُ بناء المطاهر بالقرب من المساجد و التوضئة منها ،فعن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت :

«كُنَّ المُعتَكِفاتُ إذا حضن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بإخراجهِنَّ من المسجد و أن يضربن الأخبية في رحبة المسجد حتى يطهُرن».

و أمّا في جامع الباشا بوهران فقد أنجز المعماري التركي عند بنائه ميضأة صغيرة في صحن المسجد على الزَّاوية الشرقية له ، و هي عبارة عن بيت صغير طوله 4 م و عرضه 2.50م بجانبه بئرٌ صغيرٌ للحصول على الماء ، وقد ألغيت هذه الميضأة لضيقها و عدم كفايتها لاستقبال المتوضِّئين وهي حالياً مخزنٌ للآثاث القديم .

وإلى وراء جدار القبلة إلى الشرق إستحدثت أماكن للوضوء و الإغتسال نصل إليها بواسطة رواقٍ يقع وراء جدار القبلة طوله هو طول هذا الأخير وعرضه يتراوح ما بين 3م إلـــى 4م ، أمّا بيت الوضوء فهو يتكوّنُ من طابقين طابقٌ أرضي و طابقٌ أوّل ، ففي الأرضي حوضان بهما 23 حنفية للوضوء ، وفي الطّابق الأوّل 28 بيتاً للخلاء في كلّ واحدٍ دوريّة للمياه ، إضافةً إلى ثلاث بيوت للوضوء الأكبر .

[1] - د. حسين مؤنس ، "المساجد" ، ص: 80.

خامساً : المباني المُلحقة :

لجامع الباشا بوهران عدّة مباني ملحقةٌ هي :

1)- ثلاث غرفٍ ملحقةٍ ، الأولى في الزّاوية الجنوبية للصّحن بابها موجود بالرّواق وهي على شكلٍ مضلّعٍ يستعملها الإمام حالياً كمقصورةٍ له ، وغرفة ثانية توجد فوق الغرفة الأولى أي في الطّابق الأوّل ونصل إليها بواسطة سلّمٍ يحتوي على 12درجة وهو يوجد في مقدّمة رواق بيت الوضوء ، وحسب إمام المسجد فقد استعملت قديماً كمقصورةٍ للإمام .

أمّا الغرفة الثّالثة فهي موجودةٌ خارج بيت الصّلاة في جهته الغربية الجنوبية ، وهي حسب اللّوحة التذكارية الموجودة فوق بابها كانت مقرّاً للسيّد حسن الذي أصبح فيما بعد بايا للإيالة الغربية قبيل الإحتلال الفرنسي ، ولها شكلٌ مربّعٌ طول ضلعها 5م .

2)- تحت بيت صلاة جامع الباشا إلى الجهة الغربية هناك منزلان صغيران :

المنزل الأول يوجد بمحاذاة مسكن حسن باي ، وهو عبارة عن غرفتين صغيرتين ذات سقفٍ معقود بعقدٍ نصف دائري ، يستعملان حالياً كمدرسةٍ قرآنية .

والمنزل الثاني يوجد بمحاذاة الأول ، وهو عبارة عن ثلاث غرفٍ صغيرةٍ الواحدة بجانب الأخرى ذات سقفٍ معقودٍ بعقدٍ نصف دائري ، وتُستعمل حالياً كبيتٍ لمعلّم القرآن.

المبحث الثالث : الدراسة الوصفية الفنية

إنّ المساجد عامّةً على الرَّغم من تاريخها الطويل و تعدُّدِ أشكالها لم تخرج في تكوينها العام عن هيكل مسجد الرّسول صلّى الله عليه و سلّم في المدينة ، فالمعماريون المسلمون وإن تفنَّنوا في ابتداع أشكال المساجد و صحونها و محاريبها و أروقتها لم يُضيفوا عنصراً رئيساً واحداً إلى عمارة المساجد الحديثة[1] .

أوّلاً : القبّة :

تُعتبر القبّة –جانب المئذنة– من أبرز عناصر العمارة المسجديّة الإسلامية ، و يكاد يكون عسيراً علينا أن نتصوَّر مسجداً ذا مئذنة بدون قبّةٍ أو مسجداً ذا قبّةٍ بدون مئذنةٍ قريبةٍ منها، فالمسلمون قد جعلوا من هذين العنصرين المعماريين المختلفين في الهيئة وحدةً جماليةً تُضفي على المسجد وتعطيه توازناً يرتاح إليه النظر .

و القبّة قديمة قِدَم تاريخ العمارة فقد عرفها المعماريون في آسيا في وقت قديمٍ ثمَّ انتقلت إلى بلاد الفرس وإلى بلاد اليونان والرومان ووُجدت في معظم طُرُز الفنون الإنسانية الكبرى ، إلاّ الطراز المصري القديم[2] .

أمّا في العصر الإسلامي ، فقد اقتُبِسَتِ القباب من الحضارات السَّابقة للإسلام والتي وُجِدت في شبه الجزيرة العربية ، وتُعدُّ قبّة الصخرة ببيت المقدس أوّل قبّةٍ ظهرت في الإسلام سنة (72هـ،691م) ثمَّ تلتها مجموعةٌ أخرى من القباب كما هو الحال في قبّتي الحجرة السّاخنة في حمام قصير العمرة و حمام الصَّرح من العصر الأموي .

و قد وُجدت القباب في عمارة المساجد في أماكن مختلفة ، فها هي أمام المحراب في الجامع الأموي بدمشق و جامع القيروان ، و نجدها في آخر البلاطة المُطِلَّة على البهو كما هو الحال في المسجد الجامع بتلمسان بعد الزِّيادات التي أضافها الزِّيانيون له . أمَّا في جامع الباشا ، فقد ظهر طرازٌ جديدٌ في عنصر القبّة و هو الطراز العُثماني فبيتُ

[1] - الزّين محمد ، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان سنة 2002م ، ص : 59.
[2] - د. حسين مُؤنس ، " المساجد " ، ص : 119 .

صلاته تُغطّيها في الوسط قُبَّةٌ مركزيةٌ كبيرةٌ و عاليةٌ[1] طول ضلعها من الخارج 5.20م تُحيط بها اثنا عشر قبّةٍ صغيرةٍ تتشابه في الشّكل و المظهر متوسِّطُ عرضها هو1.60م ، وهي بذلك من أهمِّ و أبرزِ قباب العمارة العثمانية في الجزائر . إنَّها تبدو من الخارج على هيئةٍ ملساءَ غير مزخرفة مثمَّنة الشكل ، فُتح فيها لإدخال الضَّوء أربعة نوافذ مستطيلة يرتكز عليها غطاءٌ نصف كروي . أمّا من الداخل فهي تقوم على مسقطٍ مثمَّنٍ بواسطة ثمانية أعمدة مربَّعة تنطلق منها ثمانية أضلاعٍ كلٌّ واحد منها تكون نهايته في أعلى القبّة مشكّلةً تشابكاً على هيئة نجمةٍ ثمانيّة الفروع ، وتتدلّى من هذه القبّة سلاسل حديديّة بطرفها السّفلي ثرياتٌ مختلفةُ الأنواعِ و الأشكالِ منها الزّجاجيّة و النّحاسيّة .

ثانياً : الأعمدة و الدّعامات :

الأعمدة عنصرٌ معماريٌ أصيلٌ إخترعه المصريون القدماء و أبدعوا في استعماله ، فكانوا يُعلّمون النّاس طريقة إقامة عمودٍ متينٍ و جميلٍ في آنٍ واحدٍ وذلك بتقسيمه إلى ثلاثة أقسامٍ رئيسيّة هي : قاعدة العمود التي تعتمد على أساسه في الأرض ، ثمَّ بدن العمودِ ، ثمَّ رأسه أو تاجه .

وفي العمارة الإسلامية إستعملَ المسلمون في البداية جذوع النَّخيل كوسيلةٍ لتدعيم السُّقوف في المساجد الإسلامية الأولى ، ولمَّا انتقلت صناعةُ البناء من الطّين إلى الأحجار جُلِبت أعمدة حجريّة من مباني قديمة واستعملوها بدلاً من جذوع النّخل ، فكانت الأسبق في الظّهور داخل المساجد الإسلامية ، وأصبح لها طابع مميّزٌ في بنائها وزخرفتها ،وظهرت لها عدّة أشكالٍ كالمربّعة و الدّائرية و الحلزونيّة كما في مسجد ابن طولون بمصر ، والمثمّنة كالتي شاع استعمالها في عصر السّلطان (قايتباي) في مصر[2] .

أمّا الدّعامة فقد ظهرت لأوّلِ مرّةٍ في العمارة الإسلامية بقبّة الصّخرة سنة 691 م وفي الجامع الأموي بدمشق سنة 807 م ، ثمّ تطوّرت تطوُّراً كبيراً فظهرت قواعدُ لها بشكلٍ

---

[1] - أنظر المخطط رقم (3) .
[2] - محمد حسين جودي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 70 .

مربَّعٍ و أخرى بشكلٍ مثمَّنٍ يعلوها عمود من الرُّخام إمّا أسطواني أو مثمَّنٌ تعلوه تيجانٌ جرسيةٌ كما في جامع سامرَّاء الكبير و جامع بن طولون بمصر[1].

تتّخذ الأعمدة في جامع الباشا عدّة أشكالٍ يمكن تقسيمها إلى :

النّوع الأوّل: الدّعامة المربّعة[2] : توجد كلّها داخل بيت الصّلاة وهي على حجمين:

- ❖ إمّا مربّعٌ كبيرٌ يبلغُ طوله 1.90م وطول ضلعه 0.54م وعددها ثمانيةٌ موَزَّعة على رواقات بيت الصّلاة .
- ❖ و إمّا مربّعٌ صغيرٌ يبلغ طوله 1.90م و طول ضلعه 0.45م و هو بذلك أقلُّ حجماً من الأوّل ،وعددها ثمانيّةٌ موزَّعةٌ بالتّساوي لحمل قبّة المركز .

النّوع الثّاني : الأعمدة الدّائرية : و توجد في بيت الصّلاة و في صحن جامع الباشا ، أمّا الأولى فهي دائرية مزدوجة [3]موجودةٌ ببيت الصّلاة فقط ، عددها 24 ساقاً مثنى مثنى ومجموعها 48 ساقاً ، طول السّاق الواحد 1.90 م وقطره 95سم و محيطه 1.11م وهي لا ترتكز على قواعد .

أمّا الثانية فهي دائرية منفردة [4] موجودةٌ بصحن الجامع عددها 16 عموداً دائرياً منفرداً ، طول الواحد 2م و قطره 80سم و محيطه 65سم ، ترتكز كلّها على قواعد مربّعة الشكل طول ضلعها 25 سم وارتفاعها 0.8م .

النّوع الثّالث : الأعمدة المثمّنة الحلزونيّة[5] : و عددها ستة ، أربعةٌ منها حاملةٌ لدكّة بيت الصّلاة و إثنان على جانبي المحراب ، يبلغ طول الواحد منها 2.80م وعرض ضلعه 8سم ، وهي على نمطين :

مُثمَّنة الأضلاع من الأسفل بارتفاع 1.20م و حلزونية من الأعلى بارتفاع 1.25م وهي من الرُّخام الأبيض الخالص الأملس البدن[1] ، وتأتي قاعدة الأعمدة الأربعة الحاملة

---

[1] - محمد حسين جودي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 70 .
[2] - أنظر الشكل رقم (4) ، واللوحة رقم (15) .
[3] - أنظر الشكل رقم (2) ، واللوحة رقم (16) .
[4] - أنظر الشكل رقم (3) ، واللوحة رقم (17) .
[5] - أنظر اللوحة رقم (18).

للدّكّة على شكلٍ مثمّنٍ طول ضلعها 8سم و ارتفاعها على سطح الأرض 8سم ، أمّا قاعدة العمودين الموجودين على جانبي المحراب فهي على شكلٍ مربّعٍ[2] طول ضلعها 30سم و ارتفاعها 10سم .

ثالثاً : العقود :

العقد عنصرٌ معماريٌّ مقوّسٌ يعتمد على نقطة ارتكازٍ واحدةٍ أو أكثر يتألّف من حجارة تُسمّى فقرة أو صنجة ، وفي العهد الأيوبي ظهرت الصّنجات المُزرّرة ملونةً بالتّناوب ، وهي عبارة عن حجارة مُقصقصةِ الأطراف متداخلة فيما بينها[3].

و في العمارة الإسلامية ظهرت العقود على شكل سقف المسجد المصنوع من الجريد و سعف النّخيل يحمل على عمد فوقها الأعتاب التي تحمل السّقف ، ثمّ تطورت إلى عقودٍ حجريّة التي عوّضت الأعتاب الخشبية العادية ، وقد كان لهذه العقود دورٌ كبيرٌ في تحديدِ طراز العمارة الإسلامية في الأمصار المُختلفة.

ومن أهمّ أشكال العقود المعروفة في العمارة الإسلامية: العقد البيضوي الذي يُشبه انحناؤه شكل نصف البيضة وهو ناذرُ الإنتشار في العمارة الإسلاميّة و أصلُه إيراني ، والعقد المستقيم الذي يقوم انحناؤه على كتف البناء مباشرةً دون الحاجة إلى أرجُلٍ طويلةٍ ، والعقد النّصف دائري الذي يكون انحناؤه على شكل نصف دائرة و هو واسع الإنتشار في العمارة الإسلامية ، وهناكَ أيضاً عقد حدوة الفرس و هو معروفٌ منذ قديم الزّمان ولكنّه ظهر لأوّلِ مرّةٍ في العمارة الإسلاميّة بعقود المسجد الأموي في دمشق المُحيطة بالصّحن ، وفي الشّبابيك التي تعلوا هذه العقود .وقد انتشر هذا النّوع من العقود في غرب العالم الإسلامي إنتشاراً واسعاً حتّى أصبح مع الزّمن الطّابع المميّز للهيئة العامّة لكلّ مباني الغرب الإسلامي ،

---

[1] - يرجع أصل هذا الرُّخام إلى التبادل التجاري بين الجزائر و الجمهوريات الإيطالية خاصّة إلى مقلع كرارا (Carrara) الشّهير بمرمره الأبيض ، وكانت الحكومة الجزائرية إمّا تشتريه وإمّا يُهدى لها مقابل الخدمات الجليلة التي تقدمها الأساطيل العثمانية لتلك الدُّول .وكان استراد القطع الرّخامية يكون وفق الوظيفة و الحالة المستعملة لها ، فإمّا أن تجلب و هي في حالة قطع يتمُّ تنقيتها و زخرفتها حسب المكان الموجّهة له كأطر الأبواب و المنابر الرّخامية ، وإمّا أن تُجلب هذه القطع مشكلة و مزخرفة وفق مطالب متفق عليها ، وذلك هو الحال لهذه الدّعامات الرّخامية الموجودة في بيت صلاة جامع الباشا ، أنظر :
- خلاصي علي ، قصبة الجزائر ،القلعة و قصر الذاي ،(رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة غير منشورة) ، جامعة الجزائر سنة 1985 ، ص : 324 - 325 ، وكذلك :
- Marcais Géorges , « L'architecture musulmane d'occident , tunisie , algérie , maroc , Espagne et sicile , arts et matier graphiques , paris , 1954 ,p ;449.

[2] - أنظر اللوحة رقم (22) .

[3] - د. محمد يحي الوزيري ، مرجع سبق ذكره ، ص : 146 .

و لكن العقد الذي انتشر بكثرةٍ في العمارة المسجدية هو العقد المُدبَّبُ الذي ينتج عن تقاطع دائرتين ،و هو أمتنُ من غيره لأنَّ ثقل الوزن المحمول عليه ينحدرُ إلى الأرجل ثمَّ إلى كتفِ البناء[1] .

إنَّ تطوُّر فنّ العقود في العمارة الإسلامية من منحنياتها وزخارفها هو طبقاً لطبيعة البلاد الذي تُعمل فيه وطبقاً لمواد البناء المتوفِّرة لذا بنَّائيها ، كلُّ ذلك جعل العمارة الإسلامية تزخر بأنواعٍ عديدة من العقود .

إنَّ جميع بوائكِ بيت صلاة جامع الباشا بوهران على هيئة عقودٍ نصف دائريّة مشرعةٍ[2] تجعل الواقف في الرِّواق يتصوَّر و كأنَّه يقفُ بين مرآتين مُتقابلتين ، إنَّه لا خلاف في أنَّ هذه العقود هي من الطُرزِ المغربية الأندلسية ربّما استعملها المعماري التُركي في هذا الحرم حتى يمزج بين فنِّه التركي و الفنّ المغربي الأندلسي.

كما أنّ هناك أنواعاً أخرى من العقود في صحن المسجد ، فعند واجهة المدخل الرئيسي نجدُ عقداً على هيئة حذوة فرس و بجانبه إلى اليمين عقد نصف دائري [3]، و العقد المُفصَّصُ بين أعمدة قبّة النَّافورة وبدن المئذنة ، والعقد المنكسر على عقود رواقيّ الصّحن ، كلّ ذلك ما وُضع إلاّ لتزيين الصحن لتحبيبه لذا المصلّي بأنواع العقود الإسلامية [4].

رابعاً : التّيجان :

جمع تاجٍ ، وهو يأتي فوق العمود لزيادة تدعيم السَّقف وتزيين العمود ، وقد ابتكر العرب المسلمون أنواعاً عديدة من التيجان أمثال البصليَّة الشَّكل و المزيَّنة بالمقرنصات أو بأوراق نباتية تتَّصل بالتَّاج من الأسفل وتنتشر فتكون كالزَّهرة المُتفتِّحة ، وتوجدُ أنواعُ هذه التيجان في أعمدة جامع ابن طولون في مصر ، ونماذج تيجان الأعمدة الجميلة الموجودة في قصر الحمراء بغرناطة المزيَّنة بزخارف جميلة من الأرابسك[5] .

[1] - د.حسين مؤنس ، "المساجد " ، ص : 1 22 .
[2] - أنظر اللوحة رقم (14) و (42) .
[3] - أنظر اللوحة رقم (6) .
[4] - أنظر الأشكال من رقم (6) إلى رقم (15) .
[5] - محمد حسين جودي ، مرجع سبق ذكره ، ص :71 .

أمّا تيجان جامع الباشا فهي على ثلاثة أنواعٍ[1] :

النّوع الأوّل (التيجان المدرّجة المقلوبة)[2]: وهي تيجان الأعمدة الدائرية والدّعامات المربّعة الموجودة داخل بيت الصلاة يتراوح ارتفاعها 87سم إلى 1م ليس لها كاتفٌ و لا حامل وهي من الجبس ، عددها 40 تاجاً ، ويُعتبر هذا النّوع من التيجان القليلة الإستعمال ، حيث لم نشاهد مثل هذا النّوع سوى في مسجد الباشا .

النّوع الثّاني (التيجان ذات قسمان)[3]: يوجد هذا النّوع في الصّحن فقط وهي من الجبس تختلف عن تيجان أعمدة بيت الصّلاة ، فنصف التاج السُّفلي دائري محاطٌ بتعَرُّجاتٍ صعودياً و نزولياً وأمّا القسم العلوي فهو مربّعُ الشّكل ، بزواياه الأربعة أوراقٌ مطويّةٌ ، إرتفاعه 31سم ، وينتشر هذا النّوع من التّيجان في كثيرٍ من مساجد الجزائر مع اختلاف الأجزاء العلويّة كما في مسجد سيدي أبو الحسن بتلمسان .

النّوع الثّالث (التيجان المركّبة من الأيونيي و الكورنثيي)[4]: تُعتبرُ هذه التيجان من أهمِّ وأجمل ما تركه العثمانيون لنا في هذا النّوع من الطّراز العثماني ، فهي تُوجد في بيت صلاة جامع الباشا وعددها ستّةٌ ، أربعةٌ منها التي تحمل الدّكّةَ ، وإثنان الباقيان يحملان قوس المحراب .

إرتفاع التّاج الواحد30سم وطوله 30سم ، وهي من الرُّخام الأبيض الخالص ، نصفُها السُّفلي دائري منقوشٌ عليه أوراق النباتات ، أمّا القسمُ العلوي فتنتهي زواياه بأوراقٍ حلزونيّةِ الشّكلِ تحتها أوراق الأكنتس و بين الزّاويةِ و الأخرى شكلٌ هلالي . نُلاحظ أنّ هذا النّوع من التيجان ينتشرُ في عدّةِ مساجد مع الإختلاف الجزئي ، ويقترب هذا النّوع بكثرةٍ من تيجان مسجد سيدي أبو مروان و الجامع الكبير بقسنطينة ، كما يُشبه المسجد الداخلي بالقصبة[5] .

---

[1] - أنظر اللوحة رقم (12) .
[2] - أنظر اللوحة رقم (19) و (20) .
[3] - أنظر اللوحة رقم (17) .
[4] - أنظر اللوحة رقم (21) .
[5] - Rachid Doukali , « Les Mosquées De La Période Turque à Algés , 1974, p :11 .

خامساً : المحراب :

لقد جاء ذكر كلمة محراب في القرآن الكريم أربع مرَّاتٍ و هي كلمة عربية قديمة يورد لها ابن منظور في معجمه "لسان العرب" أكثر من عشرين تعريفاً أهمُّها :

- المحراب : صدر البيت و أكرم موضع فيه.
- المحراب : القبلة.
- المحاريب : صور الأنبياء و الملائكة التي كانت تُصوَّر في المساجد ليراها النّاس فيزدادوا عبادة ، ومن ذلك قوله تعالى : « من مّحاريبَ و تماثيلَ »[1].
- المحراب : الغرفة ومنها قوله تعالى : « ... فخرجَ على قومِهِ من المحرابِ...»[2] أي من المسجد[3] أو من الغرفة العالية المستقلّة .

وقد تضاربَ العلماء و الأثريون عن أصل هذه الكلمة ، فمنهم من ربطها بالحنَّيَّة التي تتقدَّم الكنائس ، و منهم من ربطها بمحاريب البدع اليهوديَّة .أمّا في العمارة الإسلامية فالمحراب لم يتواجد في المساجد الأولى كعنصرٍ معماري أساسي ، فقد استعمل رسول الله صلّى الله عليه و سلّـــــم الحربة و العنزة في تحديد اتِّجاه القبلة أثناء الصَّلاة في الفضاء ، وحسب رواية الدُّكتور " حسين جودي " فإنَّ المحراب قد وُجد في عهده صلّى الله عليه و سلّـــــم في الوقت الذي بنى فيه مسجده بقُباءٍ خارج المدينة فقد عيَّنَهُ بنفسه ، وكان بناءً بسيطاً يتألَّفُ من تجويفٍ ثمَّ تطور مع تطوُّر بناء المساجد في العهود الإسلامية اللاحقة[4].

أمَّا الأستاذ أحمد فكري فيذهبُ إلى أنَّ محراب جامع القيروان الذي بناه عقبة بن نافع سنة 51هـــ هو أوَّل محرابٍ ظهر في العمارة الإسلامية .

وعلى كلٍّ ، فبعد أن أصبح المحرابُ جزءاً أساسيّاً في عمارة المساجد إستقرَّ معناه على أنّه تجويفٌ في جدار المسجدِ باتِّجاه الكعبة المشرَّفة ، و تطوّرت المحاريب تطوُّراً كبيراً و أخذت أشكالاً شتَّى في مختلف طرز العمارة الإسلامية ،وأصبحت مع الزَّمن ناحية من

---

[1]- سورة سبأ الآية (13) .
[2]- سورة مريم الآية (12) .
[3]- جلال الدّين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، " تفسير الجلالين " ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص : 157
[4]- محمد حسين جودي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 76 .

نواحي التّنافس في الإبتكار بين المعماريّين محاريبُ ذات مسقطٍ دائري في الشّام و المغرب العربي ، وأُخرى ذات مسقطٍ من أضلاعٍ متعاقدةٍ كمحاريب العراق ، و ظهرت المحاريبُ المسطّحة كالموجودة في مغارةٍ تحت الصّخرة في المسجد الأقصى.

و يتصدَّرُ جدار القبلة بجامع الباشا محرابٌ على شكل فجوةٍ سداسيّة الأضلاع[1] يبلغ عرضها 2.20م و عمقها 2.11م ، ينتهي في جزئه العلوي بحنِّية معقودة بعقد على شكلٍ منكسرٍ يكتنفه عمودان من الرُّخام الأبيض [2] كما عهدنا ذلك في العمارة الإسلامية ، وهو خالٍ من الحنّيات في الأعلى على عكس محراب مسجد الجامع الكبير بمعسكر.

ويشغل هذا المحراب حيِّزاً معمارياً في جدار القبلة داخل بيت الصَّلاة في جامع الباشا ، و يظهر من الخارج على شكل عترةٍ في رواق الوضوء خلف جدار القبلة [3] ، أمّا مشكاته فهي عبارةٌ عن قبّةٍ ثمانية الأضلاع ذات الطراز العثماني[4].

يُعَدُّ هذا المحراب من المحاريب الخالية من الزّخارف و النّقوش و الكتابات القرآنيّة، فجدرانه حالياً مكسوٌّ ببلاطات الزّليج العصري ، وربَّما وُجدت قبلَهُ نقوشٌ قديمةٌ أزيلت منه إمّا بسبب التَّرميم المستمِّرِّ لجدرانه طيلة السَّنوات الماضية و إمّا لجهالة قيمتها الجماليّة و أصالتها الفنِّيّة.

سادساً : الدّكّة :

من آثار المذهب الحنفي بمدينة وهران دكّة المبلّغ (أوالمؤذّن الذي يقيم الصّلاة) الموجودة بجامع الباشا ، ففي وسط بيت صلاته تحت القبّة الرّئيسية توجد دكّةٌ [5] على شكلٍ مربَّعٍ يُقدَّرُ ارتفاعها بـــ 3.15م وطول ضلعها 2.10م ، وهي محمولةٌ بواسطة أربعة أعمدة من الرّخام الأبيض ، ونصعد إليها بواسطة سلّمٍ موجودٌ في واجهتها الخلفيّة يُقدَّرُ طوله

[1] - أنظر الشكل رقم (17) .
[2] - أنظر اللوحة رقم (23) .
[3] - أنظر اللوحة رقم (28) .
[4] - أنظر اللوحة رقم (24) .
[5] - أنظر اللوحة رقم (13) .

بـــ 3.33م وعرضه بـــ 65سم يحتوي على تسعة أدراج ، وهي حسب الأستاذ رشيد الدّكالي شبيهةٌ بدكّة الجامع الجديد بالجزائر العاصمة[1].

سابعاً : المنبر :

يُعدُّ المِنبَرُ في الإسلام المكان الذي يخطب منه الحاكم أو الإمام للنّاس و هو عادة ما يكون في الجهة اليمنى للمحراب في بيت الصّلاة بالمساجد الجامعة لكنها تمثّلُ العنصر الحيوي و مركز المدينة الإسلامية العمراني ، فهي مركز هامٌ لطرح ومناقشة جميع قضايا الدولة و السُّكان من أمور سياسية و اجتماعية و غيرها.

وعُموماً المنبر لم يُعرف في بداية عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّـــــم بل عُرِف بعد فترةٍ من ذلك ، وأوّل منبرٍ عرفته المساجد الإسلامية المبكّرة هو المنبر الذي وُضع في مسجد المصطفى عليه الصّلاة و السّـــــلام بالمدينة المنوّرة وهو منبر مصنوعٌ من مادّة الخشب يتكوّنُ من ثلاثة درجاتٍ حيث كان النبي صلّى الله عليه و سلّـــــم يجلس على أعلاها واضعاً قدميه على أوسطها[2] .

إقتبست فكرة استعمال المنابر في المساجد الإسلامية المبكّرة و اللاّحقة فيما بعد عن منابر الكنائس ببلاد الشّام في بداية العهد الإسلامي ، فقد رأى الصحابي الجليل "تميم بن الدّاري" الرسول صلّى الله عليه و سلّـــــم و هو يخطب في النّاس داخل مسجده بالمدينة المنوّرة ، ولمّا طال به المقام و اشتدّ عليه القيام من قراءة الخطبة يَستنِدُ إلى جذع النّخلة داخل المسجد ، إقترح عليه صناعة مثل تلك المنابر فوافق عليه الصّلاة و السّـــــلام على ذلك و صُنِع له منبرٌ من الخشب يتكوّنُ من ثلاث درجاتٍ بسيط الشّكل و خالي من أيّة زخرفة فكان ذلك كلّه إيحاءً على بساطة الإسلام و المسلمين في ذلك الوقت[3] .

إنّ صناعة المنابر الإسلامية لم تعرف إزدهاراً و تطوّراً واسعاً خلال الفترة الإسلامية المبكّرة ، فلقد ظلّت المنابر الأولى على بساطتها حتّى في عهد الخلفاء الرّاشدين ، ومع مجيء

---

[1]- مهيريس مبروك ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، (دبلوم الدراسات المعمّقة غير منشورة) ، جامعة الجزائر في 1981 ، ص : 193.

[2] - مرزوق محمد عبد العزيز ، " الفنّ الإسلامي تاريخه و خصائصه" ، (بغداد ، 1965) ، ص : 42 .

[3] - مرزوق محمد عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص : 42 .

الدولة الأمويّة بدأت المنابر تأخذ نوعاً من التطوُّر خاصَّةً من حيث الزيادة في عدد درجات المنبر ، فأوَّلُ عملٍ قام به الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان هو الزِّيادة في عدد درجات منبر الرّسول صلّى الله عليه و سلّـــــم من ثلاث درجاتٍ إلى سبع درجات أو تسع حسب الإختلاف في أقوال المؤرِّخين .

وبانتشار الإسلام و توسُّعه بدأت المنابر الإسلاميّة تعرفُ عنايةً خاصَّة ، وبدأ المسلون يعتنون بصناعتها شكلاً و مضموناً ، وتنوَّعت مادّة صنعها بين الخشب و الحجر و الرّخام ، وأصبحت تُزخرف بشتّى أنواع العناصر الزَّخرفية المعروفة في الزَّخرفة الإسلامية ، من زخرفةٍ نباتيةٍ و هندسيةٍ و كتابيةٍ . و أضحى للمنبر دورين هامّين في المسجد :

الأوَّل اجتماعي ديني لكونها مكان إلقاء الخُطب أمام النَّاس يوم الجمعة و كذا مكان الفصل في قضايا و مشاكل المسلمين .

أمّا الثّاني فهو فنِّي بما يحمل من زخارف متنوِّعة تعكس في ذلك ما وصلت إليه الدَّولة الإسلامية من ازدهارٍ فنِّي يتماشى و الرُّوح الفنِّية الإسلامية .

و قد عرفت صناعة المنابر طرازين مختلفين من حيث شكلها العامّ :

الأوّل يُمثِّل طراز المنابر الثّابتة كالمنبر الرُّخامي بالجامع الجديد بالجزائر العاصمة و المنابر الإسلامية في المساجد المبكِّرة .

بينما الطِّراز **الثّاني** فتمثِّله المنابر المتحرّكة – المتزلقة – كمنبر الجامع الكبير بالجزائر و منبر الجامع الكبير بتلمسان ، وهذه المنابر تخصَّص لها غرفة على يمين المحراب تخرجُ منها يوم الجمعة لإلقاء الخطبة ثمَّ تدخل لها بعد آداء الصّلاة ، وقد خصّص لها من أجل الحركة عجلات حديدية تسير على قضبان حديدية [1] .

و نُشير هنا أنّ أوّل المنابر الرُّخاميّة ظهوراً في المساجد الإسلامية كان في عهد دولة المماليك و أقدمها هو منبر جامع آق سنقر بالقاهرة الغنيّ بزخارفه النباتية المتمثّلة في الأوراق و عناقيد العنب [2].

[1] - شافعي فريد ، " العمارة العربية في مصر الإسلامية" ، مجلد1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، (القاهرة ، 1970) ، ص : 633 .

[2] - زكي محمد حسن ، " فنون الإسلام " ، المجلد3 ، دار الرّائد العربي ، (لبنان ، 1981) ، ص : 239 .

إنّ وجود المنبر[1] في جامع الباشا لخيرُ دليلٍ على كونه مسجداً جامعاً ، فعلى يمين محراب بيت الصّلاة بحوالي متر تقريباً تُوجد غرفة المنبر ذات الشّكل المستطيل بطول 3.5م وعرض1م، تتصدَّرُها بوّابة من الخشب طولها 3.25م و عرضها 1.20م ، كما أنّها تحتوي في الدّاخل على بوّابة صغيرة بطول 1.13م وعرض87سم تنتهي في الأعلى بعقدٍ دائري توفدنا إلى رواق بيت الوضوء .

أمّا المنبر فهو ينتمي إلى طراز المنابر الإسلامية المتحرِّكة و المتكوِّنة من واجهة أمامية قوامها دخلة معقودة بعقدٍ على شكل يد سلّةٍ ، ثمّ جلسة الخطيب مربّعة الشّكل على جانبيها ريشتين يمنى و يسرى على شكل شبه منحرفٍ كلٌّ منها يزخر بشتّى أنواع الزخارف المربّعة و أوراق النّباتات و المواضيع المتنوِّعة حيث جاءت متماثلةً فيما بينها مكونة عناصر هندسية يغلب عليها الطّابع الأروبي .

صنع المنبر من الخشب الصّلب الذي يعتبر أحد أنواع الخشب المتميّز بالجودة و النّوعية ، إلى جانب شدّة صلابته و مقاومته للتأثيرات المختلفة ، كما يتكوّن من ريشتين : يمنى و يسرى إرتفاع الواحدة منها 3م وبطول 5.20م أمّا السُّمك فيقدر بـــ 1.40م ، ويتكوّن من جلسة للخطيب وهو بذلك يتّبع نفس النّظام السّائد في عمارة المنابر الإسلامية عامّةً منذ العصور الإسلامية المبكّرة حتّى العهد الحالي ،سواء كانت مصنوعة من الخشب أو من الرّخام أو من الحجر ، مثلُ منبرِ جامع القيروان الذي يُعَدُّ أقدم المنابر الخشبيّة في المساجد المغربية عامّة[2].وينفذ إلى جلسة الخطيب عن طريق واجهة قوامها دخلة معقودة بعقد على شكل يد سلّةٍ ، يعلوه إفريزٌ عريضٌ يتوّج واجهته الأمامية ، ونصعد إلى أعلاه بواسطة درجٍ قوامه سبع درجات إرتفاع الدّرجة الواحدة 25سم و بطول حوالي 70سم ، وينتهي هذا السُّلّم بقبيبةٍ مثبّثةٍ فوق باب بيته وهي على شكل مخروطي ، تنتهي في الأعلى بهلال و كويرة صغيرة .

لقد جاء منبر جامع الباشا فريداً من نوعه فهو الوحيد من بين المنابر العثمانية في بلادنا التي تحتوي على غرفة لدخوله و خروجه ، كما أنّه شبيه أشدّ الشّبه بمنبر الجامع الكبير بالجزائر العاصمة و منبر الجامع الكبير بتلمسان ، إنّه يحتلُّ مكانة مرموقة ضمن المنابر

[1] - انظر اللوحة رقم (25) .
[2] - فريد الشافعي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 633.

الإسلامية عامّة و المغربية خاصّة ، إذ يُمثل آية في الحسن و الجمال من جهة ، وآية في البساطة والسّهولة المطلقة في صناعته .

ثامناً : المئذنة :

تُعتبر المئذنة من العناصر المعماريَّة المهمَّة في عمارة المساجدِ و من الرُّموز التي تدلُّ على قيامها ورفعة مقامها فكان ذلك سبباً في تطوُّرها وارتقاء عمارتها عبر كافَّة العصور الإسلاميَّة .

عَرَفتِ المئذنةُ تسمياتٍ عدَّة : فمنها المنارة لتشابهها الكبير مع منارة الإسكندريّة ومنها المئذنة لانطلاق صوت الأذان من أعلاها ، وكذلك أطلق عليها إسم صومعة نسبة للأبراج العالية للزُّهاد بالصَّوامع ، وقد ورد ذكر هذه الأخيرة في القرآن الكريم ، قال الله تعـــالى :

« ولو لا دفْعُ اللهِ النَّاسَ بعضَهم بِبعضٍ لَهُدمت صَوَامِعُ و بِيَعٌ و صلواتٌ و مساجدُ يذكرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً »[1].

إنَّ ظهور معنى المئذنة قد وُجد زمن الرّسول صلّى الله عليه و سلّـــم ، فقد استعمل مؤَذِّنُهُ "بلال بن رَبَاح" أسطوانةً مرتفعةً في دار "عبد الله بن عمر" المُوَاجهة للمسجد النَّبوي يُنادي النّاس منها إلى صلاتهم ، إلاَّ أنَّ المُؤرِّخين قد أجمعوا إلى أنَّ أوَّلَ ظهور للمئذنة كنمطٍ معماري في المسجد كان زمن معاوية بن أبي سفيان أيام الخلافة الأمويّة عندما بنى مئذنة الجامع الأموي بدمشق ومئذنة جامع البصرة سنة 665 هـــ ومآذن جامع الفسطاط الأربعة في مصر سنة 672 هـــ .

لقد حظيت المئذنة باهتمامٍ بالغٍ و عنايةٍ فائقة من طرف المعماري المسلم ، فجعل لها أشكالاً و أنماطاً عدَّةً ، فمنها ما بُنيَ على شكل أسطوانةٍ كما في مساجد العراق ، ومنها ما بني على شكل مربعٍ كما في مساجد الشّام ، ومنها ما بني على شكلٍ حلزونيٍ كمئذنة الجامع الكبير في سامرَّاء و جامع ابن طولون في مصر .أمّا فيما يخصُّ موقعها فلم يُحَدَّد في

[1] - سورة الحجّ الآية (40) .

هيكل المسجد كالمحراب ، إذ يمكن أن تكون جزءً من مبنى المسجد كما في الجامع الأموي بدمشق و جامع القيروان وجامع قرطبة ، ويمكن لها أن تكون قائمةً لوحدها كما في الجامع الكبير بسامرّاء [1].

ومع مرور الزّمن باتت المئذنة قطاعاً قائماً بذاته وزاد ارتفاعها بمرور السِّنين ، وظهر في بعض المساجد أكثر من الواحدة كما في المسجد النّبوي الشّريف ، وتنوّعت أساليب زخرفتها و هندستها بتنوُّع العصور التي مرّت على ديار المسلمين حتّى أصبحت مرجعاً لتاريخ العمارة الإسلامية و سِجلاً لأطوار الفنِّ الزّخرفي ببلاد الإسلام .

هذا ولقد بُنيت مئذنة جامع الباشا بوهران[2] وِفقاً للطِّراز العثماني في بلاد الجزائر المثمَّن الشّكل السّائر إلى الأسطواني ، فهي فريدةٌ من نوعها في العمارة الإسلامية ببلاد المغرب العربي الذي تغلبت عليه المآذن المربّعة ذي الطّراز المحلِّي.

تنتصب هذه المئذنة في الزّاوية الجنوبية الشرقية للمسجد وتتكوّنُ من قاعدةٍ مثمّنةٍ يعلوها بدنٌ مثمّنُ الشّكل من القاعدة إلى القمّة تشتمل واجهته على أربعة قطاعاتٍ زخرفيةٍ تقسم إلى قسمين تفصل بينهما زخرفة بارزة مثمّنة الشّكل ، وتشمل هذه الزّخارف كلّ واجهات المئذنة الأمر الذي جعلنا نقتصر على وصف واحدةٍ فقط .

يحتوي القسم السّفلي على زخرفة[3] صفّين من العقود النّصف دائريّة ذات الشّكل المفصّص المتقاطعة فيما بينها داخل نطاقٍ مستطيلِ الشّكل غائر بعض الشيء في وجه المئذنة ، ويفصل بين كلٍّ من الصّفّين إفريزٌ من تربيعات الزّليج يتناوب فيها اللّون الأبيض والأخضر ، أمّا القسم الأوسط من المئذنة فهو في نظام زخرفته كالقسم الذي قبله ، يفصل بين كلّ من صفّيه إفريزٌ آخرٌ من الزّليج يُماثل القسم الأدنى من المئذنة ، ويُتوَّج هذا القسم بإفريزٍ أكثر عرضاً من الأفاريزِ الفاصلة ، وينتهي البدن بنطاقٍ مثمّنٍ يبرز قليلاً عن سمة جدار المئذنة وتقوم عليه شّرفةٌ مسوّرةٌ بسياجٍ قوامه قضبانٌ حديديّةٌ متقاطعةٌ فيما بينها مزيّنةٌ بأشكالَ هندسيّةٍ مختلفة .

---

[1]- ثروة عكاشة ، مرجع سبق ذكره ، ص : 119 .

[2] - أنظر اللوحة رقم (29) .

[3] - لمئذنة جامع الباشا بوهران طراز خاصٌ في زخرفة كامل جهات بدنها على عكس ما نلحظه في مئذنة جامع سيدي لخضر بقسنطينة و مئذنة مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر و مئذنة جامع صالح باي بعنابة وكلها ذي الطّراز العثماني المثمّن .

أمّا جوسق المئذنة فهو مثمّن الشّكل تُزيّنه زخارفٌ تكسو واجهاته الثّمانية قوامها تربيعاتِ الزّليج التي تتناوب منها الألوان البيضاء و الخضراء ، ويتوّج الجوسق في الأعلى بقبّةٍ مضلّعةٍ يعلوها سفودٌ بارزٌ يحمل أربع كرات من البرونز ثمّ هلالٌ يتّجه ذراعه إلى السّماء .

يربط المسجد بالمئذنة أسطونٌ مسقوف وهو بيت الوضوء ، يُؤدّي في ركنه الغربي إلى باب المئذنة و يُفضي هذا الباب عبر درجتان إلى مدخل المئذنة ويغلق هذا المدخل بابٌ خشبيّ يصل إلى جوف المئذنة التي تتّخذ من الدّاخل شكلاً مثمّناً ، أمّا من الدّاخل فتتوسّط المئذنة دعامةٌ مركزيّةٌ مستطيلة الشّكل ، وجديرٌ بالذّكر أنّ على يسار المدخل نلحظُ غرفةً مستطيلة الشّكل على غرار مئذنة جامع قلعة بني حمّاد و مآذن تلمسان في العهد الزّياني و المريني ، وهذه الغرفة مسقّفةٌ بقبوٍ نصف أسطواني ويدور حول الدّعامة المركزيّة سلّمٌ يتكوّن من مائة وخمسين درجةً تصعد إلى الأعلى ، كلّ دورةٍ من دوراته الأربع تشمل على أربع درجات ما عدا الدّورة الأخيرة التي يتغيّر فيها هذا النظّام فتتكوّن الدّورة من ثمان درجاتٍ ، وتُسقّف هذه الدّورات قبوات متقاطعة في الأركان تتوسّطها قبواتٌ نصف أسطوانية على غرار نظام القبوات بمئذنة جامع بني حمّاد و مئذنة المسجد الجامع بتلمسان ، ولكن مع مرور الزّمن بدأت القبوات تندثر بحيث لم يتبقّ منها إلاّ آثارٌ تدلّ عليها ، ويتخلّل كلّ دورةٍ مزغلٌ وضع خصّيصاً لغرض التّهوية وإدخال الضّوء على عكس النّوافذ المستطيلة الموجودة في مئذنة الجامع الكبير بتلمسان و المآذن الزّيانيّة الأخرى ، وتنتهي الأدراج في الأعلى بفتحةٍ كبيرةٍ مستطيلة الشّكل تحوّلت في فترةٍ قريبةٍ إلى بابٍ صغيرٍ يُؤدّي إلى الشّرفة الخارجيّة المحاطة بالسّياج الحديدي يعلوهما جوسقٌ الذي يُمكن أن نعتبره الطّابق الثّالث للمئذنة .

هذا ولقد استخدم في بناء المئذنة كتل متوسّطة الحجم من الحجارة المصقولة أشبه بالقوالب مستطيلة الشّكل التي صفّت على شكل حلّياتٍ و تلاحمت فيما بينها بملامط شديدة الصلاّبة تتخلّلها عوارض خشبيّة[1] .

[1] - عبد الكريم عزوق ، " تطوّر المآذن في الجزائر " ، ط1 ، مكتبة زهراء الشّرق ، (القاهرة ، 2006) ، ص: 102 – 105 .

مسجد الباي محمد الكبير بوهران

المبحث الأول: تاريخ مسجد الباي.

أوّلاً: تأسيسه.

ثانياً: التجديدات التي أدخلت عليه.

المبحث الثاني: الدراسة الوصفية المعمارية.

أوّلاً: بيت الصّلاة.

ثانياً: الصّحن.

ثالثاً : المئذنة.

رابعاً: بيت الوضوء.

خامساً: الغرف الإضافية .

المبحث الثالث: الدراسة الوصفية الفنية.

أوّلاً: القبّة .

ثانياً: الأعمدة .

ثالثاً: المئذنة .

رابعاً : المنبر .

لقد نشأت العمارة عن حرفة قديمة احتوت على أبسط الأشكال ، ثمّ تطورت هذه الحرفة حتّى غدت مجموعة المِهن المعمارية المختلفة ، ومنذ عصور موغلةٍ في القدم اشتمل البناء في شكله العادي على عناصر مستمدَّةٍ من العادات و الطقوس الدينية فكانت العمارة مزيجاً من العادات و التجارب و الشعائر الدينية ، أي أنّها اشتملت منذ أوّل أمرها على ناحيتين أحدهما طبيعية و الثانية سيكولوجية ، سارتا جنباً إلى جنبٍ على مدى الدهور التي تطورت خلالها التقنيات المعمارية[1].

ولعلَّ من أهمِّ أنواع العمارة الإسلامية التي تداولت قديماً و هي موجودة حديثاً الجوامع و المساجد و الزّوايا و الأضرحة و الكتاتيب ، أمّا الضَّريحُ أو المدفن فهو البناء التذكاري الذي يتخذه الحاكم أو الوالي كمقبرةٍ لدفن الشّهداء أو أهل البيت ، والشكل الأصلي لهذا البيت صالةٌ مربّعةٌ مغطّاةٌ بقبّةٍ ، ولتحويل المسقط المربّع إلى قبّة دائريّةٍ عملت منطقة انتقال مثمنة المسقط ، فتطورت خلال العصور الإسلامية و تعدّدت أشكالها في البلاد الإسلامية باستعمال الحنايا الرّكنية أو المثلّثات الكروية أو الإثنين معاً [2] .

المبحث الأول : تاريخ مسجد البـــاي محمد الكبيـــر

أوّلاً : تأسيسه :

تعتبر إصلاحات الباي محمد الكبير في مدينة وهران أكبر حافزٍ للنُّهوض بهذه الحياة و أهمّ مُستحقٍّ للدراسة وذلك نتيجة للأهمّية التي أولاها هذا الباي للجانب الثقافي و تشييده لمؤسّسات ثقافية خاصة .إنّ أعمال الباي الكبير لم تقتصر على جمع الكتب و اقتنائها و إيفاء البعثاث من أجل الدراسة ، بل شيَّدَ إنجازات حضارية هامّة ساهمت في رفع حركة التّعليم و الثّقافة [3] من أهمّها المدرسة العظيمة التي بها ضريحه و تعرف الآن بالمَدَّرسَة أو مدرسة

---

[1] - محمد نسيب ، " زوايا العلم و القرآن بالجزائر" ، ط1 ، مطبعة النّخلة دار الفكر ، (دمشق ، بدون تاريخ) ، ص : 27 .
[2] - صالح لمعي مصطفى ، " القباب في العمارة الاسلامية " ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص : 28 .
[3] - الواليش فتيحة ، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الجزائر سنة 1993م ، ص : 158 .

خنق النطاح[1].

ففي سنـــــة 1792م ومباشرة بعد تحرير وهران من الإحتلال الإسباني ، قام الباي محمد بن عثمان الكبير ببناء مسجد صغير يحمل إسمه [2] يكون مقبرةً له و لأفراد عائلته بعد وفاتهم.

وفي هذا الصدد يقول بن عودة المزاري : « ... ولّما طار خبر وفاته لأهل الجزائر سنة 1799م بعثوا لابنه عثمان خليفته و هو أكبر أولاده بالمملكة ،فركب فوراً و حثّ السَّير إليهم حثيثاً بعدما بعث أباه بوهران و أوصى على دفنه بالمدرسة التي بالموضع المسمَّى بخنق النّطاح من وهران ...»[3] .

لقد بُني هذا المسجد [4]في سهل خنق النِّطاح إلى الشَّرق من مدينة وهران القديمة على حوالي كيلومتر و نصف تقريباً ، ولا يبعد كثيراً عن المنحدر الذي يُشرف على البحر و الميناء البحري شمالاً ، وقد بُني على أرضٍ سهليةٍ منبسطةٍ واسعة ، خاليةٍ من العمران بعيدة كلَّ البُعد عن المدينة القديمة وهران بمسافة طويلة ، و هوحالياً بموازاة شارع جبهة البحر (تريبولي) قرب سوق ميشلي المخصَّصِ للخضر و الفواكه ، وتفصل بينه و بينها عمارات حديثة و شاهقة استحدثها الفرنسيون مؤخَّراً .

لقد بنيَ هذا المسجد على شكلٍ مستطيلٍ ، نصفه الشرقي قاعة متوسّطة الحجم و شبه مربَّعة ، ونصفه الغربي تتوسَّطه ساحة صغيرة بها نخلة و بعض الحشائش ، وهي محاطة بسياج من الآجر و نافورة من المياه.

و في الزَّاوية الشرقية للقاعة توجد منارة متوسّطة العلوِّ ومربّعة الشّكل ، ووراءها إلى الغرب بيت صغير إقتطع من القاعة الرئيسية يتَّخذه الإمام حاليا مقراً له لإعداد خطبه و دروسه ، و إلى يسار المنارة و بيت الإمام يوجد بيت متوسِّط الحجم في مقدمة المسجد شرقاً

---

[1] - محمد بن يوسف الزّياني ، مصدر سبق ذكره ، ص : 203 .

[2]- يُسمّى هذا المسجد أيضاً : كارقنطة (karguentah) . أنظر :
أبو القاسم سعد الله ، مرجع سبق ذكره ، ص : 101 . وكذلك :
- Lespes ,R , op cit , p : 96 .

[3]- الآغا بن عودة المزاري ، مصدر سبق ذكره ، ص : 297 .

[4]- جاء في بعض المصادر أن هذا المسجد كان موجوداً قبل فتح وهران الأخير ، وكان مدرسة خارج أسوار مدينة وهران وأبراجها ، بحيث كان يقيم فيه طلبة العلم للدراسة و مراقبة تحركات الإسبان العسكرية في مدينة وهران ، وهو بذلك عبارة عن قاعدة أمامية إسلامية لتمهيد فتح وهران ، أنظر :
- W. Marial , La mosqué de sidi mohamed el kébir a oran , Société de géographie et d'Archéologie de la province d'Oran , Fondé en 1878 , Tomme X I I I° , p : 154 .

به حالياً آثاثٌ قديمٌ و يُعتَقدُ أنّه كان مثوى و قبرا للباي محمد الكبير مؤسّس المسجد ، و في مؤخّرته توجد أماكن للوضوء يبدو أنّها حديثة و لم تكن سابقاً و هي موجودة في ناحيته الغربية[1].

و بـــعد إحتلال فرنسا للجزائر و دخولها إلى مدينة وهران سنة 1832م ، حوّلَ العدوّ الفرنسي هذا الضّريح أو هذا المسجد إلى مسكن تداول عليه عدد كبير من الأوربيين ذوي الأصل الإسباني الذين أحدثوا بعمارته الدينيّة تغييرات كبيرة ، وجعلوه مربطاً للحيوانات (الخنازير) كما فعلوا بمسجد سيدي حسن أو مسجد المبايعة بمدينة معسكر و بمساجد أخرى تُعَدُّ بالمئات في كلّ أنحاء الجزائر و مدنها و قراها ،وذلك في إطار إهانة الجزائريين المسلمين و إذلال دينهم الإسلامي و تدنيس مؤسّساته المقدّسة الطّاهرة .

و بعد الحرب العالمية الثانية أخذ النُّواب الأهالي في المجلس البلدي لمدينة وهران يُطالبون بفتح مقبرة "مول الدُّومَة" في حي رأس العين للدفن بعد أن أغلقت ، وما إن فتحت حتّى تمّ نقلُ ضريحي الباي محمد الكبير و شقيقه الباي محمد الصّغير الملقّب بأبي كابوس إليها ،وتمّ المطالبة باسترجاع مسجد الباي إلى حاضرة الإسلام و المسلمين ، وكان المتزعّم لهذه المطالب النّائب " المكي بن زغود " الذي كان متزوجاً إبنة مدير جريدة "صدى وهران ، " L'echo D'oran " و أصله من مدينة غزوات ، وعندما حصل على هذين المطلبين سلّمَ مفتاح مسجد الباي محمد الكبير إلى الشّيخ المصلح " الطّيب المهاجي" الذي استعان بالرّجال المصلحين الذين قاموا بتنظيفه من الأوساخ و القاذورات و رمّموا ما تخرّب منه ، و أصلحوا بيوت الوضوء و عيّنَ الشيخ الطّيب المهاجي أحد تلاميذه إماماً عليه و يُدعى الشيخ "محمد الفليتي" ، و تمّ افتتاحه في حفلٍ بهيجٍ يوم الأحد الذي هو يوم عطلة آنذاك يُناسب حضور كلّ المعنيين[2] .

ولقد حاول حينها المعمّرون الأوربيون السّاكنون بحي خنق النطاح المساس بهذا المكان المقدّس و تعطيله عن مهامّه الديني ، فقد منعوا على إمامه الآذان حتّى لا يزعج الأوربيون القاطنون حوله في العمارات المحيطة به ، ثمّ أسّسوا عمارات شاهقة مجاورة له من أوقافه العقارية من طرف "شركة الجرف ، La Compagnie des dragages " التي

[1]- يحي بوعزيز ، " المساجد العتيقة في الغرب الجزائري " ، ص : 57- 58 .
[2] - المرجع نفسه ، ص : 60 .

أنشأت مينائي وهران و المرسى الكبير الحديثين ، وحاولت حينها منظّمة اليد الحمراء نسف هذا المسجد بقنبلة في سنة 1956م إلاّ أنّ العناية الإلهية حمته من هذا الهجوم وحالت دون أن يكون هذا المسجد منبراً من منابر الدعوة إلى الله تعالـــى .

كما حاولت السّلطات الإستعمارية تهديمه من أجل تعمير الحي ، فقد طلبت من الأسرة ذات الأصل التركي المالكة لهذا المسجد (هي أسرة باشتارزي) التّوقيع على التنازل عن المسجد مع التّعويض بمساحة في مكان آخر ، لكنّها رفضت ذلك واحتجّ المسلمون إلى السُّلطات العسكرية و لم يجد وزير الحربية فائدةً من إثارةِ المسلمين الجزائريين بوهران ، فقرَّر إعادة الضَّريحين إلى مكانهما و الإحتفاظ بالمسجد كمعلم تاريخي مصنَّفٍ منذ 24 ديسمبر 1903م بناءاً على اللّوحة التذكارية الموجودة فوق باب المسجد على شكل معين مكتوبة باللّغة الفرنسية [1]، مُحاطةٌ بكتابة باللغة العربية وهي :

« لا إله إلا الله و لا يدوم إلا ملك الله » مكرّرة مرّتين .

« لا إله إلا الله محمد رسول الله » مكرّرة مرّتين .

وفوق اللوحة الكبيرة لوحتين صغيرتين على اليمين و على اليسار مكتوب على كلّ واحدةٍ منهما :

« الحمد لله » .

[1]- أنظر اللوحة رقم (2) .

نص اللّوحة التذكارية هو:

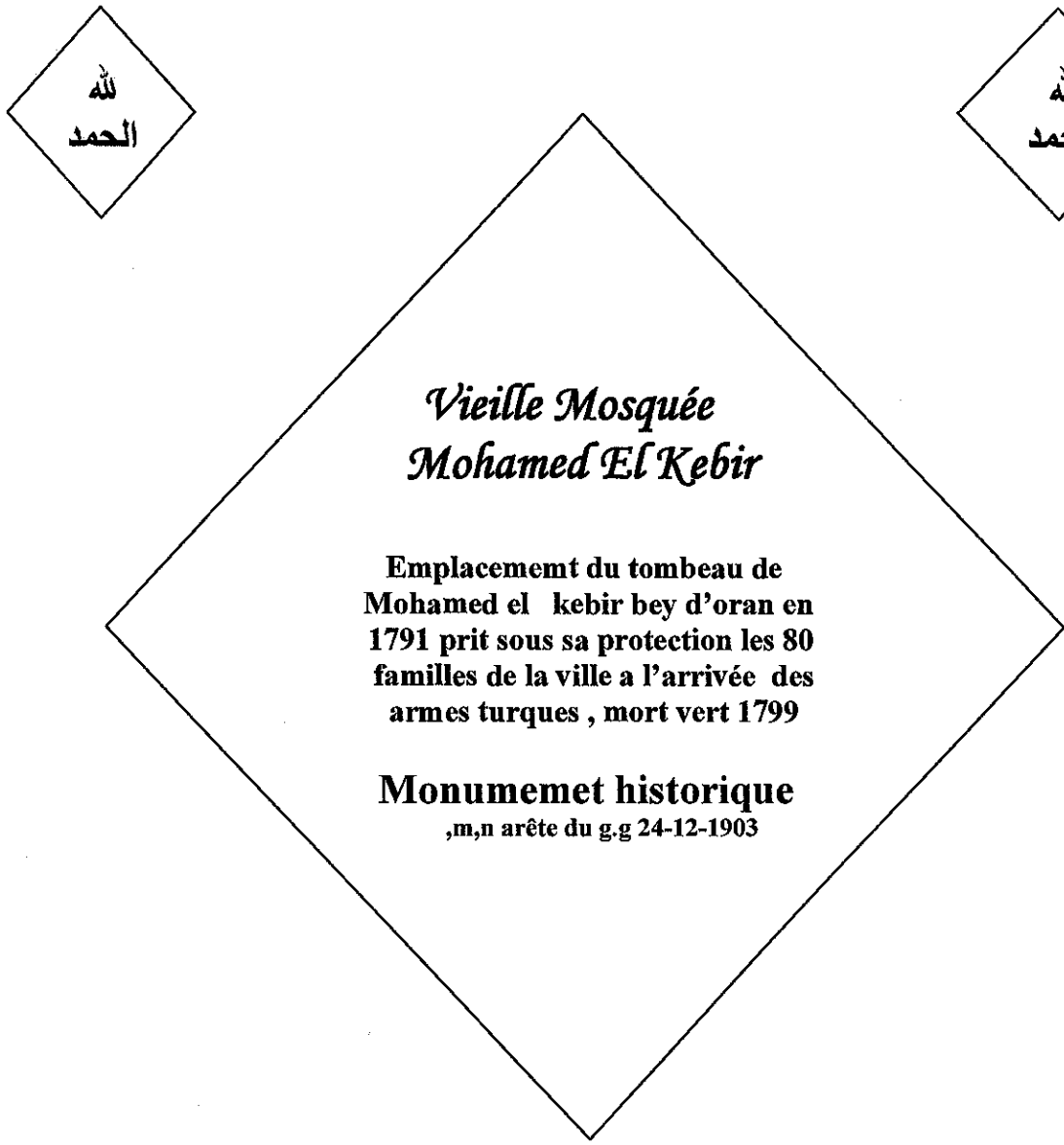

وترجمتها بالعربية هي :

ثانياً : التجديدات التي أدخلت عليه :

عرف مسجد الباي محمد الكبير كغيره من المساجد في الحواضر الجزائرية العديد من الإصلاحات و الترميمات و التجديدات عبر الأزمنة المختلفة ،ففي سنة 1930م تعرض هذا المسجد لبعض الترميمات و الإصلاحات من الداخل و الخارج أدَّى ذلك إلى تغيير المسجد و إزاحته بعض الشيء عن طابعه الأصلي القديم .

وبـــعد أن منح الله الإستقلال الوطني للشعب الجزائري سنة 1961م أصبح مسجد الباي و على غرار المساجد الجزائرية الأخرى تحت رعاية وإدارة وزارة الشؤون الدينية التي تبنت و تبنَّى الشعب معها مهمَّة إعادةِ الوجه الإسلامي إليها و إلى كلِّ البلاد و المؤسَّساتها.

أمَّا مسجد الباي فقد فتح للصَّلاة كما كان سابقاً ، و أدخلت عليه عدَّة إصلاحاتٍ نجملها فيما يلي :

2-1 : أُزيلت الساحة الداخلية ، و اقتلعت النّخلة التي كانت داخلها وضمت إلى ساحة قاعة الصَّلاة ، ووضع لها سقف من أخشاب طويلة مصفَّحة هذه بجانب الأخرى ، وبذلك توسَّعت قاعة الصَّلاة كثيراً حتّى شملت أغلب مساحة المسجد .

2-2 : إستحدث للمسجد مدخل ثانوي على يساره الشمالي يستعمله النساء للدخول إلى المسجد يوم الجمعة و الأعياد ، كما استحدث مدخلٌ آخر على اليمين في مؤخِّرة المسجد تقريباً إلى الجنوب يفتح عند اكتظاظ المسجد بالمصلّين كذلك يوم الجمعة و الأعياد .

2-3 : إستحدث منبر للخطابة يوم الجمعة وضع في البيت الوسطى الأمامية التي كانت في الأصل مقبرة الباي محمد بن عثمان الكبير و مدفنه ، و استحدث باب إلى يسارها يؤدّي إلى البيت المجاورة على اليسار والتي لها باب في الغرب قديم ما يزال قائماً و يُفتح يوم الجمعة ليصلّي فيه النَّاس ،أمَّا البيت الموجود على اليمين إلى الأمام فقد اتّخذها الإمام الحالي بيتاً له ، وبداخلها شرقاً باب يؤدّي إلى منارة المسجد .

3-4 : أغلقت الباب الدَّاخلية خلف المسجد التي تؤدّي إلى المراحيض و أماكن الوضوء و استحدثت باب خارجية غرباً وراء المسجد و ذلك تفادياً لاتِّساخ قاعة الصّلاة بالماء والقاذورات و المخلّفات اللاّصقة بأرجل المصلّين المتوضِّئين ، فكان ذلك كلُّه جهود ومساعدات على نقاوة المسجد و بقائه نظيفاً .

بكلّ هذه التَّحسينات و الإصلاحات المشكورين أصحابها عليها وجزاهم الله ألف خير ، أصبح مسجد الباي حالياً تحفةً فنّيةً إسلاميّةً رائعةً يعجُّ بالمصلّين و المتعبّدين كلّ يوم و في كلّ صلاة رغم صغره ، كما يعطي للحي الذي يقع فيه رونقاً و جمالاً و مسحةً إسلاميّةً هو بحاجة إليها ، و ذلك نظراً للطَّمس و التَّخريب الذين تعرَّضت لهما مدينة وهران خلال العهد الإستعماري الطَّويل الذي دام قرابة أربة قرون بشقّيه : الإسباني ، الفرنسي ، و نظراً إلى خلوِّ الحي من أيِّ مسجد عداه[1] .

[1]- المرجع نفسه ، ص : 63 – 64 .

إنَّـــهُ و لا شكَّ فيه أنَّ هذا المسجد و إن كان في الأصل مقبرة لعائلة الباي محمد بن عثمان الكبير ، إلاّ أنّه أسّس أيضاً ليكون مسجداً بدليل مئذنته التي بنيت له أثناء تأسيسه والموجودة على الزّاوية الشرقيّة أمام المسجد أو قاعة الصّلاة ، و المآذن و المنارات لا توضع ولا تؤسَّس إلاّ للمساجد التي يُراد أن تُقام بها الصلوات و يَتعبَّد فيها المسلمون و يُعلَّم بها القرآن الكريم و علوم الفقه و الحديث و الشّريعة و التّوحيد و كلّ العلوم و المعارف الإسلامية و العربية الأخرى .

من أجل ذلك كلّه إخترنا هذا المسجد للدراسة و التّحليل و أردناه أن يكون موضوع فصلنا هذا رغم أنّه في الحقيقة صغير الحجم و خالٍ من العناصر المعماريّة الكثيرة في المساجد عدا مئذنته الجميلة التي ينبع منها الفن الإسلامي ، و رغم خلوّه من المحراب الذي يُعتبر جزءاً أساسياً في عمارة المساجد في العالم الإسلامي.

رغم كلّ ذلك ، فسنحاول قدر المستطاع إن شاء الله تعالـــى دراسة العناصر المعمارية الموجودة في هذا المسجد وتوضيح قيمتها الأثرية و الفنّية .

المبحث الثـــاني : الدراسة الوصفية المعمارية

يعتبر مسجد الباي محمد الكبير كما هو مكتوب على بابه الرّئيسي أو كما يُسمى مدرسة خنق النطاح من جملة المساجد الجزائرية التي عانت ويلات الطّمس و التخريب ، و لم نعثر في بحثنا على تصميم المسجد القديم حيث المصادر تقول بأنّ هذه المدرسة العظيمة لعبت دوراً هامّاً في فتح وهران ، وحسب صورة المسجد التي افتتحنا بها هذه المذكرة[1] فإنّ له شبهاً كبيراً بمسجد سيدي بومدين بتلمسان[2] ، وهو مضلع الشكل[3] يبلغ محيطه 86 متراً .

[1]- نلا حظ أن الصورة الخارجية للمسجد من الجهة الشمالية الآن تختلف تماماً مع هذه الصورة القديمة التي أخذناها من كتاب الجمعية الجغرافية لمدينة وهران لصاحبه ماريال ، إنّها صورة غير حقيقية ، وإنّما هي صورة خيالية أقرب بقليل إلى الحقيقة ، ولكن لماذا ؟

كما نلاحظ إنّ قبة المئذنة لا توجد في الصورة القديمة ، وكذلك أقواس زخرفة المآذن فالتفصيص لا يوجد ، فالصورة القديمة تختلف اختلافاً كبيراً عن الصورة الحالية .

[2]- Rachid Bourouiba , "L'Art Religieux Musulman en Algérie" , p : 58 .

[3]- أنظر المخطط رقم (4) .

أوّلاً : بيت الصلاة :

نظراً لأنّ هذا المسجد قد استهدف للهدم و التخريب و الطّمس من طرف الإستعمار الفرنسي ، و نظراً لعدم حصولنا على مصادر ، فإنّنا نجهل تصميم بيت الصّلاة الأصلية للمسجد ، أمّا بيت الصلاة الحالية فهي عبارةٌ عن صحن محاط بأربعةِ أروقةٍ من الجهات الأربع ، هذه الأروقة مسقوفةٌ بالخشب على الطّريقة العثمانية[1] بين العود و العود 20سم وهي تشبه سقوف قصور القصبة بالجزائر العاصمة ، وسُقّفَ وسط الصّحن بسقفٍ من صفائح الزّنك [2]، وكلّ هذه الإضافات كانت بعد الإستقلال الوطني . طول بيت الصلاة الحالي 13.70م وعرضه 11.30م [3].

وأمام بيت الصلاة من الجهة الشرقية ثلاثة بيوت :

1)- بيت صغير على الجهة اليُمنى للمسجد و هي تعدّ حالياً كمقصورة للإمام ، طولها 3.50م و عرضها 2.50م .

2)- بيت تنتصب عليها القبة الرئيسية و هي في الوسط بين الغرفتين الأماميتين طولها 6م و عرضها 5.50م .

3)- البيت الثالث يوجد على الجهة اليُسرى ، طولها 6م وعرضها 2.30م .

ولهذا المسجد خمسة أبواب:

1)- يوجد الباب الرّئيسي[4] في منتصف الجدار الجنوبي عرضه 1.50م و ارتفاعه 2.50م و هو يُؤدّي إلى الشّارع مُباشرة .

2)- الباب الثّاني في نفس الجدار بالزّاوية الجنوبيّة الغربيّة لبيت الصّلاة ، عرضه 80سم و ارتفاعه 2م و هو حديث العهد .

3)- ويوجد الباب الثّالث بالجدار الغربي و يُقابل الأسكوب الثّاني من الجهة اليُمنى لبيت الصلاة ويوصل بيت الوضوء ببيت الصلاة ، عرضه 80سم و ارتفاعه 2م .

4)- ويوجد الباب الرّابع بالجدار الشّمالي و يُؤدّي من بيت الصّلاة إلى الشّارع مباشرةً ، عرضه 2م وارتفاعه 2.30م و هذا الباب لا يُستعمل إلاّ في المناسبات .

---

[1]- أنظر المخطط رقم (5) .
[2]- أنظر اللوحة رقم (30) .
[3] - أنظر اللوحة رقم (32) .
[4]- أنظر اللوحة رقم (31) .

5)- ويوجد الباب الخامس من الجهة الشّرقية و يُؤدّي من بيت الصّلاة إلى مقصورة الإمام و من هذه المقصورة إلى مئذنة المسجد ، عرضه 80سم و ارتفاعه 1.80م ، إضافةً إلى بابين كفتحتين داخليتين لبيت الصّلاة بالغرفتين الأماميتين .

أمّا النّوافذ فهي منعدمةٌ في مسجد الباي على عكس المساجد الأخرى ، وإنّا له خمسة عشر فجوةٍ صغيرةٍ بدون شبابيك على ارتفاع ثلاثة أمتارٍ لإدخال النّور و الهواء ، عرضها 20سم و ارتفاعها 40 سم .

وبما أنّ هذا المسجد قد شُوِّهَ و طُمس فالتّصميم الحالي لا يدلُّ على التّصميم الأصلي باستثناء مقصورة الإمام و القبة و الغرفة المخصّصة للكتب الموجودة في الجهة الأمامية للمسجد ، ونلاحظ أنّ لبيت الصّلاة الحالِيّة و التي هي عبارةٌ عن صحنٍ محاطٌ بأروقةٍ في الأصل ، فعدد البلاطات خمسة متقاربة في العرض إذ يتراوح عرضها ما بين 2.59م إلـــى 2.77م . أمّا الأساكيب فعددها خمسةٌ أيضاً يتراوح عرضها ما بين 1.54م إلـــى 2.64م

ثانياً : الصّحن :

بما أنّ هذا المسجد تعرّض للطّمس و التّخريب فنحن نجهلُ حالة المسجد الأصلية ، ومن خلال التّمعن و الدّراسة لحالته الآن كبيت صلاةٍ و هو في الحقيقة صحنٌ لأنّ الأروقة مسقوفةٌ بالخشب على الطّريقة العثمانية في قصور و مساكن القصبة بالجزائر العاصمة ، أمّا وسط بيت الصّلاة فهي مسقوفةٌ بسقفٍ من الزّنك . طول بيت الصّلاة الذي نعتقد أنّه كان صحناً 14.50م وعرضه 1.50م .

ثالثاً : المئذنة :

تقع مئذنة مسجد الباي محمد الكبير بالزّاوية الشرقية الجنوبية من المسجد[1] و في نفس الوقت من بيت الصّلاة ، يبلغ ارتفاعها الكلي 17.50م ، عرض قاعدة المئذنة يساوي عرضها في القمّة حيث يبلغ 3.60م وهي مقسّمةٌ إلى خمسة أطنافٍ تتخلّلها خمسة أقسام ،

[1] - أنظر اللوحة رقم (38) .

وتنتهي في الأعلى بثمان شرفاتٍ تتخلّلها أبراجٌ في كلّ جهةٍ من جهاتها الأربع ، يبلغ ارتفاع القسم الأوّل من المئذنة 13.50م ، ويبلغ ارتفاع جوسقها 4.50م ويبلغ عرضه 1.45م يحيطُ به ممرٌّ عرضه 92سم ، أمّا المئذنة من الدّاخل فهي تتكوّن من نواةٍ مستديرةٍ قطرها 1.20م محاطة بالممرّ المؤدّي إلى الأعلى عدد أدراجها 32درجة وارتفاع الواحدة منها 68سم وعرضها 21سم وطولها 95سم وهو يُساوي بذلك عرض الممرّ.

رابعاً : بيت الوضوء :

يقع بيت وضوء مسجد الباي محمد الكبير في مؤخّرة المسجد وراء بيت الصّلاة[1] وهو بيت جديد النّشأة على ما يبدو ، كما أنّه ضيّقٌ لاستقبال المتوضّئين إذ يحتوي على خمسة حنفيات للمياه و بيتين للخلاء ، وحسب إمام المسجد الحالي[2] فقد طلبت لجنة المسجد من سكان الحيّ التّبرع بأحد المساكن الأرضية المقابلة له وجعلها بيتاً للوضوء ، ولكنّ أزمة السّكن في هذه المدينة حالت دون تحقيق هذا الأمر .

خامساً : الغرف الإضافية :

لمسجد الباي محمد الكبير بوهران ثلاث غرفٍ رئيسيّةٍ متجاورةٍ من الجهة الشّرقية لبيت الصّلاة ، وهي :

الغرفة الأولى على الجهة اليمنى وهي عبارةٌ عن ممرٌّ يُؤدّي من بيت الصّلاة إلى المئذنة ، وهي الآن مستعملةٌ كمقصورةٍ للإمام ، طولها 3.20م وعرضها2.60م .

الغرفة الثانية تتوسّط جدار بيت الصّلاة الشّرقي وتنتصب عليها القبّة الرّئيسية للمسجد ، لها بابان الأوّل بين بيت الصّلاة والغرفة ، والثاني بينهما وبين الغرفة المجاورة على اليسار ، وبهذه الغرفة يوجد منبر المسجد وبها يقف الإمام لأداء الصّلاة لأنّ هذا المسجد ليس به محراب ، وتأخذ هذه الغرفة شكلاً مربّعاً طول ضلعها 5.60م.

---

[1] - أنظر اللوحة رقم (34) .

[2] - هو الإمام الشيخ حسين بوزيوجة ، وقد أجريت لقاءاً معه في مقصورته داخل مسجد الباي محمد الكبير في 12 / 06 / 2007 م .

الغرفة الثالثة توجد بالزّاوية الشّرقية الشّمالية ، وهي كمكتبةٍ للمسجد ومقصورةٍ ثانيةٍ للإمام ، طولها يُساوي طول الغرفة الوسطى وعرضها يُساوي 2.60م ، لها بابان الأوّل بينهما وبين غرفة القبّة ، والثّانية بينها وبين بيت الصّلاة .

المبحث الثالث : الدراسة الوصفية الفنية

نظراً لأنّ المساجد العثمانية في بلادنا تعرّضت للتخريب و التّهديم ، ونظراً لأنّها عانت الكثير من بطش الإستعمار الفرنسي الذي حاول بكلّ الطرق و الوسائل إخراجها من طابعها الدّيني الأصيل إلى طابع الخراب و التّشويه ، كان من بين هاته المساجد مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير الذي عانى الكثير من الإستعمار الفرنسي الذي حاربه بكلّ أنواع الفرص المُتاحة ، لأجل ذلك عند دراستنا الفنّية لهذا المسجد لاحظنا أنّه قد ضيّع الكثير من معالمه الفنّية الجمالية ذات الطّابع الدّيني التّركي ، فحاولنا أن نسلّط دراستنا على الشيء القليل الذي لا زال صامداً رغم كلّ ما يُعانيه من إهمال و لا مبالاة .

أوّلاً : القبّة :

لمسجد الباي محمد الكبير قبّةٌ واحدةٌ بجانب المئذنة على الجهة الشّمالية ، وهي منصّبةٌ على غرفةٍ مربّعةِ الشّكل ، طول ضلعها 5.56م ، أمّا من الخارج فهي ترتفع على قاعدةٍ بعلوّ 1.50م وهي ثمانية الأضلاع على غرار القباب العثمانية الأخرى، أمّا من الدّاخل[1] فمشكاته تحتوي في زواياها الأربعة على حنّيات على شكل ريش حمامٍ يتفرّع في أعلاه مشكّلاً نمطاً زخرفياً وجمالياً رائعاً .

ثانياً: الأعمدة والعقود والتّيجان :

يحتوي جامع الباي محمد الكبير بوهران على نوعٍ واحدٍ من الأعمدة ، وهي الأعمدة الدائريّة الشائعة في العمارة الإسلامية ببلاد المغرب ، وقد قسّمناها في هذا المسجد إلى نوعين:

1)- الأعمدة الدائريّة المنفردة[2] : وعددها 13 عموداً مقسّمةٌ على رواقات بيت الصّلاة الحالي أو الصّحن القديم ، طول العمود الواحد 1.50م وقطره 35سم و محيطه

[1] - أنظر اللوحة رقم (37) .
[2] - أنظر اللوحة رقم (33) .

1.11م وهو بذلك مشابهٌ في الحجم لأعمدة جامع الباشا ، إلاّ أنّه يختلف عنه في انعدام قواعده إذ ينطلق مُباشرةً من الأرض .

2)- الأعمدة الدائريّة المزدوجة [1]: وعددها سبعة أعمدةٍ مزدوجةٍ مثنى مثنى مجموعها 14 عموداً ببيت وضوء مسجد الباي ، أربعةٌ مزدوجةٌ منها في خارجه وأربعةٌ مزدوجةٌ في داخله ، يبلغ طول الواحد منها 1.35م وقطره 78سم أمّا محيطه فهو 1.22م وهي متّصلةٌ مع بعضها البعض بعقودٍ دائريّةٍ اتّساعها 2.12 م .

أمّا تيجان مسجد الباي فعددها 13 تاجاً يوجد في بيت صلاته [2]، وهي ذات أشكالٍ متشابهةٍ على هيئة شبه منحرفٍ يبلغ ارتفاعها 31سم تربطها عقودٌ حذويّةٌ مذبّبة الرّأس .

كما يُوجد نوعٌ آخرٌ من التّيجان بمسجد الباي تحت القبّة الرّئيسيّة ،وهي أربعةتيجانٍ مدرّجةٍ مقلوبةٍ عدد أدراجها ثلاثةٌ طول التّاج الواحد 79سم وعرضه47سم وارتفاعه23سم ، وتأخذ هذه التّيجان جانباً كبيراً من البساطة على عكس تيجان جامع الباشا .

ثالثاً: المئذنة :

تقع مئذنة مسجد الباي محمد الكبير كما سبق وأن ذكرنا في الزّاوية الجنوبيّة من المسجد و من بيت الصّلاة في نفس الوقت ، وهي مربّعة الشّكل من قاعدتها إلى أعلى بدنها إلى جوسقها [3]. وهي مقسّمةٌ إلى خمسة أطنافٍ تتخلّلها خمسة أقسامٍ ، القسم السّفلي لاشيء فيه ، والقسم الثاني مزيّنٌ في جهاته الأربعة بعقدَين مُفصّصين في وسطهما نافذةٌ مستطيلةٌ ، والقسم الثّالث يحتوي أيضاً في جهاته الأربعة على عقدَين مفصّصين يختلف تفصيصهما عن الأوّل بداخلهما أيضاً نافذةٌ مستطيلةٌ ، أمّا القسم الرّابع فهو كالسفليّ خالٍ من الزّخرفة ، ويبقى القسم الأخير و هو الخامس المزيّنُ بأقواسٍ مفصّصةٍ تختلف عن سابقاتها في الشّكل و التّفصيص تنتهي في الأعلى بثمانِ شُرفاتٍ على هيئةِ أهرامٍ مدرّجة .

---

[1] - أنظر اللوحة رقم (34) .
[2] - أنظر اللوحة رقم (33) .
[3] - أنظر المخطط رقم (8) .

أمّا جوسقها فهو عبارةٌ عن مضلّعٍ مربّع الشّكل في واجهته الأماميّة فتحةٌ مستطيلةٌ مغلوقةٌ في الأعلى بعقدٍ حذوي ، وهي متوّجةٌ في الأعلى بأبراجٍ وشرفاتٍ ، كما أنّ أعلاه مكسوّ بالزّليج وينتهي في الأعلى بطنفٍ عليه قبيبةٌ ثمانية الأضلاع بأعلاها قضيبٌ حديدي به كويرات وهلال .

رابعاً: المنبر :

يقع منبر مسجد الباي محمد الكبير في القاعة الأمامية التي تنتصب عليها قبّة المسجد الرّئيسيّة ، وهوأبسط مثالٍ للمنابر العثمانية في بلادنا ، يبلغ طوله 2.50م وعرضه 70سم وارتفاعه 2.50م ، تتكوّن واجهته من عارضتين عموديتين فوقهما عقد مستقيم الشّكل ، عرض هذه الواجهة 70سم وارتفاعها 2.50م .

وللمنبر ثمانية أدراجٍ من الدّاخل عرض الواحدة 25سم وارتفاعها 25سم وطولها70سم ، أمّا أعلى المنبر فهو خالٍ من القبيبات عدا الدّرجة الأخيرة التي هي عبارةٌ عن مقعدٍ عريضٍ يجلس عليه الإمام بين الخطبتين.

الفصل الثالث

فن الزّخرفـــة

المبحث الأول: الزّخارف النباتية .

المبحث الثاني: الزّخارف الهندسية .

المبحث الثالث: الزّخارف الكتابية .

عرفَ الإنسان جمال الطّبيعة منذ العصور القديمة إذ كانت مصدر إلهامه في زخرفة أعماله الفنّية ، فاستوحى منها مختلف الأشكال و العناصر الزّخرفية التي تتماشى و حياته اليومية ، فاختار منها عناصر طبيعية أصبغها بصبغةٍ جديدة ذلك عن طريق تحويرها و تجريدها من العناصر الطبيعية .

وعمليّة استنباط الزّخرفة و أنوعها تتطلب استعداداً خاصّاً يعتمد في ذلك على المشاهدة و التّأمُّلِ و التّدريب على كلّ ما يقع عليه اختيار الفنان من العناصر الطبيعة يُضفي عليها من التّحوير و التجريد الفني يتماشى وهدفه المنشود .

وبما أنّ الزّخرفة مستمدّةٌ من البيئة التي يعيش فيها الفنان المسلم فإنّ النتائج أقرب ما تكون إلى الحقيقة هي في ذلك تعكس صورة الفنان المسلم تماشياً و روح العصر .هذا وقد شاع أسلوب التحوير الزخرفي عبر مختلف العصور و الحضارات بلغ في ذلك درجة الرُّقيّ و التّطوُّر[1]، كما بلغت من خلاله الزّخارف الإسلامية التّجريدية أرقى مجالات التّطور التي أصبح من خلالها الفنُّ الإسلامي طابعاً مميِّزاً عن الفنون الأخرى[2].

إنّ إدراك الفنان المسلم لفنّ الزخرفة جعله يعتبر من أهمِّ مبدعيه و منشئيه حتّى كاد يعتبر الفنّ الإسلامي فنّاً زخرفياً ، ذلك أنّ أغلب ما خلّفه المسلمون من آثارٍ ومعالم حضاريّة تحتوي ولو بالشّيء القليل من الزّخرفة أو النّقش بدءاً من الخاتم الذي تُحلّى به اليد و انتهاءاً بالبناء الضّخم الواسع الذي يجمع الآلاف من النّاس .وإقبال الفنان المسلم على هذا الفن فيه شيء من العقيدة الخالصة التي جاء بها الدِّين الإسلامي الحنيف ، ففن الزّخرفة هو فنٌّ بعيد عن التشخيصِ بطبيعته ، كما استطاع الفنان المسلم بخياله الخصب أن يحقّق الأمر الآخر و هو البعد عن محاكاة الطبيعة و بهذا كان هذا الفنُّ ملائماً للمواصفات التي يحدَّدُ بها الفنُّ الإسلامي[3] ،ووُصُوله إلى هذه الدّرجة العالية من الإزدهار الفنِّي كان وفق مُتطلّبات عدَّةٍ أهمُّها :

1)- المحافظة على الخصائص المميّزة لكلِّ عنصر بحيث لا يُؤدِّي التحوير إلى تشويه معالمها، بل يُضفي عليها بساطةً و جمالاً فنِّياً يتماشى و روح الفنَّان الزَّخرفية .

---

[1]- حمودة علي حسن ، " فن الزّخرفة" ، (القاهرة ،الهيئة المصرية للكتاب ، 1972) ، ص : 25 .
[2]- محمد عبد العزيز مرزوق ، " الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه "، (بغداد 1965) ، ص : 180 .
[3]- صالح أحمد الشامي ، " الفن الإسلامي إلتزام و إبداع " ، (ط1 ، القاهرة ، دار القلم ، 1990) ، ص : 170 .

2)- تَوافق الوحدة المختارة مع الغرض الفنّي و الصّناعي المعدَّة له ، فمثلاً : تنفيذ الوحدات بالحفر على الخشب و الرّخام لا يُمكن إخراجه بطريقة الألوان أو الخيوط النَّسيجيّة التي تتَّجه تصميماتها نحو البساطة و التَّجرُّدِ من التَّفاصيل.

3)- تتناسب حجم الوحدة المحوَّرة مع السَّطح المراد زخرفته تماشياً لقربها أو بُعدها عن المشاهد ، وهي عملية تُستعمل في حالة الجمع بين أكثر من وحدة متميِّزةٍ في نفس النَّوع[1].

وتُعدُّ العناصر النَّباتية و كذا العناصر الهندسية و الكتابية مقوِّمات أساسيَّة في بناء هذا الفنّ ، تتعاون مع بعضها تارةً و تنفرد كلٌّ منها على حدىً تارة أخرى ، وعلى هذا فهناك ثلاث أنواعٍ من الزَّخارف قسَّمناها إلى ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول : الزّخارف النباتيّـــة

شهدت الزّخارف النّباتية في الزّخرفة الإسلامية عامَّةً تأثُّراً كبيراً راجعٌ إلى انصراف المسلمين عن استيحاء الطبيعة و تقليدها تقليداً صادقاً ، حيث نجد هذا الفنان المسلم لم يبتكر وحدات زخرفيّة نباتية جديدة ، وإنَّما برع في طريقة وترتيب العناصر النَّباتيَّة و تنسيق أجزائها تنسيقاً جعلها تبدوا و كأنّها شيء جديد في مظهرها لكنَّها لا تخرج عن أصولها الواضحة[2] فاستعمل الأشجار و الأوراق و الأزهار و السِّيقان لتكوين زخارف تمتاز فيها من تكرار و تقابل و تناظر بعد أن حوَّرها تحويراً شديداً جعلها تفقد شخصيتها كوحدات نباتية.

و قد رسمت هذه العناصر بطريقة إصلاحية محوَّرة بعيدة عن الطَّبيعة ذات جمال فنّي يدلُّ على قدرة مبدعها و ما وصل إليه من ابتكارٍ في هذا المجال ، وقد فسَّر بعض العلماء ذلك التّحوير بنفور المسلمين من تقليد الخالق عزّوجـــلّ في خلقه وبالتّالي انصرافهم عن صدق تمثيل الطَّبيعة ، إلاَّ أنّ البعض الآخر أرجع ذلك الإنصراف عن تمثيل الطبيعة الحقيقيّة

[1]- حمودة علي حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص : 25 .
[2]- محمد عبد العزيز مرزوق ، " الفنون الزّخرفية الإسلامية في العصر العثماني " ، (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، 1974) ، ص : 12 .

إلى طبيعة المناخ السّائد في أغلب البلاد الإسلامية والذي لا يُساعد على إظهار بدائع الطبيعة و نموّ النّباتات و الأزهار عكس ما يجري في البلاد الغربية و بلاد الشّرق الأقصى[1].

ورغم ذلك فقد بلغت الزّخارف النّباتية درجة سلمية من الجمال الفنّيّ و تفرُّقاً لا مثيل له و تجاوز في إبداعها حدّاً لم تستطع الفنون الأخرى بُلوغَه[2].

ولعلّ و أبرز ما ابتكره الفنان المسلم و استعمله في الزّخارف النّباتيّة في الفنّ الإسلامي نوع يُطلق عليه إسم " **الأرابسك** " و يُترجم عند بعض العلماء (بالرّقش العربي) ، وعمَّت هذه التّسمية حتّى كادت تُطلق على كل الزخارف النباتية في الفن الإسلامي و على كل أثاثٍ أو عمارةٍ أو تحفةٍ صُنِعت على هذا الطراز .

و الأرابسك زخرفة منثنية و ممتدّة و متشابكة أساسها تأويل النّبات و لاسيما الورق و السّاق و تعتمد على الخيال و التّصوُّرِ في استغلال الخطوط ،لذلك فهي غنيّة بالرُّسوم المحوَّرة على الطبيعة أو المقتضبة[3].

ظهرت زخارف الأرابسك في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي حيث نراها في الزّخارف الجصّيّة التي كانت تُغطّي جدران سامراء بالعراق و على العمائر المصرية في العصر الطولوني ، ثمّ واصلت تطورها و انتشارها عبر العصور خارج سامراء في إيران و المشرق و المغرب[4].

ويمكن إرجاع أصول هذه الزخرفة — المروحة النخيلية — إلى طراز سامراء التي تعود عناصره أساساً إلى الأصول الهلنسيّة و السّاسانية ، كما يُمكن اعتبار الطِّراز الأموي حلقة وصلٍ بين الزّخارف النّباتية الكلاسيكية و الزّخارف النّباتية الإسلامية و هو طراز يصعب التّفريق بينه و بين الطِّراز الهليتي[5].

و سارت هذه الزّخارف في سبيل التّطور و التجريد عبر العصور حتّى وصلت بين يدي الفنان التركي فاستعملها استعمالاً واسعاً و كوَّن من السِّيقان و الأوراق المُلتفّة

---

[1]- زكي محمد حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص : 249 - 251 .
[2]- لعرج محمود عبد العزيز ، " الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي " ، (ط1 ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1990) ، ص : 275 .
[3]- محمد الشّابي ، " أضواء على الآثار الإسلامية " ، (الدار التونسية للنشر، دون تاريخ) ، ص : 27 ، 28 .
[4]- محمد عبد العزيز مرزوق ، " الإسلام و الفنون الجميلة " ، (القاهرة ، دار الكتاب 1944،) ، ص : 12 .
[5]- زكي محمد حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص : 251 .

و الضّفائر و الفروع و الزّخارف المُتداخلة مواضيع زخرفية تتماشى و المفهوم الإسلامي للفنِّ ووُفِّقَ في توزيعها توزيعاً صادقاً ، فجاءت أكثر رِقّةً و أقرب إلى الحقيقة الطبيعية[1].

و لقد كان من نتائج هجرة الإيرانيين إلى قبائل تركيا وجود عناصر جديدة في فن منطقة الشّرق الأوسط مثل التّفريعات الهندسيّة ذات الألوان المستديرة كالتي وُجدت في زخارف سامراء الجصيّة و التي يُعتبر الشرق الأقصى ووسط آسيا مواطن ميلادها و التي لعبت دوراً فعّالاً في تطوُّر زخرفة التّوريق Arabesque في الفن الإسلامي[2].

كما عمل السّلاجقة على تطوير هذا التّوريق تطويراً عظيماً في إيران حيث يظهر ذلك جليّاً من خلال آثارهم الفنية و المعمارية ، كما أدخلوه بعد ذلك إلى آسيا الصُّغرى و اشتدَّ إقبالهم عليه فأتقنوه إتقاناً عظيماً حتّى صارت أسلوباً بأسسه المميّزة ، ولقد أطلق العثمانيون على هذا الفنِّ مصطلح " **الرومي** "[3] قوام زخرفته عناصر نباتية تُمثِّل فروع نباتية محوَّرة عن الطّبيعة ، وبذلك بزخرفة التّوريق العثمانية أو الأرابسك العثمانية ، ويُعتبر السّلاجقة ذووا الفضل الأكبر في نقل هذه الزّخرفة إلى آسيا الصُّغرى بعد أن طوَّرُوها في العراق و إيران[4].

إنّ الفنان المسلم إتّجه إلى أسلوب التحوير الزّخرفي في الفنِّ باعتباره جمال الحياة الذي لا يتحقّق إلاّ بالنّقل الصّحيح من الطّبيعة و التّحوير على السّواء ، لذا فإنّه اختار أسلوب التّحوير لتحاور مرحلة التّقليد فراح يبتكرُ صُوراً جديدةً تخضعُ لأصول الجمال الفنّي و تحملها بألوانها و أشكالها و ظلالها و أضوائها إلى عالم السِّحر و الجمال ، فاندفع و هو يرسم الأرابسك وراء خياله الخصيب مراعيا في ذلك الأسس الرّئيسية التي يقوم عليها فن الزخرفة من توازن و تقابل و تماثل و إشعاع ، فظهرت زخرفة التّوريق بين يديه جميلة رائعة تشدُّها إلى الوُقوف عندها كلّما وقع عليها نظرنا[5].كما أتقن الفنّانون المسلمون زخارف نباتية أخرى غير زخارف الأرابسك تتكوَّن أيضاً من زخارف نباتية و أوراق الزُّهور و هي

---

[1]-Arceven.g.a , Les arts décoratifs turcs , Ancara , S.D , p: 88 .

[2]- ديماند م س ، " الفنون الإسلامية "، ترجمة: أحمد محمد عيسى ، مراجعة : أحمد فكري ،(ط2 ، دار المعارف ، 1958) ، ص : 35 .

[3]- مصطلح " الرومي" يعني الرومنتي أي بلاد الآناضول أو آسيا الصغرى ، وهو الإسم الذي أطلقه السّلاجقة و الإرانيون على آسيا الصغرى حين استولوا عليها في القرن 11م ، أنظر:
لعرج محمود عبد العزيز ، مرجع سبق ذكره ، ص : 278 .

[4]- محمد عبد العزيز مرزوق ،" الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني " ، ص : 76 .

[5]- محمد عبد العزيز مرزوق ، " الفن الإسلامي تاريخه و خصائصه " ، ص : 182 .

إن كانت تُشبه الأرابسك إلاّ أنّها تتميَّزُ عنه بقُربها من الطّبيعة أكثر منه و أقلّ منه إقتضاباً و تحويراً.

لقد كانت هذه الزّخارف النباتية عبارة عن تطوُّرٍ طبيعي للزّخارف النباتية التي كانت سائدةً في الأقاليم الإسلامية ، تلك الزّخارف التي عرفتها الفنون الكلاسيكية قبل ظهور الفنّ الإسلامي إذ يستطيع أيُّ مُؤرِّخٍ للفنون أن يتتبَّع تطوُّر الزّخارف النباتية في الفنون الإغريقية و الرومانية و الهيلينية ليصل إلى نشأة الأرابسك[1].

و أوَّل ما تقوم عليه الزّخرفة في جامع الباشا بوهران نجد العناصر النباتية التي تنوّعت تنوُّعاً كبيراً وِفق مصدرها و كذا التأثيرات الأوروبية الواضحة في الزّخرفة الإسلامية و التي جاءت بفعل عدَّة عوامل أهمها ازدياد الإتّصالات التّجارية بين بُلدان حوض البحر المتوسِّط من جهة ، وبين تركيا و أوروبا الشرقية من جهة أخرى .ذلك ما سمح بتبادل المواد الفنّية التي من ضمنها المواد الرُّخامية خاصَّة مع أوروبا ، وهو ما أدَّى إلى تقليد و محاكاة الأشكال و العناصر الزخرفية الإسلامية من التحف الرُّخاميّة الأوروبية[2].

ففـــي زخارف مدخل جامع الباشا و في تيجان أعمدة دكّة بيت الصّلاة نُلاحظ طابعاً أوروبياً محضاً مع وُجود تأثيراتٍ تُركيَّةٍ و إضفاء بعض العناصر المحلّيّة ، ذلك كلّه يوحي سيادة الإتّجاه الفنّيّ الجديد الذي بدأ يظهر في شمال إفريقيا مع استمرار تطوُّرِ العناصر المحلّيّة[3].

هذا و يُعدُّ العهد العثماني أرقى العصور التي عرفها المغرب في المجال الفنّيّ ، فكان من خصائصه تعميم الزّخرفة على مساحة المسجد محاولاً الفنان بذلك الهروب من الفراغ ، ومتأثّراً في ذلك بالفنِّ المشرقي الذي عُرف بظاهرة الهروب من الفراغ والذي أصبح بعد ذلك عنصراً زخرفياً[4].

إنّ إتّصال العثمانيين بالحضارات الأخرى (الإيرانية و الصينية) قبل إستقرارهم في آسيا الصغرى جعلهم يتأثّرون بأساليبهما الفنّيّة إلى جانب تأثّرهم بفنِّ أبناء عمومتهم سلاجقة الرُّوم الذين مهَّدوا لهم الطّريق في تأسيس دولتهم .

---

[1]- محمد الشابي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 28 .
[2]- لعرج محمود عبد العزيز ، مرجع سبق ذكره ، ص : 276 ، 277 .
[3]- كونل أرنست ، " الفن الإسلامي " ، تر: أحمد موسى ،(بيروت ، دار صادر، 1966) ، ص : 21 .
[4]- خالد حسين ، " الزخرفة في الفنون الإسلامية " ، (دار البحار للطباعة و النشر ، 1983) ، ص : 160 .

ومع بداية الفتحات العثمانية واتّصالهم بحضارات الشّعوب الخاضعة لسيادتهم أعطى ذلك أسلوباً فنّياً جديداً ، فقد جلب السّلطان "سليم الأوّل" إلى مدينة إسطنبول خيرةَ الصُّنّاع و الفنّانين من تلك البُلدان فأصبح بذلك الفنُّ العثماني تركيباً و مزيجاً من عدّةِ فنون كالفنّ الإيراني الذي كان أقواها و الفنّ الصّيني و الفنّ السّلجوقي و الفنّ المصري و الفنّ الشّامي إلى جانب بعض الفنون الأوروبية .

وصلة العلاقة بين الأتراك و الأوروبيين جعلتهم جِدُّ مولعين بفنونهم و ذلك منذ عهد السلطان "عثمان الثالث" ، حيث ظلّت نفس التّأثيرات خلال القرن الثامن عشر ميلادي و عرفت إنتشارها و رقيها خلال القرن التاسع عشر ميلادي ، وهو ما أدّى بهم إلى إتقان المصنوعات الأوروبية خاصّةً طبقة الحكّام و الأغنياء الذين كانوا يستعينون بمعماريين و فنّانين أوروبيين لتشييد قصورهم و مساجدهم و زخرفتها بأحدث ما عرفته أوروبا حينئذٍ من أساليب فنّيةٍ متمثّلةٍ في **فنّ الرّوكوكو** الذي تطوّر من **أسلوب الباروك**[1] مع اتّجاهه نحو الدّقة و الرّشاقة ، فظهرت عناصر زخرفية جديدة مصدرها أوروبا تعتمد في زخرفتها على الأصداف ، القواقع ، الشماعد ، الأوراق المعقوفة ، وهي جميعها من أحد العناصر الرئيسية في طراز الباروك الأوروبي[2].

ورغم تأثُّر العُثمانيين بفنّ الباروك و الرّوكوكو الأوروبّيَين إلاّ أنّ هذان الأخيران لم ينجوان أيضاً من بعض الملامح التُّركيَّة ، ذلك لكون الفنّانين الأتراك أضافوا لهما بعض التّفاصيل العثمانية[3] صيغت كلّها في قالبٍ واحدٍ و رسمت بأسلوبهم التّقليدي الذي أصبح فيما بعد يُعرف بطراز الباروك التُركي[4]وهذا هو الذي نجده في الشكل الدائري بصحن جامع الباشا، أمّا لزخرفة قبة المدخل بجامع الباشا فقد استعمل الفنّان زخاف نباتية متنوّعة

---

[1]- مصطلح الباروك كلمة برتغالية مأخوذة من BARROCO و تعني اللؤلؤ غير المنتظم ، إستعملها العلماء للدلالة على الإتّجاه المعاكس للكلاسيكية .
و أوّل ظهور له كان في باريس خلال القرن 17م ثمّ إنتشر إلى أنحاء أوروبا و بخاصّةٍ في إيطاليا ، فقد استُعمل كثيراً في النّحت و التّصوير و الفنون الزّخرفية الأخرى ، وهو يعتمد في زخرفته على الخطوط المُلتوية و الأشكال الحلزونية من فروع و أوراق و سيقان نباتيةٍ .
أمّا فن الرّوكوكو فهو أسلوب و طرازٌ فنّيّ تطوّرَ مع أسلوب الباروك و استعمل كثيراً في زخرفة الخشب من جدران و أبواب و أثاث و سقوف و غيرها ، كما أنّه شبيه بالباروك من حيث طريقة الرّم و الأشكال مع اعتماده على عناصر متنوّعة من الأصداف المشتقّ منها هذا المصطلح . أنظر :
عفيف البهنسي ، " الفن عبرالتاريخ " ، مطبعة الجمهورية (دمشق ، بدون تاريخ) ، ص : 119 - 141 .
[2]- سعاد ماهر محمد ، " الخزف التركي " ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية و المدرسية (1972) ، 79 .
[3]- محمد عبد العزيز مرزوق ، " الفنون الزّخرفية العثمانية في العصر العثماني " ، ص : 58 .
[4]- سعاد ماهر محمد ، مرجع سبق ذكره ، ص : 58 .

من أوراق وأغصان النّباتات نُقشت بأسلوبٍ مُتميِّزٍ تبدوا عليها الملامح التركية ولو أنّها في جوهرها ذات طابعٍ أوروبي ، وهي تمتاز غالباً بوجودها صحبة العناصر الهندسية التي هي بمثابة إطارها الزّخرفي ، فقلّما نجد في هذا الجامع عنصراً نباتياً منفرداً دون أن يُحيط به شكل هندسيّ و حتّى إن وُجِدَ فإنّ الفنان التّركي لجأ إليه لملإ الأماكن الشاغرة كما سبق و أن ذكرنا .

قِوام هذه الزّخارف النّباتية أوراق الأقنثة والمراوح النّخيلية نُفِّدت وفقَ أسلوب الباروك و الرّوكوكو ، إلاّ أنّها لا تخلو من الملامح الشرقية التّركية و المحلّية ، إضافةً إلى أنّنا نجد كذلك أنواعاً أخرى من الوريدات و سلّة الفواكه المختلفة المنصبة في نافورة الصحن .

أمّا جامع الباي محمد الكبير فالزّخارف النّباتية منعدمةٌ فيه أو ربّما مزالة نتيجة الترميمات التي حصدت كلّ معالمه و فنونه الزّخرفية .

المبحث الثـاني : الزّخارف الهندسيـة

عرفت الفنون القديمة ضُروباً شتى من العناصر الهندسية و استعملت في مجالاتٍ عدَّةٍ بمختلف أنواعها و أشكالها ، إلاّ أنّها لم تكن ذات شأنٍ عظيم لكونها غالباً ما استعملت كإطاراتٍ لغيرها من الزخارف النباتية و الكتابية و الحيوانية[1].

أمّا في الإسلام و منذ العهود الأولى فقد أضحت الرسوم الهندسية عنصراً أساسياً من عناصر الزخرفة بما فيها الزّخرفة الجصّية و الرّخامية و الحجرية ، و برع الفنان المسلم و أبدع فيها كثيراً إلى درجةٍ جعلته في موقعِ إعجابِ و تقديرِ الفنانين الآخرين .وبراعة المسلمين في الزخارف الهندسيّة كان أساسها علمٌ وافرٌ بالهندسة العلميّة التي استعملوها في زخارفهم الهندسيّة كالدّوائر و المثلّثات و المربّعات و النّجوم و الأهلّة و الأطباق النّجميّة و أنصاف الدّوائر و كذا العصائب و الخطوط بأنواعها المنكسرة و المتشابهة[2] .غير أنّ الزّخاف الهندسيّة التي امتازت بها الفنون الإسلامية هي التّراكيب الهندسيّة ذات الأشكال النّجمية المتعدِّدة الأضلاع والتي ذاعت شهرتها في العمائر بمصر و في التحف الخشبية و النّحاسية و زخارف السُّقوف ، وقد نبغ المسلمون في هذا النّوع و أسرفوا في عمليّة الإبتكار و التّعقيد فيه[3].

ولقد لعبت الزّخارف الهندسيّة دوراً هامّاً في ازدهار الفنون الإسلامية عامّةً و بلغت ذروتها بالمغرب و الأندلس خلال القرن 14م خاصّةً في أكسية الجدران المُؤلّفة من الزّليج المُفصَّصِ أو الفسيفساء الخزفية[4] ، فاستعملت التّكعيبات بواسطة المعيِّنات كالتي زُخرفت بها مآذن المساجد الموحدية كمئذنة الجامع الكبير بندرومة ، وهي عبارةٌ عن أشكالٍ مخرَّمةٍ في جدران جصّيةٍ إلى جانب وُجود أشكالٍ هندسيّةٍ أخرى قوامها النُّجوم أو الشّرائط المتّصلة[5].

وسارت هذه الزّخارف في سبيل التّطوّرِ و الإزدهار عبر العصور حتّى وصلت بين يدي الفنّان التُّركي إذ استعمل منها أنواعاً متعدِّدَةً من أهمّها الخطوط بأنواعها : المربّع- المعيّن- المثلّث- الدّوائر- والعقود بأشكالها المُختلفة .كما زوَّدَ تُحفه بالأشكال السُّداسية و المثمّنة و المتعدِّدة الأضلاع ، إلى جانب استعمال الأطباق النّجميّة ،إلاّ أنّ جُلّ هذه

---

[1]- زكي محمد حسن ، " في الفنون الإسلامية " ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، 1981) ، ص : 25 .
[2]- المرجع نفسه ، ص : 32 .
[3]- أنور الرّفاعي ، " تاريخ الفنّ عند العرب و المسلمين " ، ط2 ، دار الفكر ، (دمشق ، بدون تاريخ) ، ص : 139 .
[4]- لعرج محمود عبد العزيز ، مرجع سبق ذكره ، ص : 265 .
[5]- كونل أرنست ، مرجع سبق ذكره ، ص : 258 .

العناصر لم تكن كموضوعاتٍ زخرفيّةٍ قائمةٍ بذاتها بل كانت تُستعمل كإطاراتٍ لتحديدِ و تقسيم الموضوع الزّخرفيّ إلى وحدات[1].

❖ إنّ العناصر الهندسيّة المستعملةَ في زخرفة قبة المدخل بجامع الباشا بوهران وصحنه وبيت صلاته لا تُؤلّفُ موضوعاً زخرفيّاً مستقلاً لذاته ، و إنّما هي في ذلك تبدو كإطاراتٍ و مساحاتٍ لزخارف أخرى نباتيّةٍ و كتابيّة .

ويتّضح ذلك من خلال الخطوط المتوازية في واجهة مدخل جامع الباشا [2] التي تحدُّ عقده الحذوي من الجهات الثلاث يَضُمّان بينهما خطوطاً هندسيّةً مزدوجةً متداخلةً مع بعضها البعض عمودياً حيث التّضافر و التّماثل يُعطي أشكالاً زخرفيّةً رائعة[3] ،كما نجد هذا النّوع من الخطوط المتوازية في الزّخرفة الموجودة فوق بيت قبّة المدخل على الجهات الأربعة[4] وهما خطّين مستقيمين طويلين يقسمان الزّخرفة الكتابية الموجودة بداخلهما إلى أربعة واجهاتٍ زخرفيّةٍ مميَّزة.

أمّا أشكال المربّع و المستطيل فنجدهما في منبر جامع الباشا [5] فقد احتوت ريشتاه اليُمنى و اليُسرى على مربّعاتٍ متساوية الطُّول (طول ضلعها28سم) تفصل بينهما خطوطٌ متوازيةٌ تربطُها نجمةٌ على كلِّ الجوانب ، أمّا المربّعات في الدّاخل فهي مزخرفةٌ بشبكةٍ نجميّةٍ تساعية الرُّؤوس وكلُّها مزيّنٌ باللّون الأخضر و الأحمر على أرضيةٍ بُنّية .

كذلك نجد في مسجد الباي محمد الكبير زخارف هندسية أجملها ما يوجد في مشكاة قبّته الرّئيسية [6]، وهي عبارةٌ عن أربعة زخارف هندسيّةٍ فوق تيجانه بزواياه الأربعة و هي على شكل جناح الطّير تتفرّعُ من الأسفل إلى الأعلى ، إضافةً إلى أشكالٍ مربَّعةٍ مُتقطّعةٍ بخطوطٍ بارزةٍ مُشكّلةً أربع مثلّثاتٍ متقابلة في الرّأس في الباب الرّئيسي لبيت صلاة المسجد[7].

❖ ومن العناصر الهندسيّة المستعملة في زخرفة المسجدين أيضاً نجد الهلال الذي هو من أحد أنواع الزّخارف الرّمزيّة ، فنجده في خمسة مواضع :

---

[1]- سعاد ماهر ، مرجع سبق ذكره ، ص : 79 .
[2]- أنظر اللوحة رقم (6) .
[3]- كامل سلمان الجبوري ، " كشكول الزخرفة العربية " ، دار مكتبة الهلال ، (بدون تاريخ) ، ص : 114 .
[4]- أنظر اللوحة رقم (8) و (9) .
[5]- أنظر اللوحة رقم (25) .
[6]- انظر اللوحة رقم (37) .
[7]- انظر اللوحة رقم (31) .

في أعلى منطقةٍ من قبّة المدخل و في أعلى منطقةٍ من قبّة النّافورة داخل صحن جامع الباشا[1] ، ونجده في أعلى منطقةٍ بجوسق المئذنة المثمّنة بنفس الجامع ، كذلك نجده في أعلى منطقةٍ من المنبر فوق الشّكل المخروطي المثمن الأضلاع ببيت صلاته[2] ، و نجده كذلك في أعلى منطقةٍ فوق جوسق مئذنة مسجد الباي محمد الكبير[3] ، وكلّها مصنوعٌ من النّحاس ماعدا هلال منبر جامع الباشا المصنوع من الخشب .

ولقد استعمل الهلال بشكلٍ واسعٍ في الزّخارف العثمانية عامّةً على مُختلف المواد خاصّةً الرُّخاميّة و الخزفيّة ، لكن المغزى الحقيقي من ذلك لا زال موضوع اختلاف العلماء و الباحثين بغضِّ النّظر عن اعتقادهم الشّعبي له و القاضي بإبعاد عين الحسود[4].

❖ أمّا العقود في كلتا المسجدَين فلها وظيفتّينِ ، الأولى معماريةٌ تتمثّل في مساعد الأعمدة على حمل سقف المسجد و الثّانية فنيّة جمالية ، وهي مختلفة الأنواع في المسجدين حاولنا وصف كلّها بقدر المُستطاع :

1)- العقود المفصّصة[5] : تُستعمل العقود المفصّصة في المساجد العثمانية من أجل التّزيين فقط، فهي توجد بقبّة النّافورة في صحن جامع الباشا من الجهات الثلاث ، وتوجد أيضاً بالمئذنة إذ تُحيطُ بجهاتها الثّمانية صفوفٌ من الأقواسِ المفصّصةِ تفصيصاً يُشبه تقاطع الدّوائر لتزيينها ، وقد تختلف هذه العقود من مسجد لآخر ، ويختلف بذلك تفصيصها أيضاً ، ونُلاحظ أنّ تفصيص عقود جامع الباشا يختلفُ عن تفصيص الجامع الكبير بالجزائر العاصمة و الجامع الكبير بتلمسان[6] .

2)- العقود المنكسرة : العقود المنكسرة هي الأكثر استعمالاً في المساجد العثمانية بالجزائر ، فنجد هذا النّوع من العقود ببيت صلاة جامع الباشا باتّساع 2.10م وارتفاع 1.90م ، ونجدها كذلك في صحن نفس الجامع باتّساع 2.57م وارتفاع 1.90م. كما نجدها كذلك ببيت صلاة مسجد الباي محمد الكبير ، إذ يتراوح اتّساعها مابين 1.5م

---

[1]- أنظر اللوحة رقم (5) و (8) و (9) .
[2]- أنظر اللوحة رقم (25) .
[3]- أنظر اللوحة رقم (38) .
[4]- محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، (رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة غير منشورة) ، جامعة الجزائر في 1984 ، ص : 188 .
[5]- أنظر الشكل رقم (8) و (9) .
[6] - Rachid Bourouiba ,« L'Art Religieux Musulman En Algérie , p :78.

إلـــى 2م وارتفاعها 1.90م ، وهذا النّوع يُشبه كثيراً عقود مسجد سيدي أبو الحسن بتلمسان .

3)- العقود الحذوية : يوجد هذا النّوع بجامع الباشا في واجهة الباب الرّئيسي لقبّة المدخل ، وقد شاع استعمال هذا النّوع من العقود في أغلب مساجد الجزائر كما في محراب الجامع الكبير و عقد محراب سيدي أبو مدين و عقود بيت صلاته و عقود مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

4)- العقود النّصف دائرية[1] : يوجد هذا النّوع فقط بالباب الرّئيسي لبيت صلاة جامع الباشا المُؤدّي من الصّحن إلى بيت الصّلاة ، وهو قليل الإستعمال في المساجد العثمانية ببلادنا عدا وُجوده في بيت صلاة الجامع الجديد[2] وأقواس أبواب مسجد علي بتشين بالجزائر العاصمة .

5)- العقود المشرّعة : يوجد هذا النّوع من العقود ببيت صلاة جامع الباشا و ببيت صلاة مسجد الباي محمد الكبير إذ يتراوح اتّساعها مابين 2.80م إلـــى 3.10م ويبلغ ارتفاعها 1.90م .وينتشرُ هذا النّوع من العقود في مساجد كثيرةٍ نذكر منها عقود الجامع الكبير و مسجد سيدي مروان بقسنطينة .

6)- العقود المستقيمة المنحنية[3] : هذا النّوع من العقود قليل الإستعمال في المساجد العثمانية في بلادنا أو في غيرها من المساجد ، عدا وجوده في صحن جامع الباشا بوهران إذ يبلغ اتّساعه 1.50م و ارتفاعه 60سم ووُجوده أيضاً بمنزل جمال الدّين الذّهبي بمصر[4] .

❖ كذلك من العناصر الهندسيّة بلاطات الزّليج المربّع الشّكل المستعمل للزّخرفة في كلتا المسجدين ، فهي تحتلُّ مكاناً واسعاً في العمائر العثمانية بالجزائر قاطبةً شأنُها في ذلك شأن المدن الإسلامية الكبرى .

فقد كسيت بها أسفل الجدران في بيت صلاة جامع الباشا[5] بعلوٍّ 95سم قوام زخارفها الأطباق النّجمية على النّمط المغربي الأندلسي[6] مرسومة باللّون الأبيض مع لمساتٍ

---

[1] - أنظر الشكل رقم (10) .
[2] - يُسمّى أيضاً جامع الحوائين وهو موجود بجانب ساحة الشهداء المعروفة .
[3] - أنظر الشكل رقم (15) .
[4] - كمال الدين سامح ، " العمارة الإسلامية في مصر " ، مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) ، ص : 165 .
[5] - أنظر اللوحة رقم (39) .
[6] - أنظر الشكل رقم (20) .

باللّون الأزرق و الأخضر ، ويُشار إلى أنّ هذه البلاطات توجد نفسها في جامع جورجي بالإسكندرية[1] ،إضافة إلى وجود أنواع أخرى من الزّليج في كامل جدران قبة محراب جامع الباشا من الدّاخل [2].

كما كُسي جوسق مئذنة مسجد الباي محمد الكبير ببلاطات الزّليج من الحجم الصّغير لها تصميماتٌ زخرفيّةٌ رائعةٌ من حيث وجود شريطٍ يمتدّ عبر رُكنين من أركان البلاطة تتوسّطُه مُعيّناتٌ بداخلها نقاطٌ [3] و تنطلق من هذا الشريط عناصر ثانوية من سيقانٍ مورّقةٍ و مزهّرةٍ بأزهارٍ بسيطةٍ أو مركّبةٍ مُلوّنةٍ باللّون الأخضر و الأزرق على أرضية بيضاء مزرّقة .

هذا إلى جانب استعمال بلاطاتٍ أخرى خاليةٍ من الزّخرفة كالتي استعملت في مئذنة جامع الباشا الملونة باللّون الأبيض و الأزرق كما كُسي جوسقه أيضاً بهذا النّوع من الزّليج.

[1]- لعرج محمود عبد العزيز ، مرجع سبق ذكره ، ص : 59 .
[2] - أنظر الشكل رقم (24) و (40) .
[3]- أنظر الشكل رقم (19) ، و اللوحة رقم (41) .

المبحث الثـــالث : الزّخارف الكتابيّـــة

إنّ صِلة العلاقة الوطيدة بين العقيدة الدينية الإسلامية والخطّ العربي جعلت المسلمين ينظرون إلى الخطّ بعناية خاصّة في نفوسهم ، كما حظي خطاطوه من المسلمين نفس المكانة من التشجيع و الإحترام ذلك لكون الكتابة و الخطّ العربي يُمثّلان مدى سيادة الإسلام و تعظيمها على سائر الدِّيانات الأخرى[1] .

وقد لعبت الكتابة العربية في الحضارة الإسلامية دوراً هامّاً في عالم الزّخرفة في الفنّ الإسلامي ، والمسلمون – كما يُشير الدّكتور أنور الرِّفاعي – لم يكونوا أوّل من استعمل الخطّ في زخرفة العمائر و التُّحف الفنّية الدينيّة ، وإنّما سبقهم في ذلك أهل الشّرق الأقصى والغربيون في العصور الوسطى .إلاّ أنّ هناك فنٌّ إستعمل الخطّ في الزّخرفة باستثناء الخطّ الصيني مثلما استعمله الفنّ الإسلامي وهذا طبيعيّ جدّاً بالنّظر إلى ما يمتاز به الخطّ العربي من خصائص و مميِّزاتٍ كاهتمام النّاس المُتزايد به لكونه لغة القرآن العظيم إلى جانب كونه خطّاً قابلاً للتطوير الزّخرفي[2] فحروفه ليِّنةٌ تُساعد كثيراً في عملية تشكيل المواضيع فيه لكونها مستقيمةٌ و قابلةٌ للتّقويس ، كما تُساعد الخطّاط على وصل خُطوطها برسومٍ زخرفيّةٍ أو هندسيّةٍ أو حتّى كتابيّةٍ أخرى ، هي في ذلك تتماشى و روح الفنّان حيث أنّها تُعطي صورةً واضحةً تتجلّى فيها براعةُ الفنّان الزّخرفيّة و دقّةُ تنفيذ الزّخارف و توازنها و الإبداع فيها[3].

وانصراف المسلمين عن استيحاء الطبيعة وتصوير الكائنات الحيّة و الزّخارف الآدميّة ربّما كان السّبب المُباشر في ازدهار و تطوُّرِ الزّخارف الأخرى من نباتيّةٍ حيوانيّةٍ و هندسيّةٍ وكتابيّةٍ ، ونُشير هنا على أنّ الزّخارف النّباتيّة و الهندسيّة في العصر الإسلامي جاءت كمرحلةٍ استمراريةٍ من مراحل التّطور و الإزدهار الفنّيّ الزّخرفي للعصور القديمة. أمّا الزّخارف الكتابية فإنّها من ابتكارات الفنّ الإسلامي لها مُميّزات خاصّة أضحت من

---

[1]- عبد العزيز محمود لعرج ، مرجع سبق ذكره ، ص : 247 .
[2]- أنور الرفاعي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 136 .
[3]- زكي محمد حسن ، " فنون الإسلام " ، ص : 234 .

خلالها أحد أهمّ الفنون الإسلامية[1] خاصّةً و أنّها أصبحت تأخذ حيّزاً هامّاً في زخرفة التُّحفِ محاولاً الفنان في ذلك تعميم الزّخرفة على المساحة كلّها .

و للكتابة العربية الزّخرفية دوراً هامّاً في تاريخ الفنون الإسلامية عامّةً حيث أنّها تُعتبر أساساً وسبيلاً لتأريخ المباني و التّحف ، ذلك من خلال ما تلقيه من ضوءٍ على الأساليب الفنّيّة و التّراكيب اللغويّة ، فكلّ إقليمٍ إسلامي يمتاز بأسلوبٍ خاصٍّ في الخطّ و الزّخرفة ، ومن خلال ذلك نجد أنّ الخطَّ العربي حظي بمكانةٍ جدُّ هامّةٍ في عالم الفنّ و الزّخرفةِ الإسلامية لم يحظى بها أيُّ نوعٍ من أنواع الفنون عبر العصور أو الأقطار المُختلفة ، فتفرّع إلى عدّة خطوطٍ تَميَّز كلّ منها بخصائص و مميِّزاتٍ جماليّةٍ وفنّيّةٍ ، أهمُّها نوعان رئيسيان هما :

الخطّ الكوفي و الخطّ النّسخي اللّذان بدورهما يتفرَّعان إلى أنواعٍ عدّةٍ ، كلٌّ بمميّزاته الخاصّة التي تُميّزه عن غيره من الأنواع[2] .

وحسب ما ذكره "أنور الرّفاعي" : « ...إنّ أوّل ما استُعمِلَ الخطّ العربيّ كفنّ زخرفيّ كان في مصر مع نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، ثمّ ذاعت شهرته وازدهاره خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وسار في ذلك حتّى بلغ ذروته في الرّوعة و الإزدهار الفنّيّ و الجمالي في أثناء القرنيين الخامس و السّادس الهجريين/ أي الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين .واعتمد الفنّان في ذلك على استعمال الخطّ الكوفي بأنواعه نظراً لما يمتازُ به من خطوطٍ مستقيمةٍ و حروفٍ تتماشى و هدف الفنّان المنشود »[3].

وقد ظلّت الفنون الإسلامية عامّةً تتوارثها الأمم و الحضارات الإسلامية المُتعاقبة إلى أن جاءت بين يدي الفنان التُّركي الذي أعطاها صبغةً جديدةً هي في ذلك تعكسُ مدى سيادة و سيطرة الإمبراطورية العثمانية على العديد من المناطق في العالم الإسلامي .

وأروع ما يتجلّى الفنّ العثماني عامّةً هو فنّ الخطّ العربي الذي ورثوه عن الأمم الإسلامية السّابقة لوجودهم التاريخي أو التي أخضعوها لسيادتهم ، فورثوه فنّاً كاملاً وواصلُوا به الطّريق إلى الإبتكار و التّطوُّر[4].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص : 234 .
[2]- عبد العزيز محمود لعرج ، مرجع سبق ذكره ، ص : 248 .
[3]- أنور الرفاعي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 136 .
[4]- محمد عبد العزيز مرزوق ، " الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني " ، ص : 248 .

ونُشير في هذا الصّدَدِ أنّ أهمّ ما قام العثمانيون بتقليده من أنواع الخُطوط العربية نجد الخطّ الكوفي بأنواعه ، وهو خطٌّ عُرِفَ بالخطّ الحجازي الجافّ الذي عرف ازدهاره و تطوُّرَه في الكوفة . كما برعوا أيضاً في تقليد الأقلام السِّتَّةِ التي ذاعت شهرتها في العراق أيّام الخليفة " المعتصم بالله " الذي اتّخذه العثمانيون إماماً لهم في هذا الميدان ، وهذه الأقلام السّتّة هي:

خطّ النّسخ المعروف بالخطّ الحجازي اللّيّن و الخطّ المحقّق وخطّ الثّلث و خطّ التّوقيع و الخطّ الرّيحاني و خطّ الرّقعة[1].

وقد لعب كلّ من خطّ النّسخ و الثّلث دوراً هامّاً في زخرفة المباني و كتابة المخطوطات العثمانية حتّى القرن 18م وذلك قبل أن تعرف العاصمة إسطنبول نوعاً آخر من الخطّ الذي عُرف بخطّ التّعليق المتميِّزِ بليونة واستدارة حروفه و استلقائها ، وقد ورثه العثمانيون عن الإيرانيين و أعطَوهُ مكانةً خاصّةً في زخرفتهم الفنّيّة .

إنّ بُلوغ الخطّاط العثماني أقصى درجات الرُّقيّ و الإزدهار الفنّيّ في مجال الخطّ لم يكن وليد الصُّدفة و إنّما جاء ذلك وِفق مراحل اتّبعها الخطّاطُ للوُصول إلى تلك المكانة المرموقة ، فأوّلُ ما بدأ هذا الأخير هو تقليد الخطوط السّابقة واستعمالها كما هي دون إضافة أدنى شيء إليها ، ثمّ اتّجه إلى مرحلةٍ جديدةٍ عُرِفت بمرحلة التّحسين حيث قام الخطّاط بمزاولة الخطّ بنفس الأسلوب مع إدخال نوعٍ من التّغيير في المجال الفنّيّ و الجمالي ، نتج عنها ظهور نوعين من الخطّ عُرِفا بالخطّ الغُباري و الخطّ المُثنّى ، بعدها دخل الخطّاط العثماني مرحلةً جديدةً و هي الأخيرة تمحورت في الإبتكار في مجال الخطّ حيث وُفِّقَ في ذلك إلى ابتكار صورةٍ جديدةٍ للكتابة العربيّة لم تعرف ظهورها إلاّ في العهد العثماني ، وهي مُمثّلة في الخطّ الدّيواني و خطّ السّياقة[2] .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص : 175 .

[2]- المرجع نفسه ، ص : 177- 184 .

ونُشير هنا إلى أنّ أهمّ الخطّاطون العثمانيون ظهوراً و إبداعاً في فنّ الخطّ هم :

علي بن يحي الصّوفي ، حمد الله الآماسي(القرن 15م) ، أحمد قره حصارى (القرن16م) ، حافظ عثمان(نهاية القرن 17م و بداية القرن 18م) ، إسماعيل أفندي (أواخر القرن 18م) ،أحمد شفيق بك (القرن 19م) .

ويظهر إجلال و تقدير العثمانيين للخطّ العربي من خلال استعمالهم له كعنصرٍ زخرفي في مُختلف العمائر و الفنون التطبيقية ، كالبلاطات الخزفية و القطع الرُّخامية كشواهد القبور والألواح التّذكارية و مداخل المساجد و منابرها ومحاريبها ، ذلك لما تتضمّنه هذه المجالات من عباراتٍ و معانٍ جليلةٍ و آياتٍ قرآنيةٍ و عاطفةٍ دينيةٍ و إيمانٍ عميقٍ ، خاصّةً أثناء استعمالها في المباني الدينيّة من مساجدَ و أضرحةٍ وغيرها ، لكونها غالباً ما تحمل كتابة و عبارات دينية مُختلفة إلى جانب أشعار صوفية مثلما يتّضح ذلك في جامع الباشا بوهران .

فقد وُجدت ثلاثة أنواعٍ من الخطوط في هذا الجامع هي :

1)- **الخطّ الكوفي** الذي استعمل في الكتابة الموجودة في قبّة المدخل[1] .

2)- **الخطّ الرّيحاني** الذي استعمل في اللوحة التذكارية الموجودة على يمين المدخل الرّئيسي للجامع [2].

3)- **الخطّ الرّقعي** الذي استعمل في الكتابة الموجودة فوق باب بيت صلاة الجامع[3].

أمّا مسجد الباي محمد الكبير فهو أصلاً خالٍ من الكتابات التذكارية أو الزّخرفية عدا اللوحة الموجودة فوق مدخله الرّئيسي و المكتوبة باللغة الفرنسيّة .

---

[1]- انظر اللوحة رقم (9) .
[2]- أنظر اللوحة رقم (3) .
[3]- أنظر اللوحة رقم (7) .

الخاتمـــة

من خلال ما تقدّم يُمكن القول بأنّ الآثار العثمانية على العموم في الجزائر ، و في مدينة وهران بصفة خاصّة تتميّز بالبساطة و قلّة الزّخرفة و النّقوش إذا ما قُورنت بمساجد الأندلس و المغرب الأقصى و الأوسط و الأدنى ، وخاصّةً مساجد المشرق الإسلامي من مصر و الشّام و العراق وفارس و القسطنطينية ، وغيرها من المساجد التي ما تزال شاهدة حتّى الآن .

كلّ هذه البساطة في عمارة المساجد سببه عدّة عوامل من أهمّها ، أنّ الخلافة العثمانية لم تعرف الإستقرار و السّلم و الأمن في كلّ رقعتها الواسعة من أوروبة الشرقية و آسيا و شمال إفريقيا ، ولهذا كانت الخلافة العثمانية و الولايات التّابعة لها تتميّز بنفس المميّزات وهي الحالة العسكرية و الجهاد المُستمر و الدّفاع المُتواصل ، وأخصّ هنا بالذّكر منطقة الغرب الجزائري و بالضّبط مدينة وهران التي كانت تُسمّى عند الجزائريين "بدار الجهـــاد" ، فكانت كلّ الميزانيّة و الطّاقات المادّية و البشرية كلّها مُخصّصة للجهاد و وردّ الطّابع الديني لهذه المدينة العريقة ، واستمرّ هذا الوضع طوال الوُجود العُثماني في الجزائر .

أضف إلى ذلك الفتن الدّاخلية و التّمرّدات القبليّة و عدم الخضوع و الرّضا و الطّاعة للخلافة العثمانية من طرف البعض ، و كذلك النّزاعات المُتكرّرة بين مُلوك المغرب و مُنافساتهم السّياسية للعثمانيين في بلاد المغرب العربي ، كلّ ذلك وغيره كان على حساب الأمن و السّلام و الإطمئنان و ازدهار الفن والثّقافة و الفنّ المعماري ، لأنّ الجزائر بصفةٍ خاصّة و الخلافة العُثمانية بصفةٍ عامّة كانت في حالة حرب .

لذلك عند دراستنا لنموذجين يرجعان لهذه الفترة نلمس نوعاً من البساطة الفنّية و قلّة الزّخرفة و النّقوش وبخاصّة في النموذج الثّاني و هو مسجد الباي محمد الكبير ، إنّ هذا المسجد ومن كثرة قلّة المعالم المعمارية الإسلامية فيه سمّاه بعض المؤرّخين المستشرقين و العرب فيلاّ للباي ثمّ مقبرة له ولأهله بعد وفاتهم ، فبيت صلاته خالية من الدّعائم و القواعد الرّخامية ، والتّيجان المُعقّدة كالتّيجان الآيونية و الكورنثية و المُركّبة الرّخامية مثل تلك التي تُوجد في المساجد العُثمانية

التي بُنيت في فترة أمان و سلام ، كذلك تتميّز بيت صلاته بالبساطة الفنّية و قلّة النّقوش و الزّخرفة ، إضافةً إلى انعدام المحراب منه نهائيا .

أما جامع الباشا فهو مزخرف بمجموعة من العناصر الفنّية نافست نظيرتها في هذا المضمار ، في مقدّمة هذه العناصر صحنه الرّائع الذي يحتوي على القبّة التّذكارية المُثمّنة في المدخل والرّواقان الجانبيان لها المُستمدّان في طابعهما من أسلوب الباروك الأوروبي ، كذلك احتواء بيت صلاته على عدد لا بأس به من الدّعامات المربّعة و على ستّة أعمدة رخامية ، أربعة منها حاملةٌ لدكّة المبلّغ ، والإثنان الآخران على جانبي المحراب ، كذلك قبّة محرابه المكسوّة بالزّليج المُزخرف و المُلوّن ، ثمّ مئذنته الثّمانية الأضلاع الشبيهة بمآذن المساجد العثمانية في الشّرق .

لقد شهد الطّرازان المعماريان المدروسان منذ تأسيسهما ترميمات عدّة شملت مُعظم هياكلهما خاصّة في عهد الجزائر المُستقلّة ، إلاّ أن هذه الإصلاحات و للأسف الشّديد جاءت من اليد غير المؤهّلة لصيانة الآثار و ترميمها على الشّكل الذي تُحافظ به على آثارهما الفنّية ، الشيء الذي دفع بالجمعيّة العامة لحماية و صيانة الآثار لمدينة وهران إلى استنكار هذا العمل و اعتباره شيئاً كبيراً في حقّ العمارة الإسلامية بالمنطقة ، كما تَسعى هذه الجمعية حالياً إلى ترميم جامع الباشا الذي تمّ إهماله على الوجه الإسلامي الأصيل الذي بُني عليه ... هذا كلّه صعّب علينا مُهمّة التّنقيب على الزّخارف و العناصر الفنّية في هاذين المسجدين إلاّ أنّنا استنتجنا أنّ من أهم السّيمات العامّة للعمارة الإسلامية في هذه المنطقة هي البساطة من حيث التّسميم و منطقيتها من حيث العلاقة التي تربط ما بين عناصرها المُختلفة ، سواء منها الإنشائية أم الزّخرفية .

وهكذا نُتمِّ بحثنا هذا بعون الله تعالـــى بجملة من النّتائج التي خلص إليها البحث ، ونحن نُركّزها في النّقاط الآتية :

– الدّور الرّيادي الذي لعبته مدينة وهران ومنذ أمدٍ بعيدٍ في الدّفاع عن راية الإسلام و المسلمين، وردّ العدوان الإسباني من بلاد العروبة الطّاهرة .

– المكانة العلمية و الحضارية التي لعبها كلّ من جامع الباشا و مسجد الباي محمد الكبير في ميادين مختلفة .

– الإهانات الكبرى التي تعرّض لها مسجد الباي محمد الكبير من طرف المستعمر الفرنسي ، مُحاولة منهم تغييره عن مساره الديني الحنيف .

– الطّراز الجديد الذي ظهر في جامع الباشا بوهران وهو طراز "الباروك التُركي" المُتمثّل في صحنه الخارجي .

إنّ إعادة الإعتبار لهذين المسجدين باعتبارهما معلمين تاريخيين للحضارة العثمانية في بلادنا ، هو إعادة إحياءٍ للحضارات التي تعاقبت على منطقة وهران لأنّ العمارة فيها صروحها الباقية على أنّ مُشيّديها تفطّنوا منذ الوهلة الأولى إلى القوانين الهندسية و الجمالية التي كانت تُدير البناء ، و واضح أنّهم استقوه من معين يستمدّ موارده من الحضارات السابقة و من البيئة الشّرقية التي أضلّتهم ، فجاءت أعمالهم أصيلة تُعبّر عن مستوى حياة و فكرٍ رفيع .

الملاحـــق

1- ملحق الخرائط

2- ملحق المخططات

3- ملحق الأشكال

4- ملحق اللّوحات

5- قائمة البيبليوغرافيا

ملحـــــق

الخرائط

بايليـك الغرب

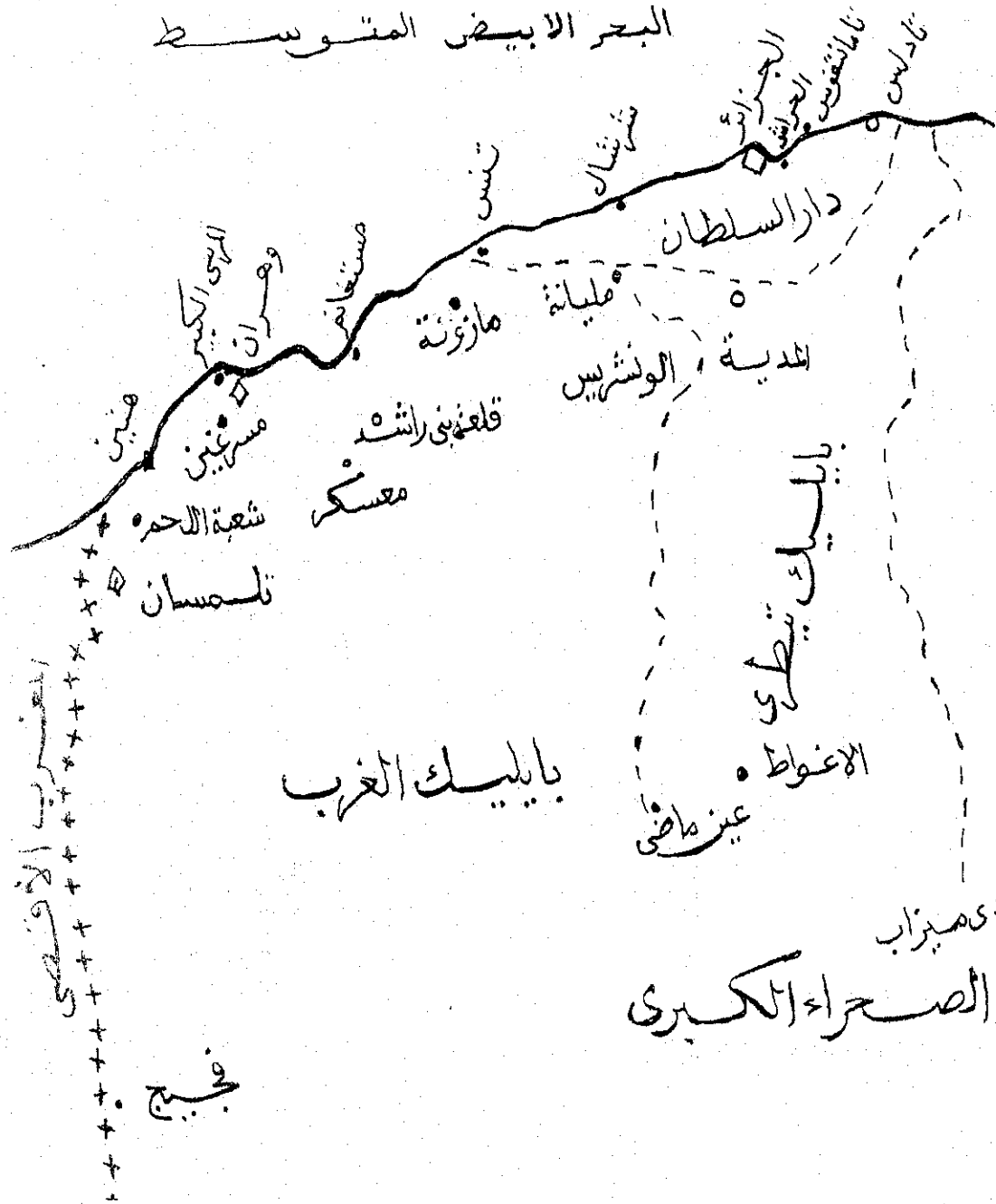

خريطة رقم (1) : بايلك الغرب حسب التّقسيم العثماني .

(عن، توفيق المدني)

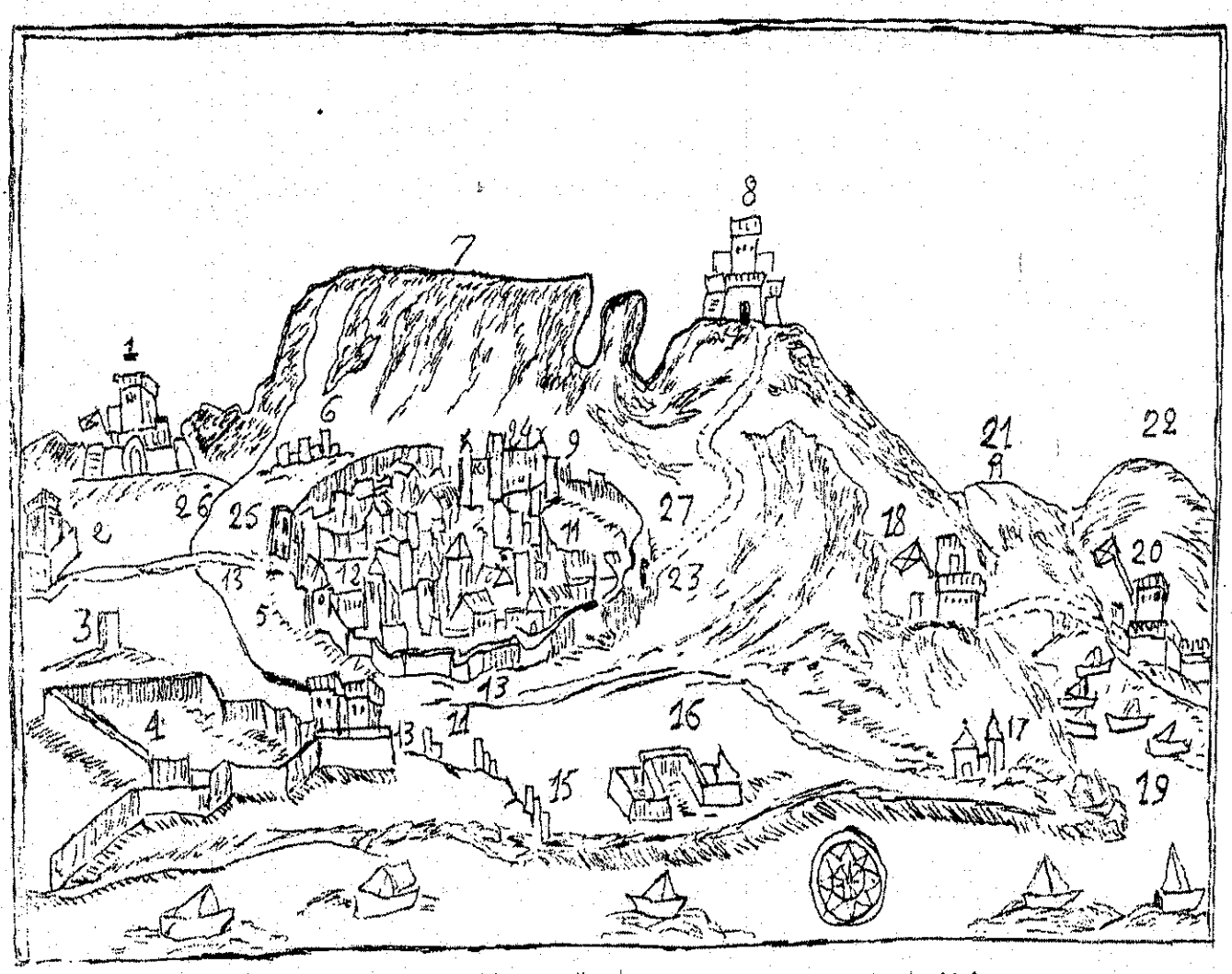

VUE PERSPECTIVE D'ORAN, d'après une gravure espagnole de 1732
(Iconographie historique de l'Algérie, tome II, Gabriel Esquer).

1. Castillo de San Phelipe.
2. Castillo de San-Andrés.
3. Torre de Madrigal.
4. Castillo de Rosalcazar.
5. Puerta de Canastel.
6. Arc. Lugar de Moros
7. La Montana de la Meseta
8. Castillo de Santa Cruz.
9. Iglesia de Santa Maria
10. Convento de Nuestra Senora de la Merced
11. Convento de S. Domingo
12. Convento de S. Francisco.
13. Huertas de Oran
14. Molinos Harineros
15. Los Barranes
16. Corrales de las Barcas
17. Ermita de Nuestra Senora del Carmen
18. Castillo de S. Gregorio
19. Bahia o Puerto de Mazarquivir
20. Castillo de Mazarquivir
21. Atalaya
22. Montana del Santo.
23. Puerta de Mallorca.
24. La Alcazaba
25. Puerta de Tremecen
26. Arroyo, o Rio.
27. Camino para el Castillo de Santa Cruz.

خريطة رقم (2) : وهران سنة 1732م .

(عن، مبروك مهيريس)

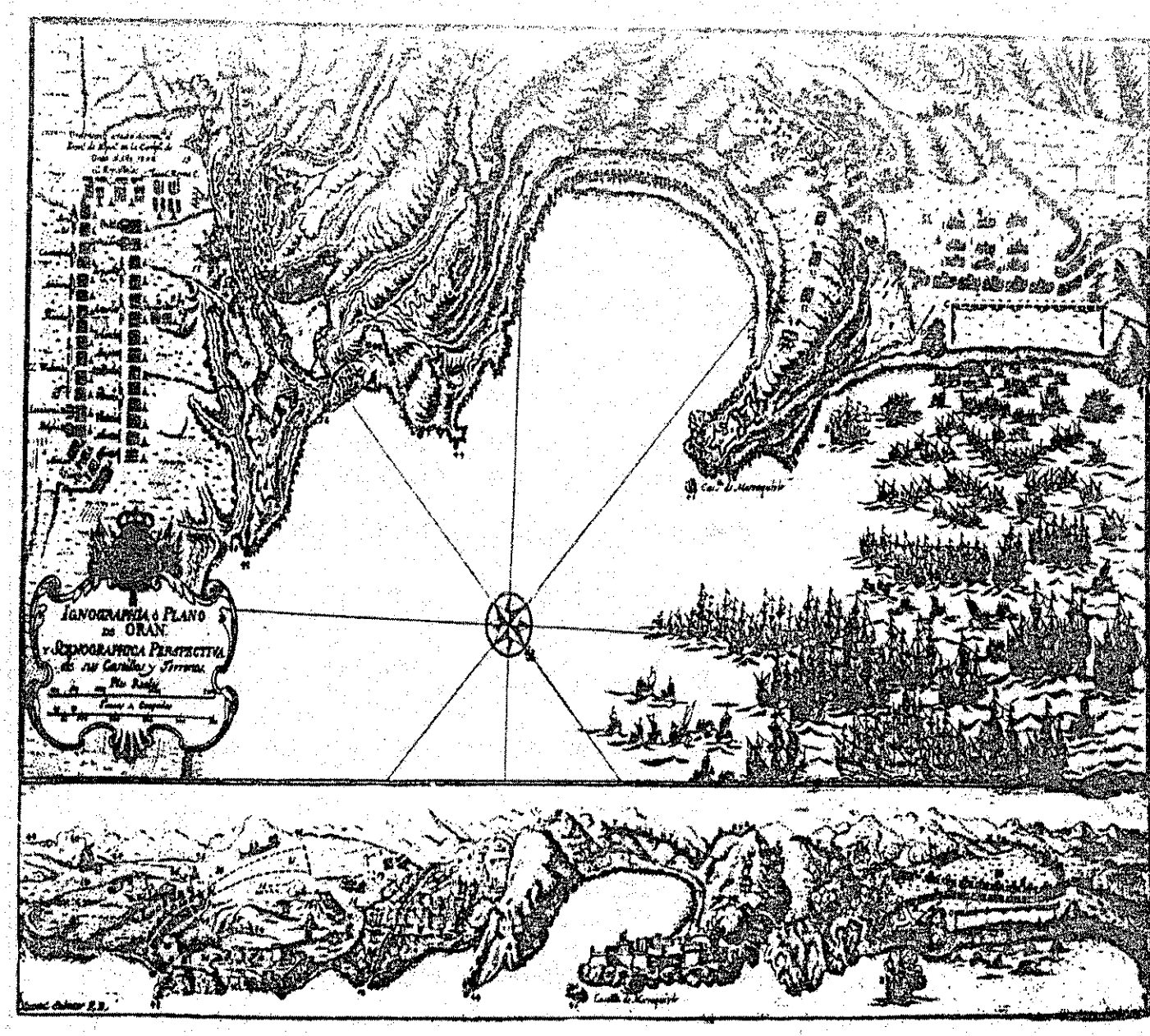

خريطة رقم (3) : رسم إسباني لمدينة وهران و المرسى الكبير .

(عن، توفيق المدني)

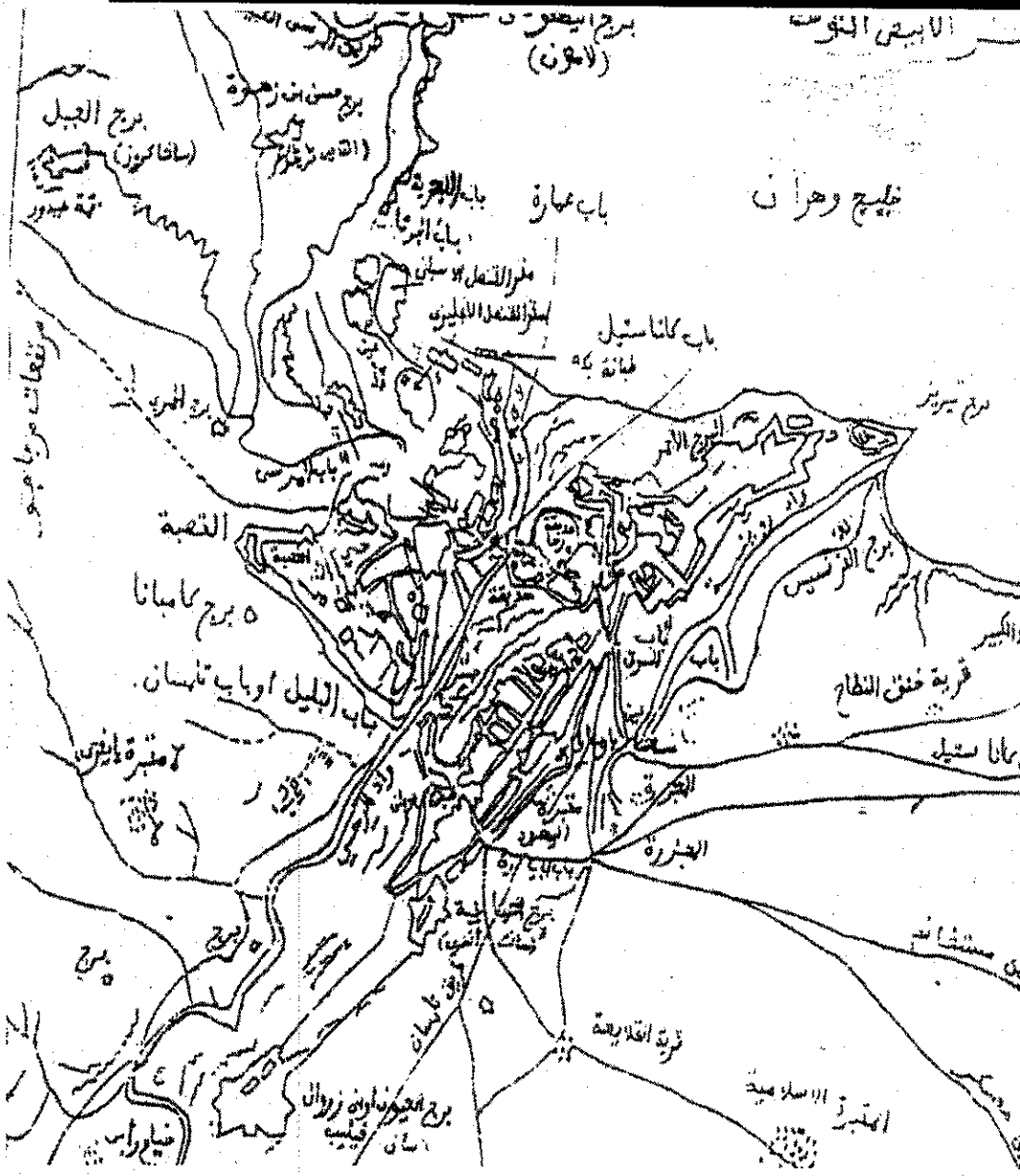

خريطة رقم (4) : خريطة مدينة وهران سنة 1931م.

(عن يحي بوعزيز)

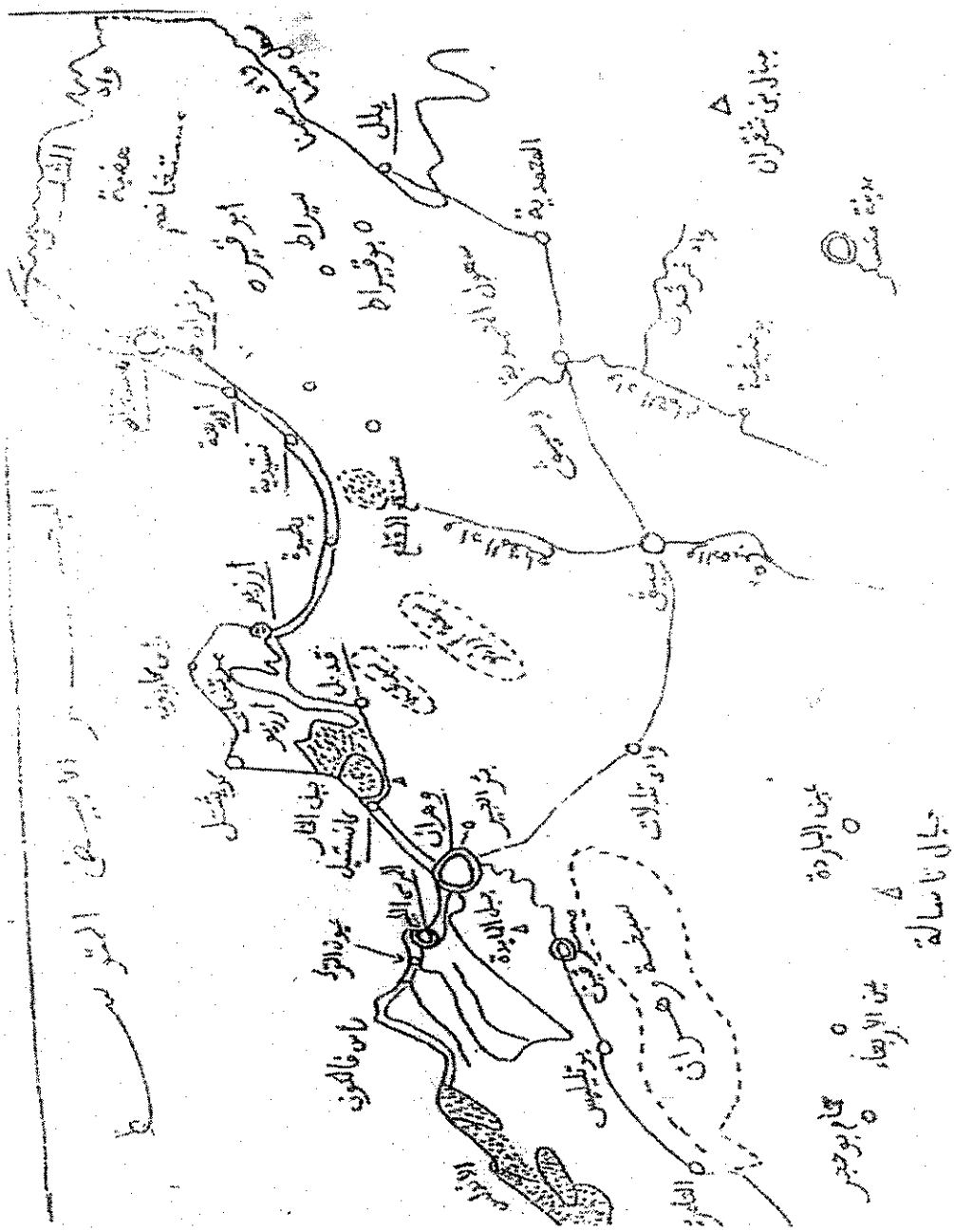

خريطة رقم (5) : وهران و المرسى الكبير و المنطقة الغربية الوهرانية

التي شهدت أحداث الإسبان.

(عن يحيى بوعزيز)

ملحـــــق

المخططات

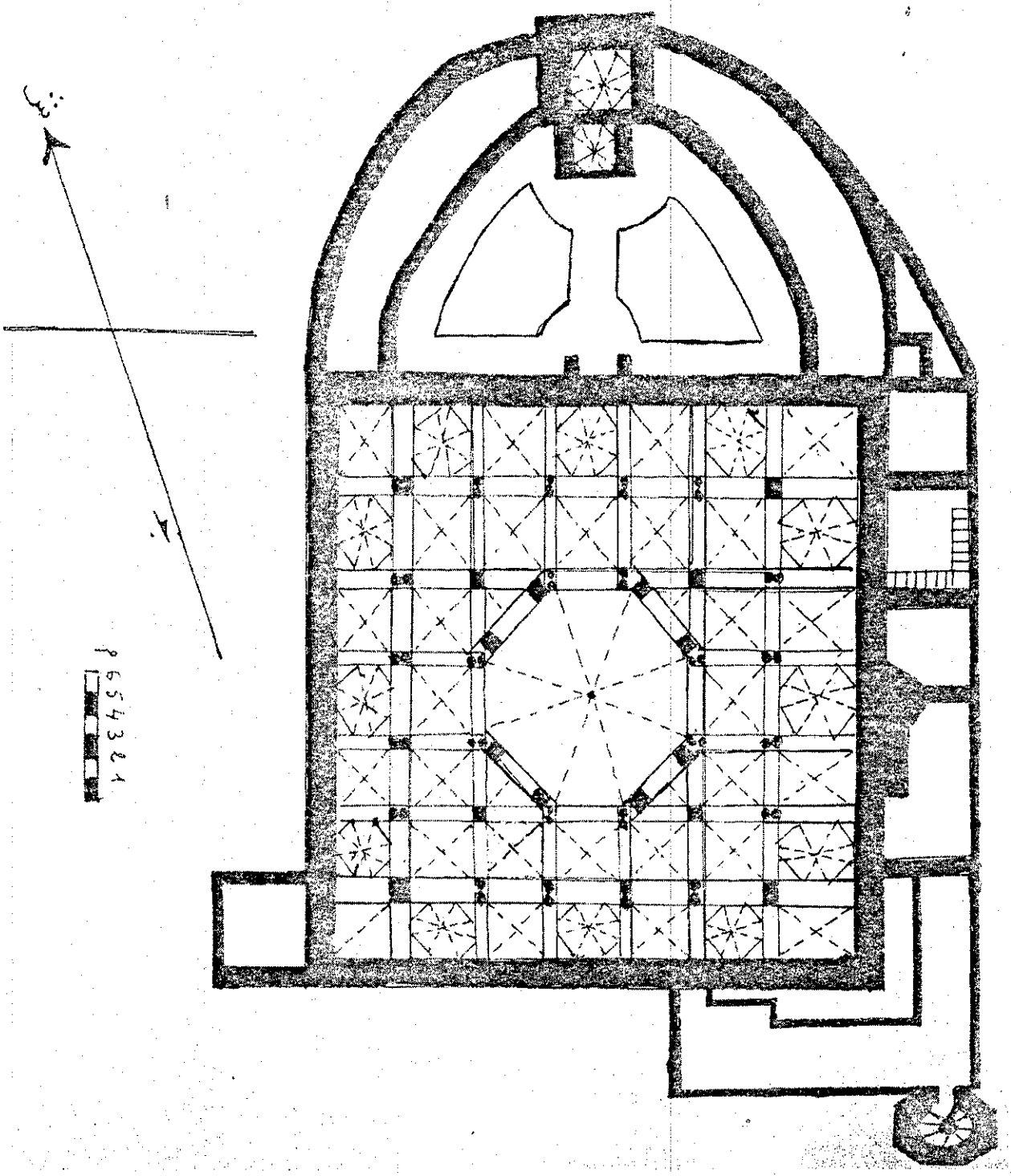

مخطط رقم (1) : مسقط أفقي لجامع الباشا بوهران .

(عن، مبروك مهيريس)

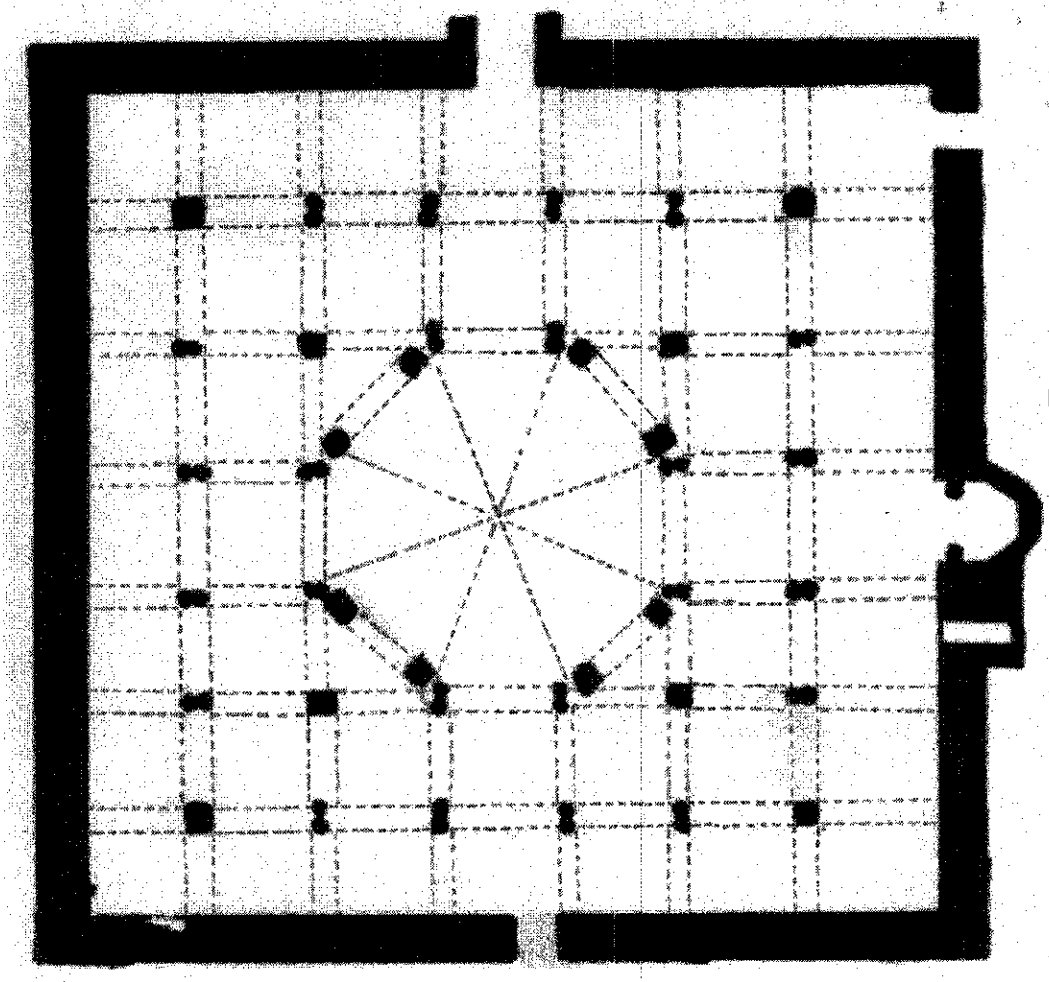

مخطط رقم (2) : بيت صلاة جامع الباشا بوهران.

(عن، رشيد بورويبة)

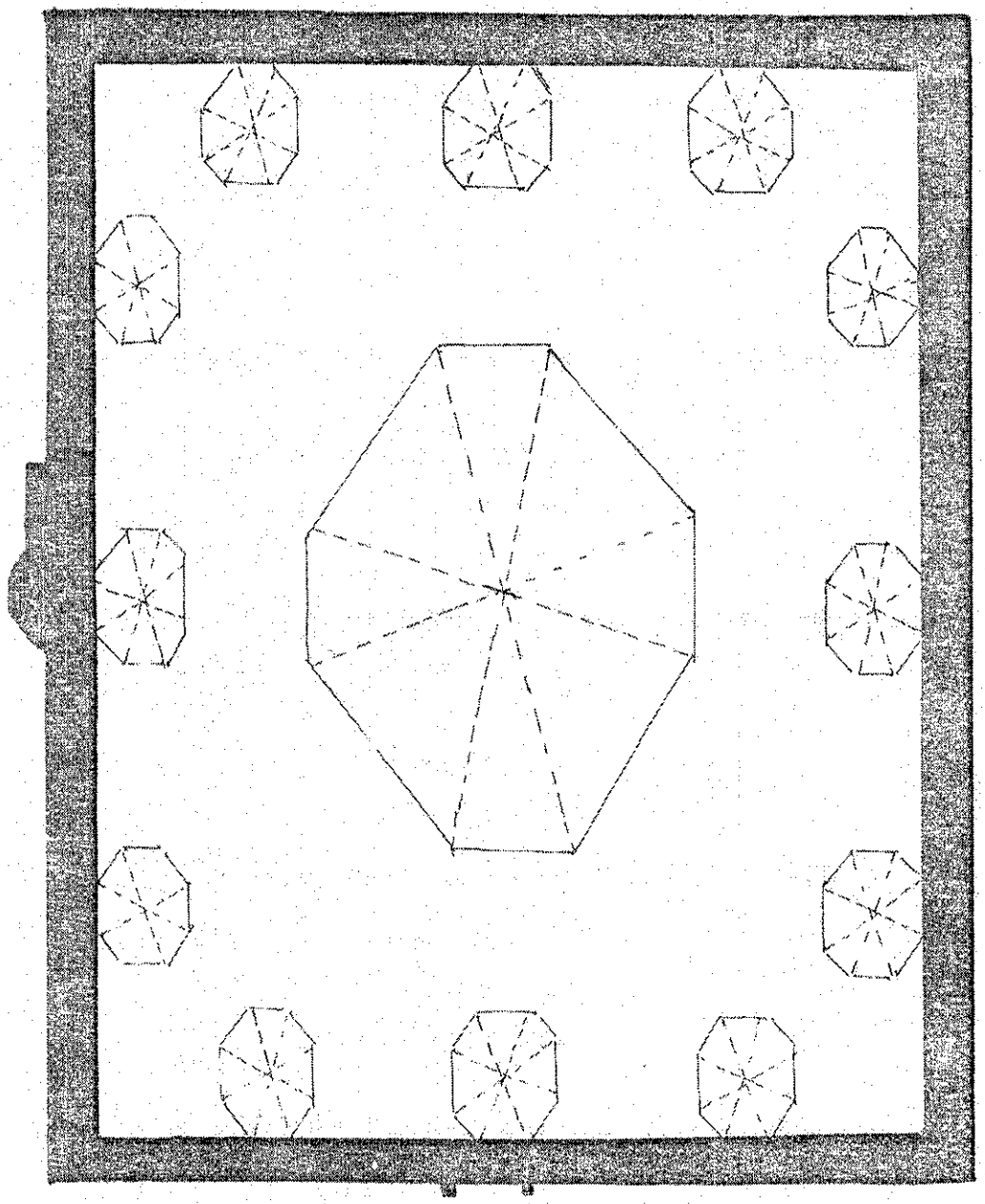

مخطط رقم (3) : مسقط أفقي لسقف جامع الباشا من الخارج

يبيِّن القبة الرئيسية المثمّنة محاطة بالقبيبات الصغيرة .

(عن، مبروك مهيريس)

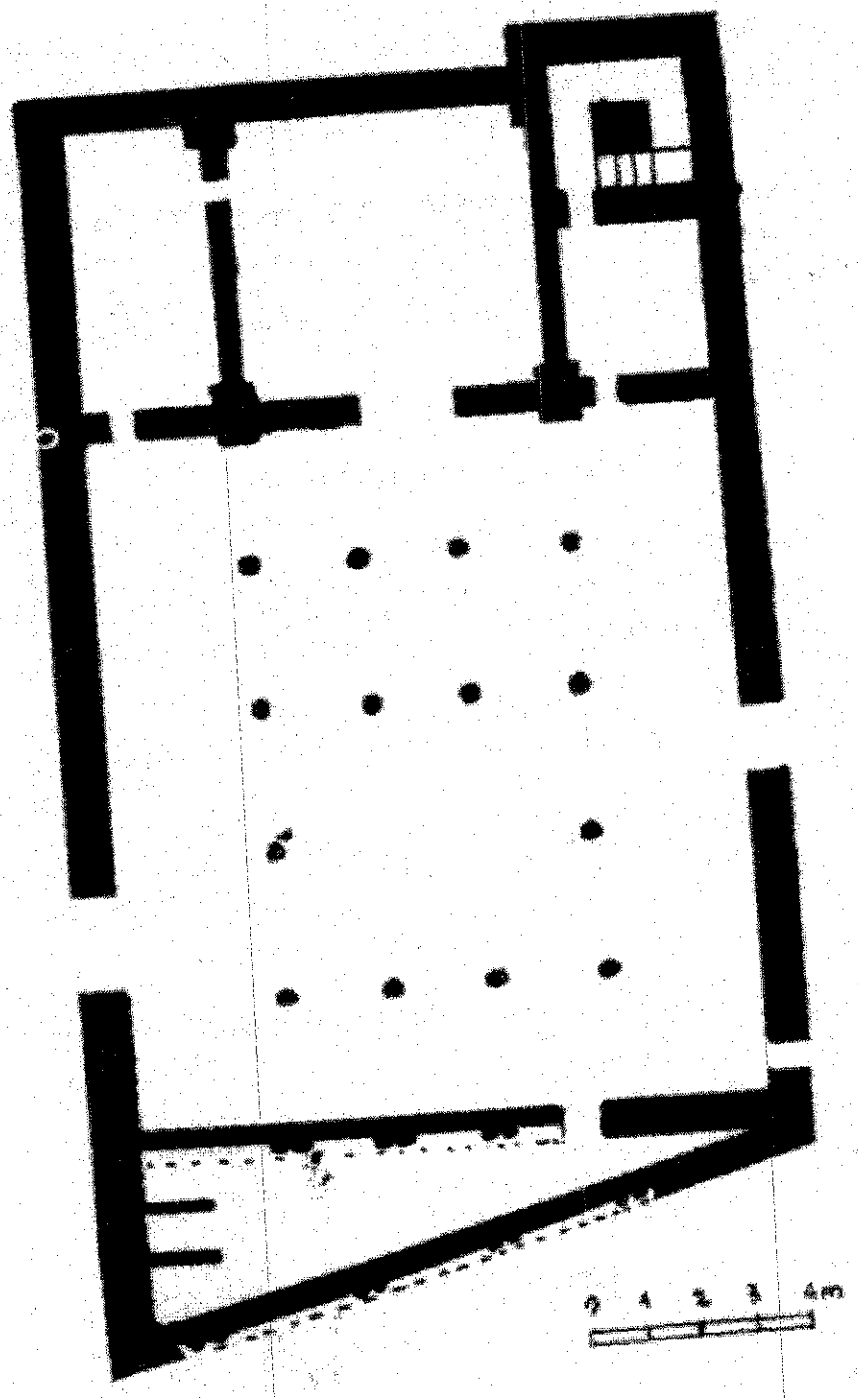

مخطط رقم (4) : مسقط أفقي لمسجد الباي محمد الكبير بوهران.

(عن، رشيد بورويبة)

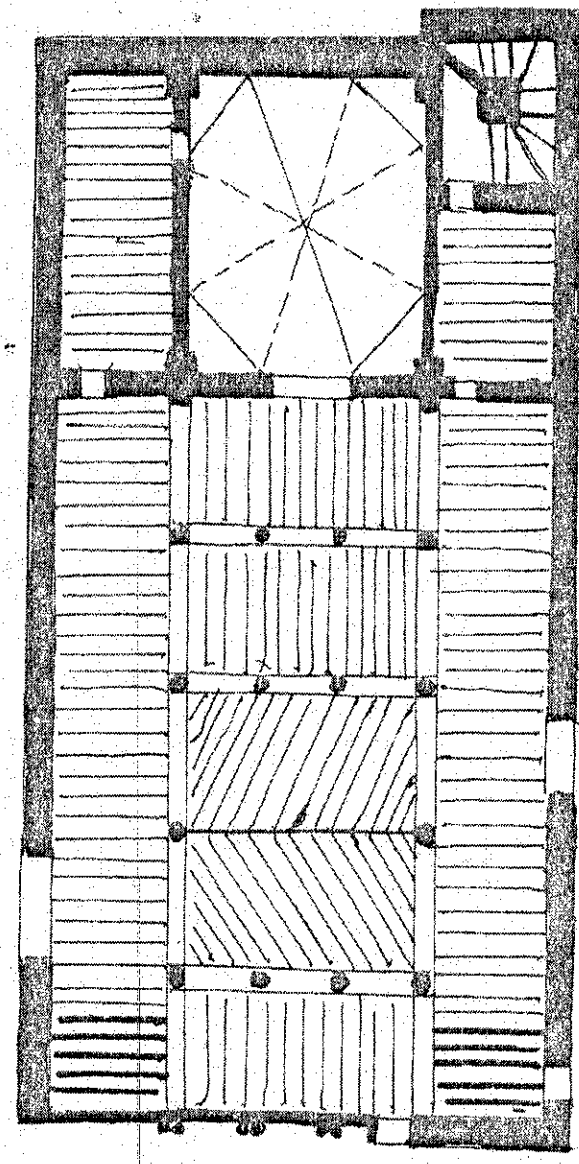

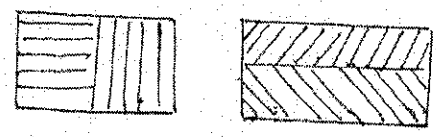

سقف قديم من الخشب

مكان الصحن القديم
سقف بالزنك

مخطط رقم (5) : مسقط أفقي لمسجد الباي محمد الكبير .

(عن، مبروك مهيريس)

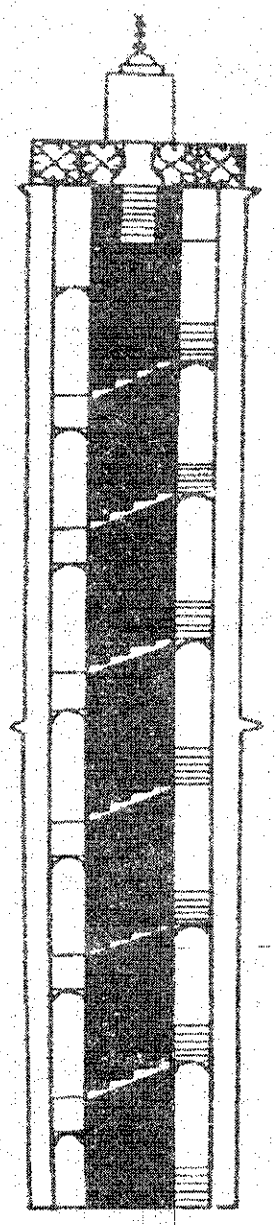

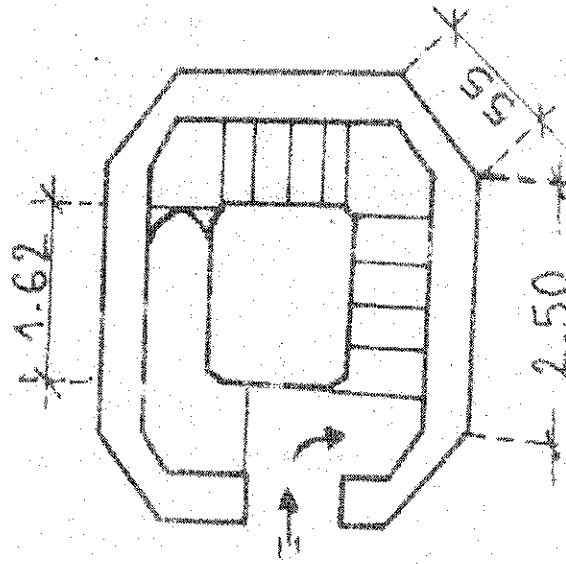

المخطط رقم (6) : مقطع طولي و عرضي لمئذنة جامع الباشا بوهران.

(عن عبد الكريم عزوق)

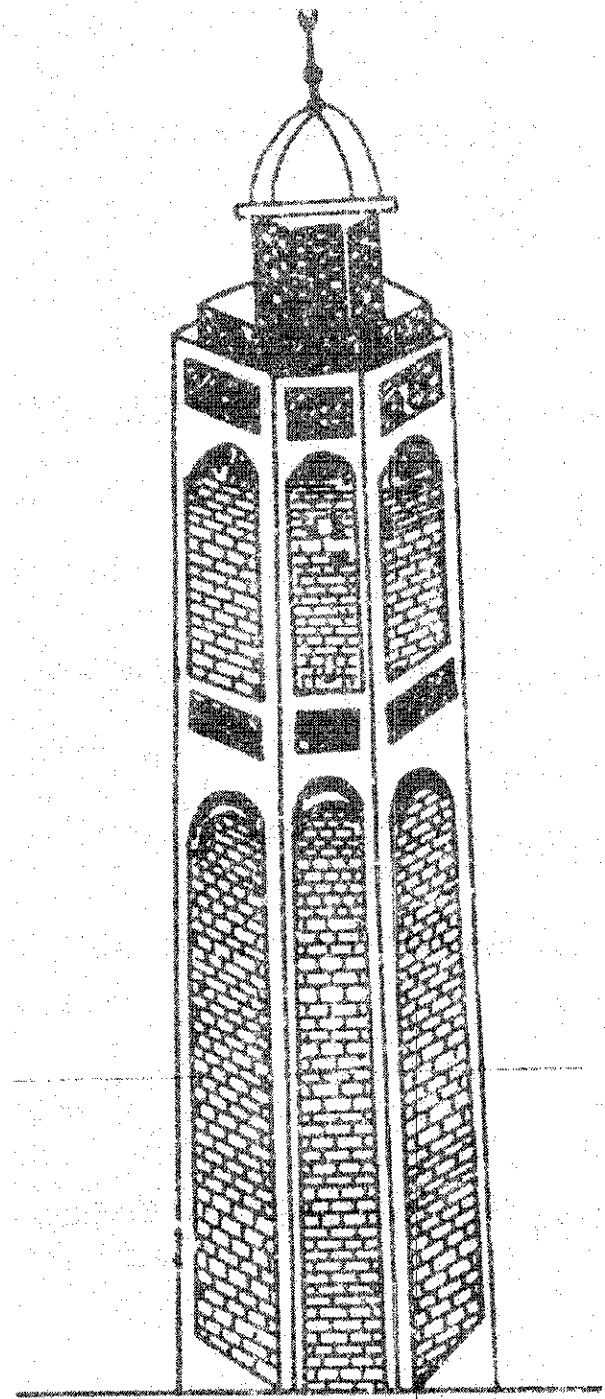

مخطط رقم (7) : منظر عام لواجهة مئذنة جامع الباشا بوهران ذات الشكل المثمن.

(عن عبد الكريم عزوق)

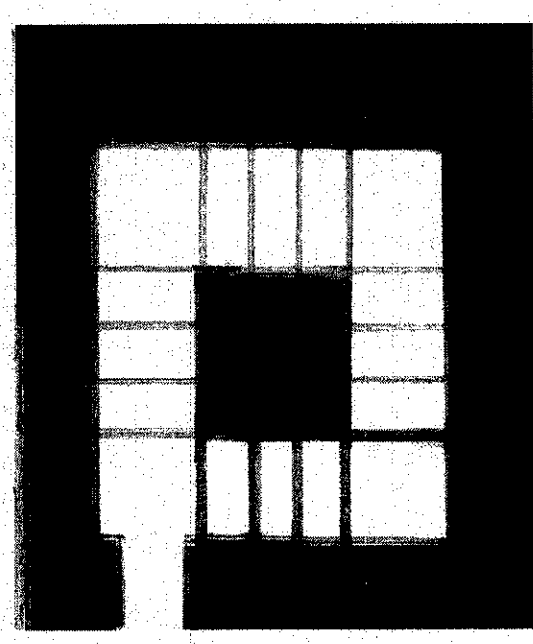

مخطط رقم (8) : مسقط أفقي لمئذنة مسجد الباي محمد الكبير بوهران .

(عن، رشيد بورويبة)

ملحـــــق

الأشكال

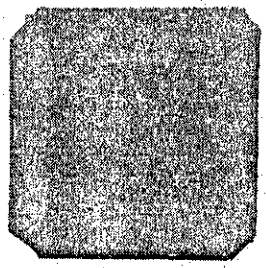

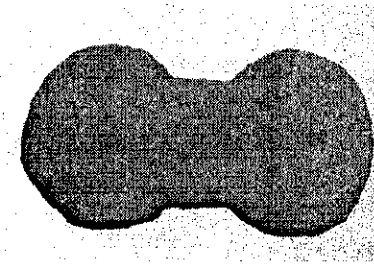

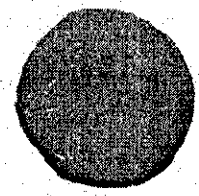

شكل رقم (1) : مقطع أفقي لقاعدة الدعائم المستعملة في بيت صلاة جامع الباشا .

(عن، مبروك مهيريس)

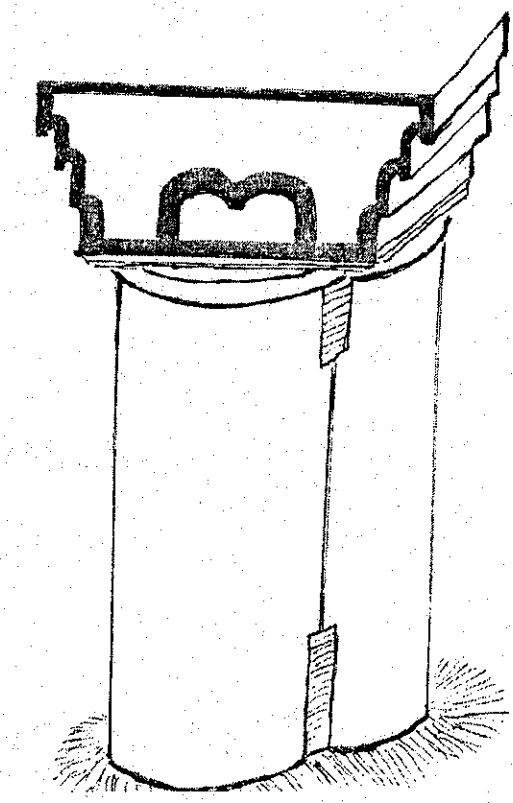

شكل رقم (2) : عمود ذو شكل دائري مزدوج ببيت صلاة جامع الباشا .

(عن، مبروك مهيريس)

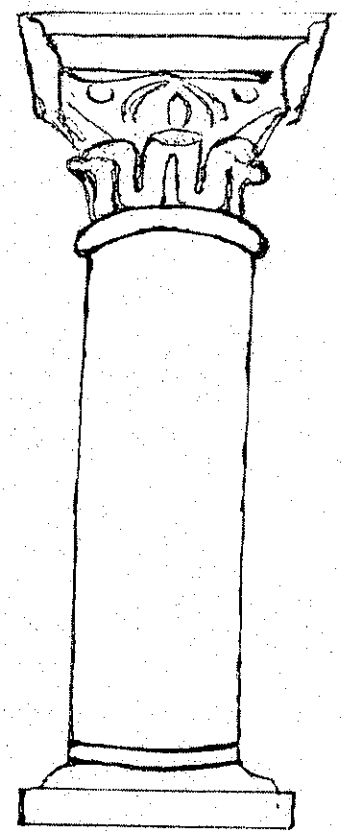

شكل رقم (3) : عمود ذو شكل دائري منفرد بصحن جامع الباشا .

(عن، مبروك مهيريس)

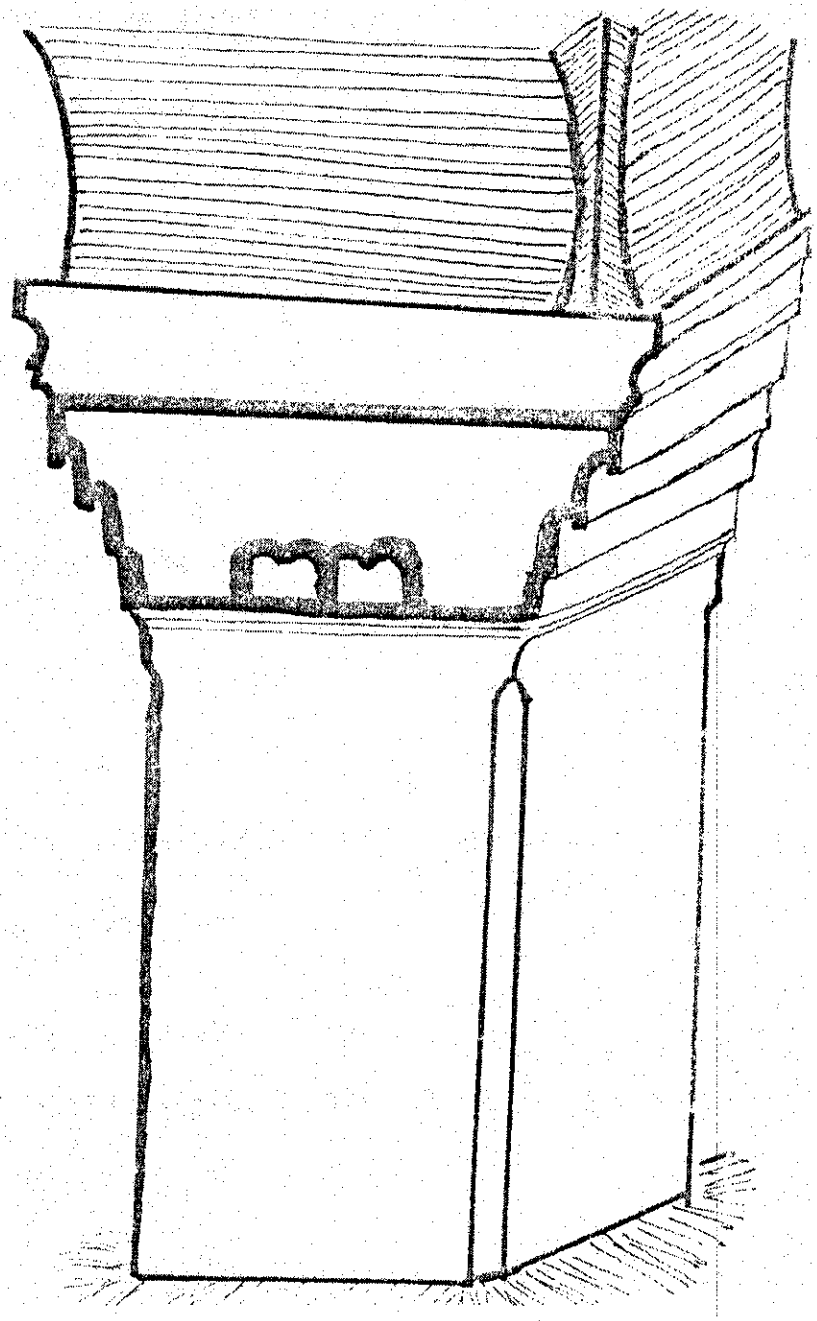

شكل رقم (4) : الدّعاعة المربعة الموجودة ببيت صلاة جامع الباشا .

(عن، مبروك مهيريس)

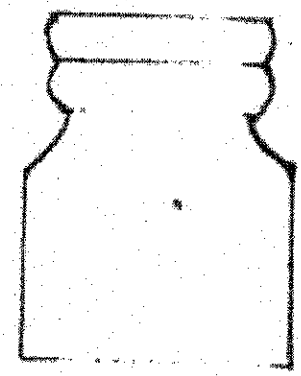

الشكل رقم (5): قاعدة الأعمدة الموجودة في رواق صحن جامع الباشا بوهران .

(عن، رشيد بورويبة)

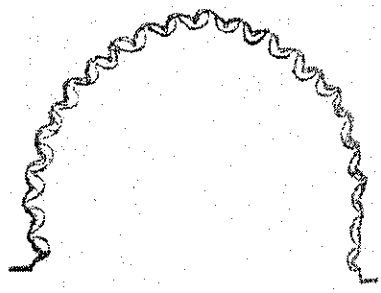

الشكل رقم (6) : عقد مفصّص بصحن جامع الباشا.

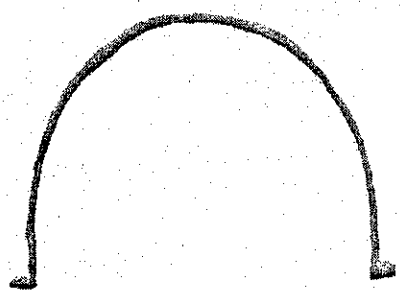

الشكل رقم (7) : عقد نصف دائري ببيت صلاة جامع الباشا .

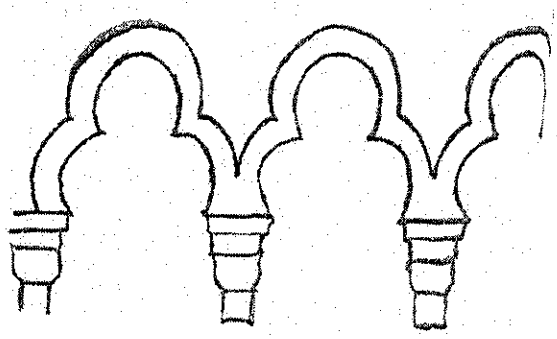

الشكل رقم (8) : عقد مفصّص بصحن جامع الباشا .

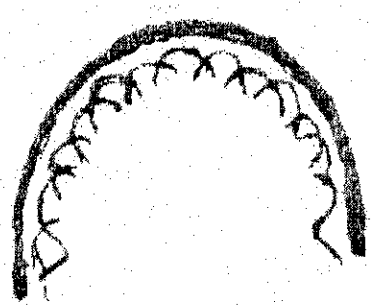

الشكل رقم (9) : عقد مفصّص بمئذنة جامع الباشا .

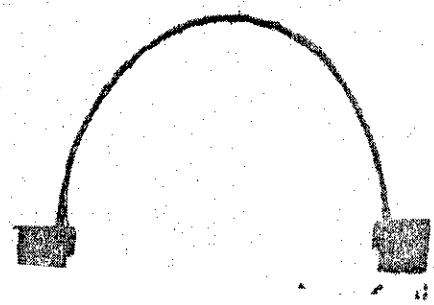

شكل رقم (10) : عقد نصف دائري بجامع الباشا.

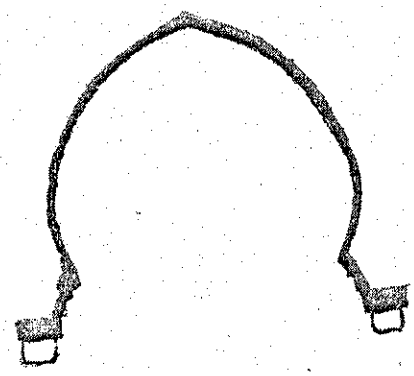

شكل رقم (11) : عقد حذوي بمسجد الباي الكبير.

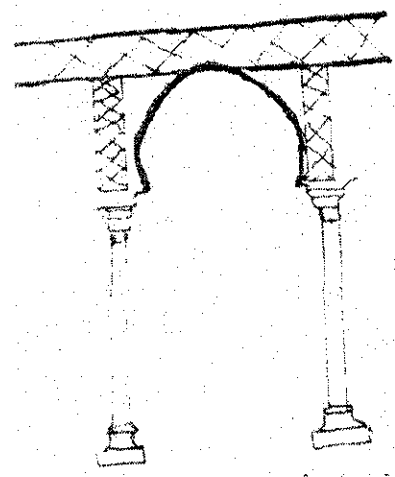

شكل رقم (12) : عقد منكسر بصحن جامع الباشا.

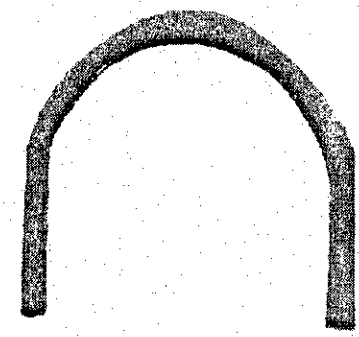

شكل رقم (13) : عقد مشرع بصحن جامع الباشا .

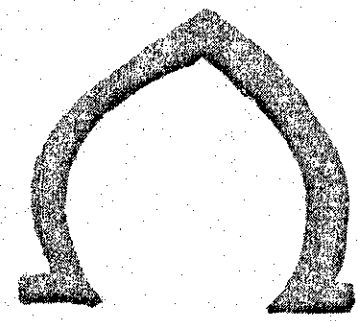

شكل رقم (14) : عقد منكسر .

شكل رقم (15) : عقد مستقيم منحني بصحن جامع الباشا .

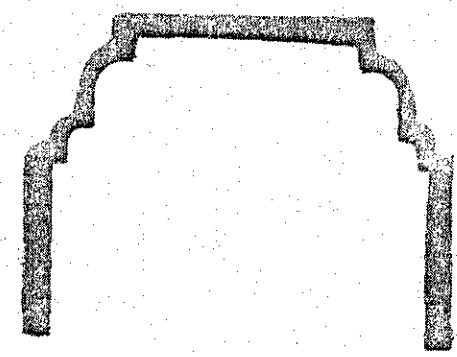

شكل رقم (16) : عقد حذوي بالمدخل الرّئيسي لجامع الباشا .

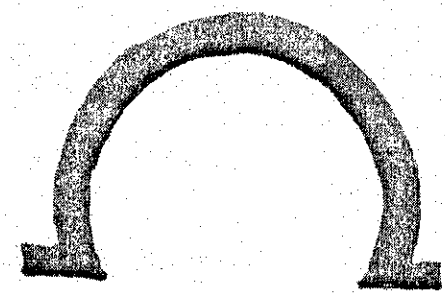

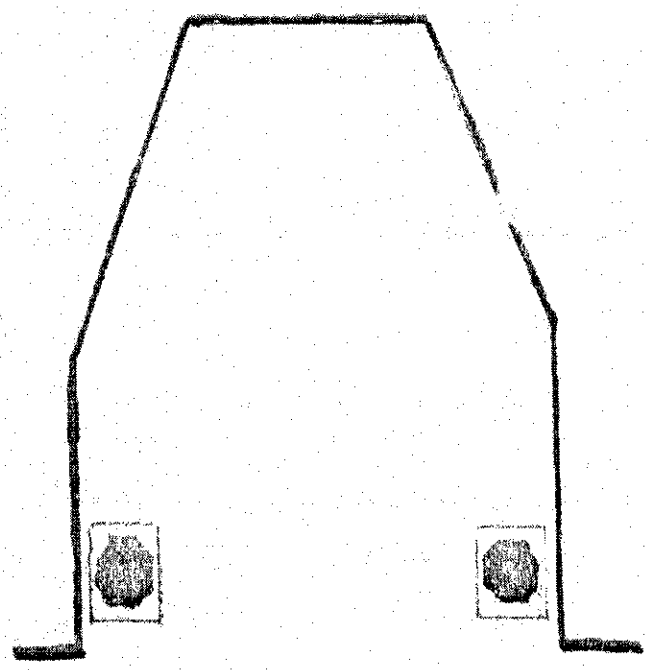

الشكل رقم (17):فجوة محراب جامع الباشا .

(عن، رشيد بورويبة)

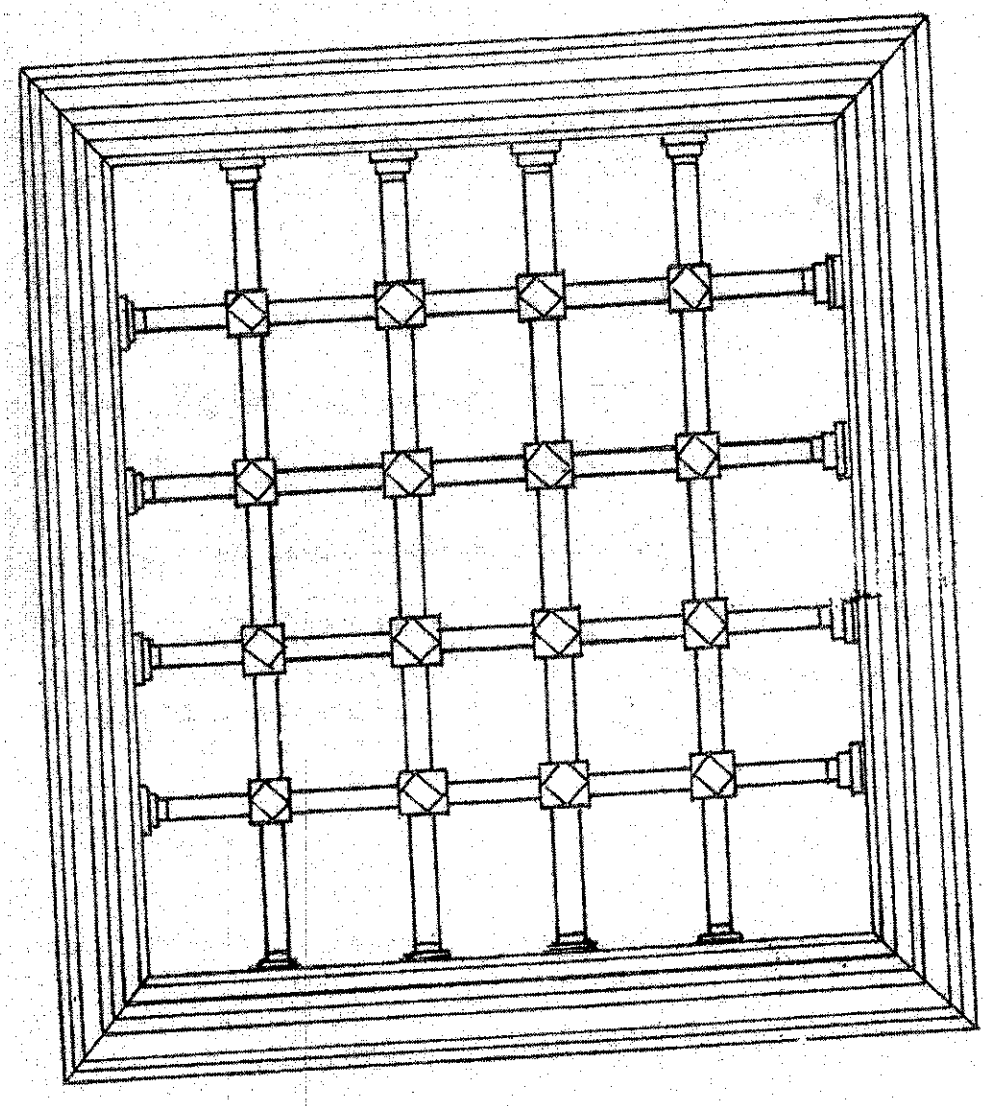

الشكل رقم (18) : نموذج من شباك النوافذ لجامع الباشا بوهران.

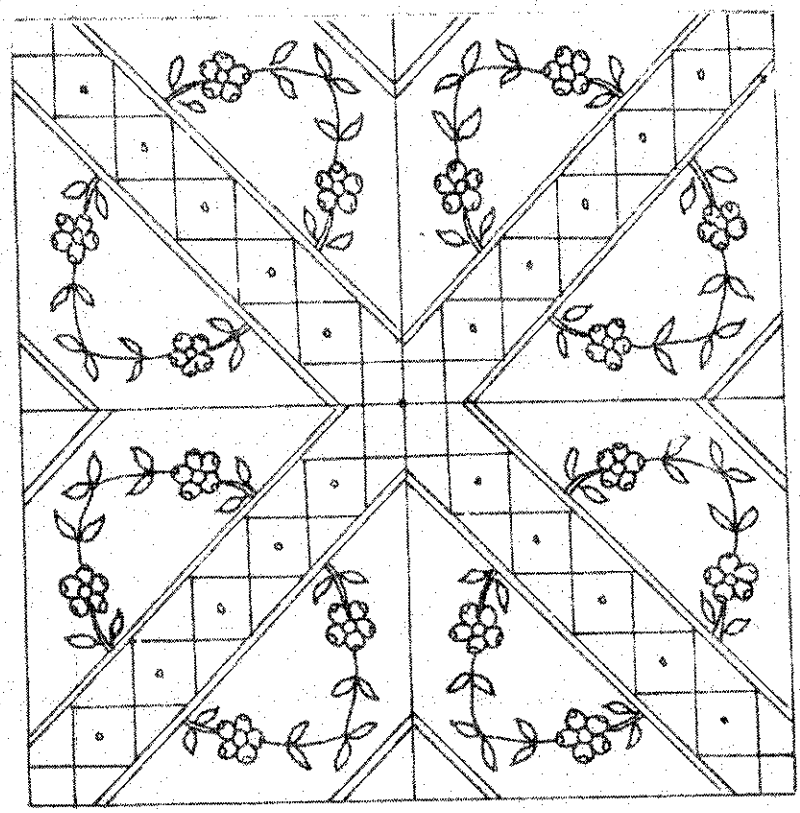

شكل رقم (19) : بلاطة ذات زخارف هندسية و نباتية .

(عن، عبد العزيز محمود لعرج)

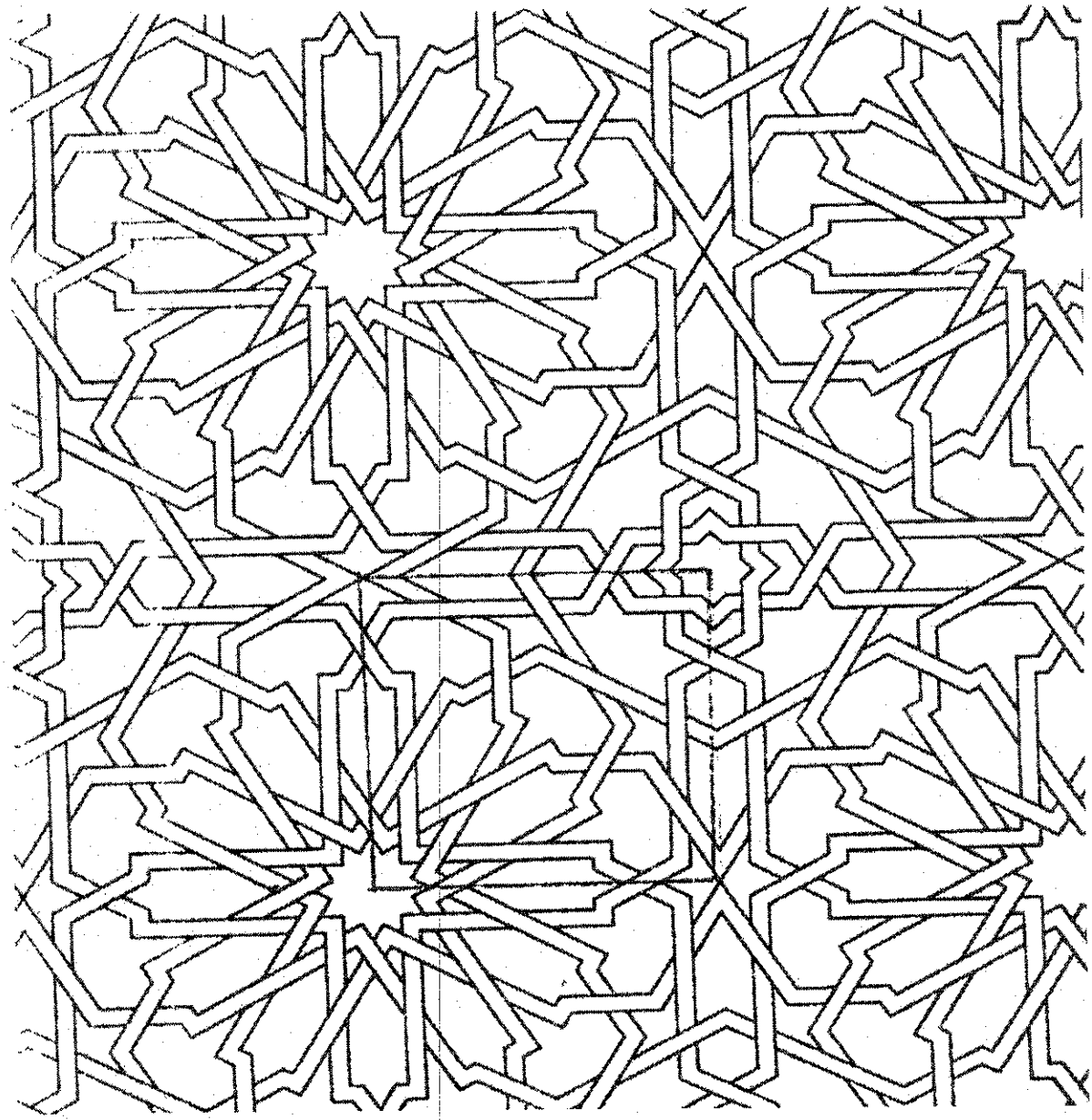

شكل رقم (20) : بلاطة مزخرفة بأطباق نجمية ذات تسع رؤوس .

ملحـــــق

اللّوحات

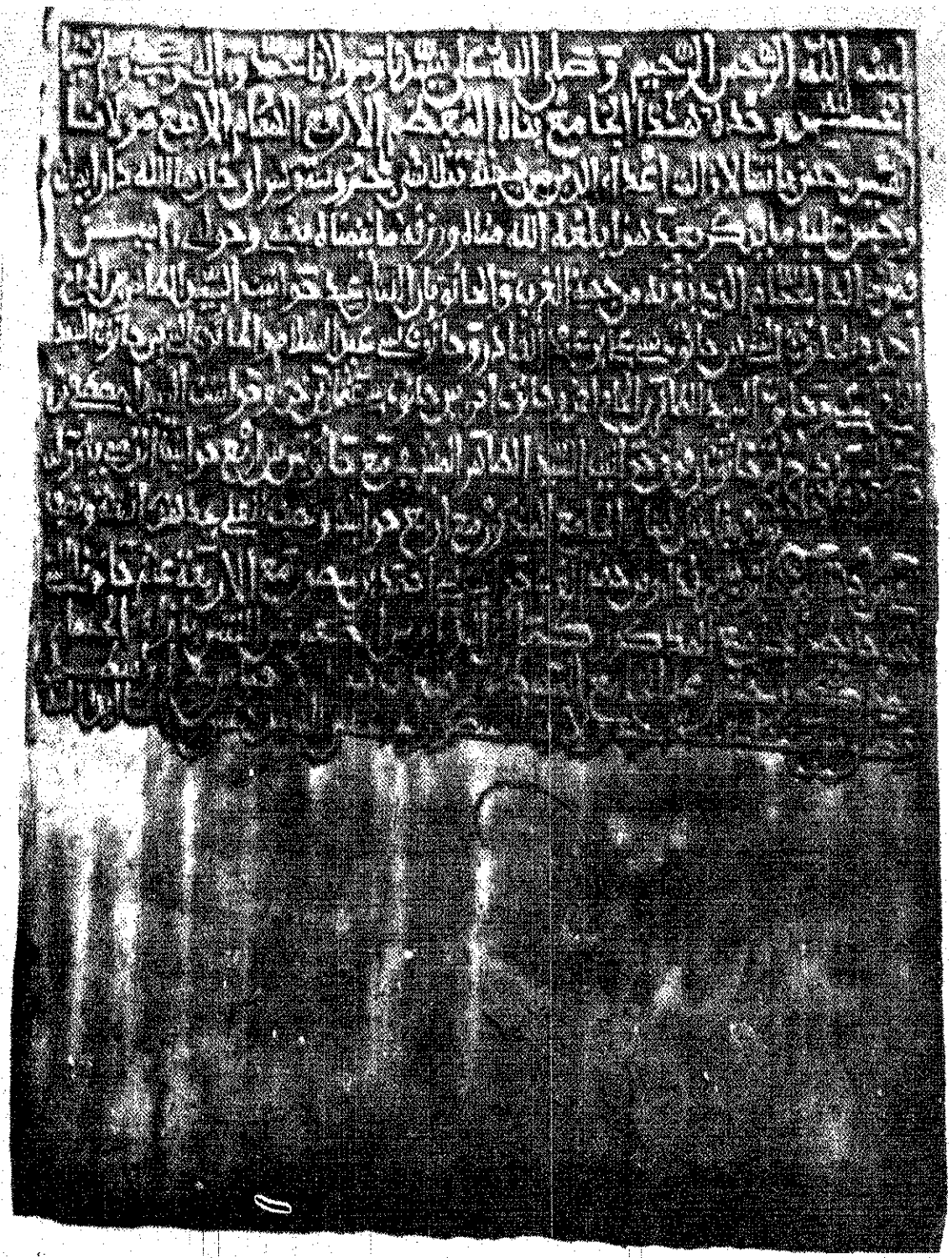

لوحة رقم (1) : لوحة تأسيسية لجامع الباشا.

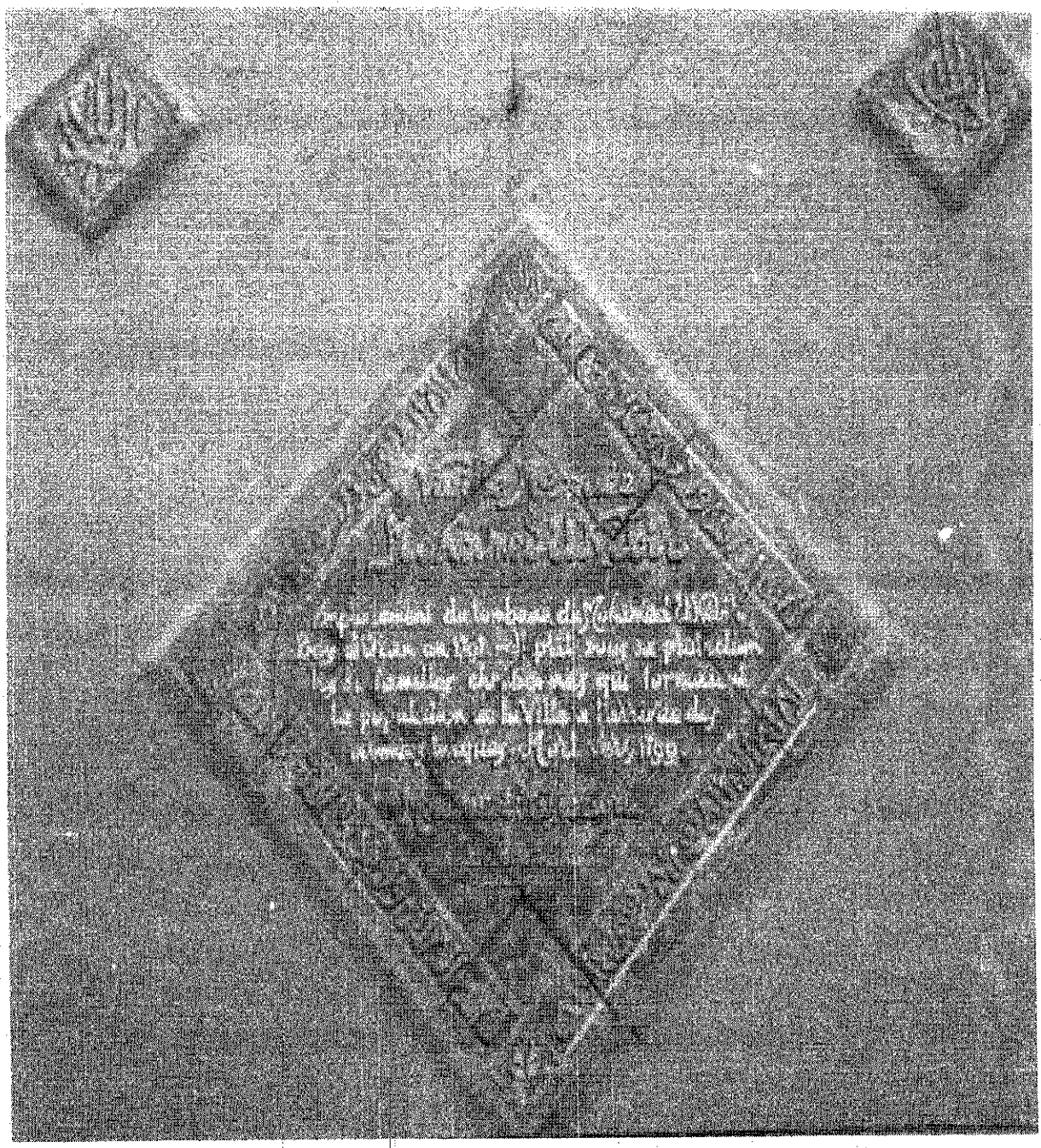

لوحة رقم (2): بلاطة تأسيسية من الخزف لمسجد الباي محمد الكبير

تقع فوق المدخل الرئيسي.

لوحة رقم (3): الكتابة التذكارية لتأسيس جامع الباشا في الأعلى

وبيت الباي حسن في الأسفل .

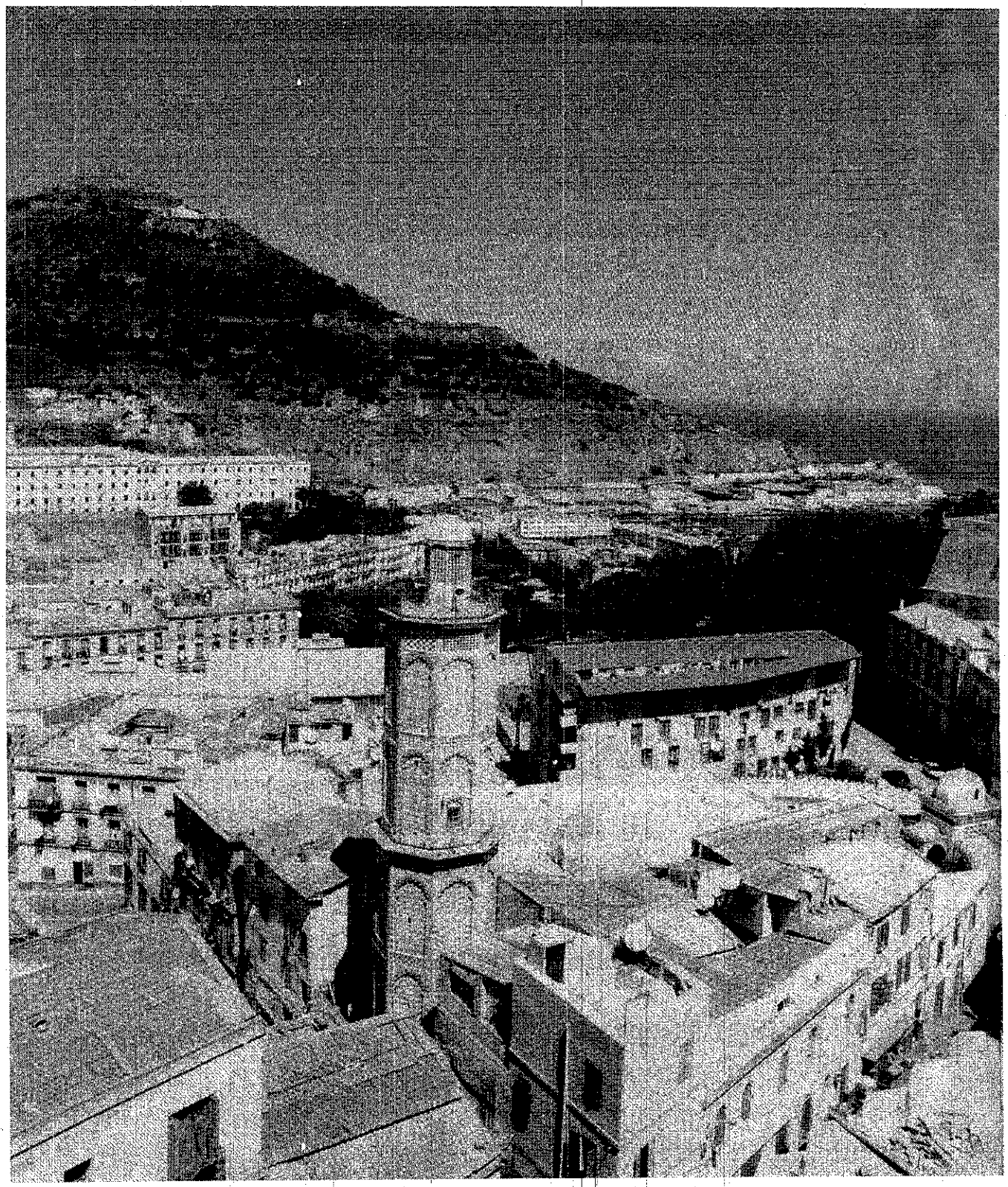

اللوحة رقم (4) : منظر عام لجامع الباشا من الأعلى المطل على جبل سانتاكروز .

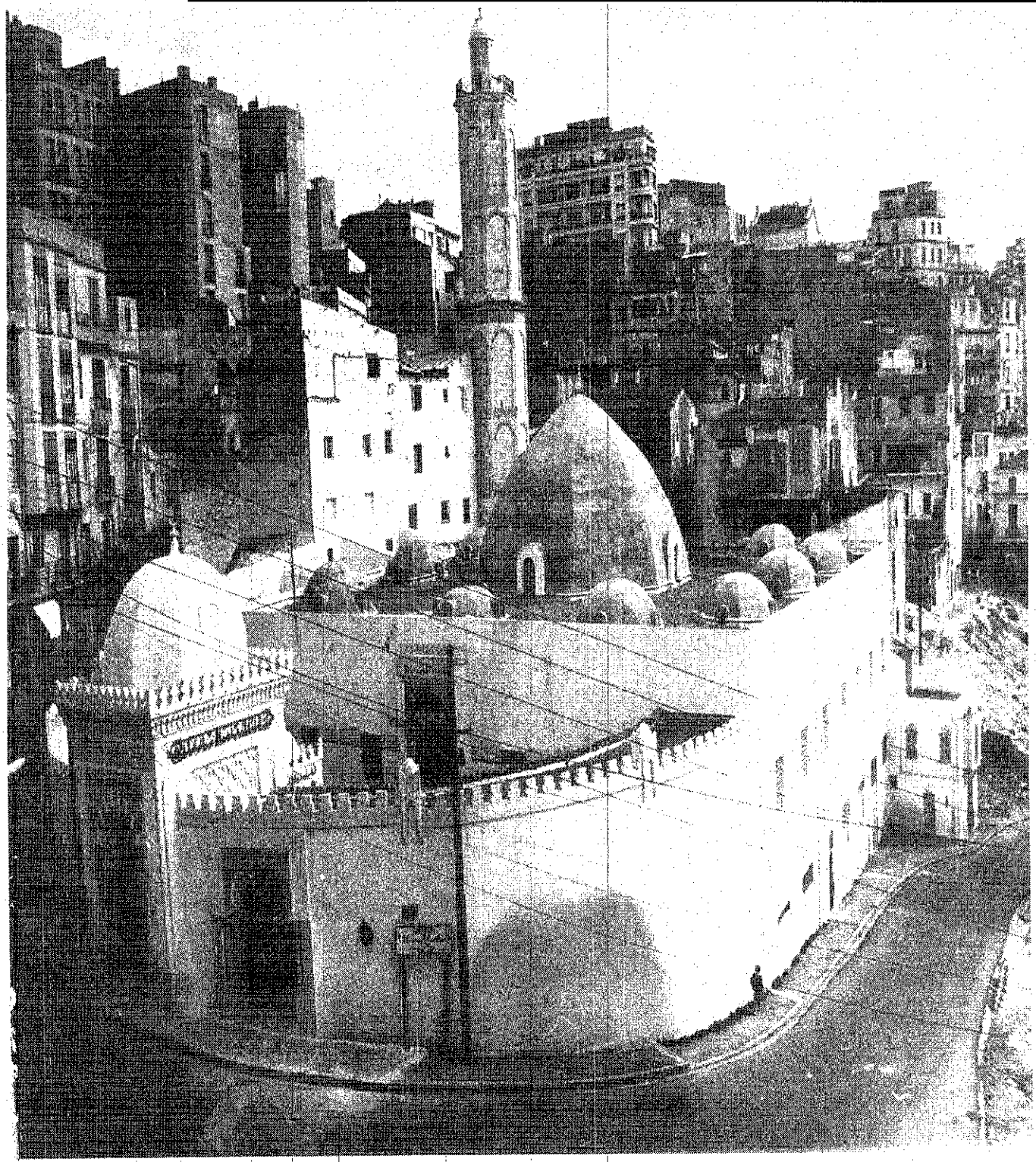

لوحة رقم (5): صورة عامة لجامع الباشا.

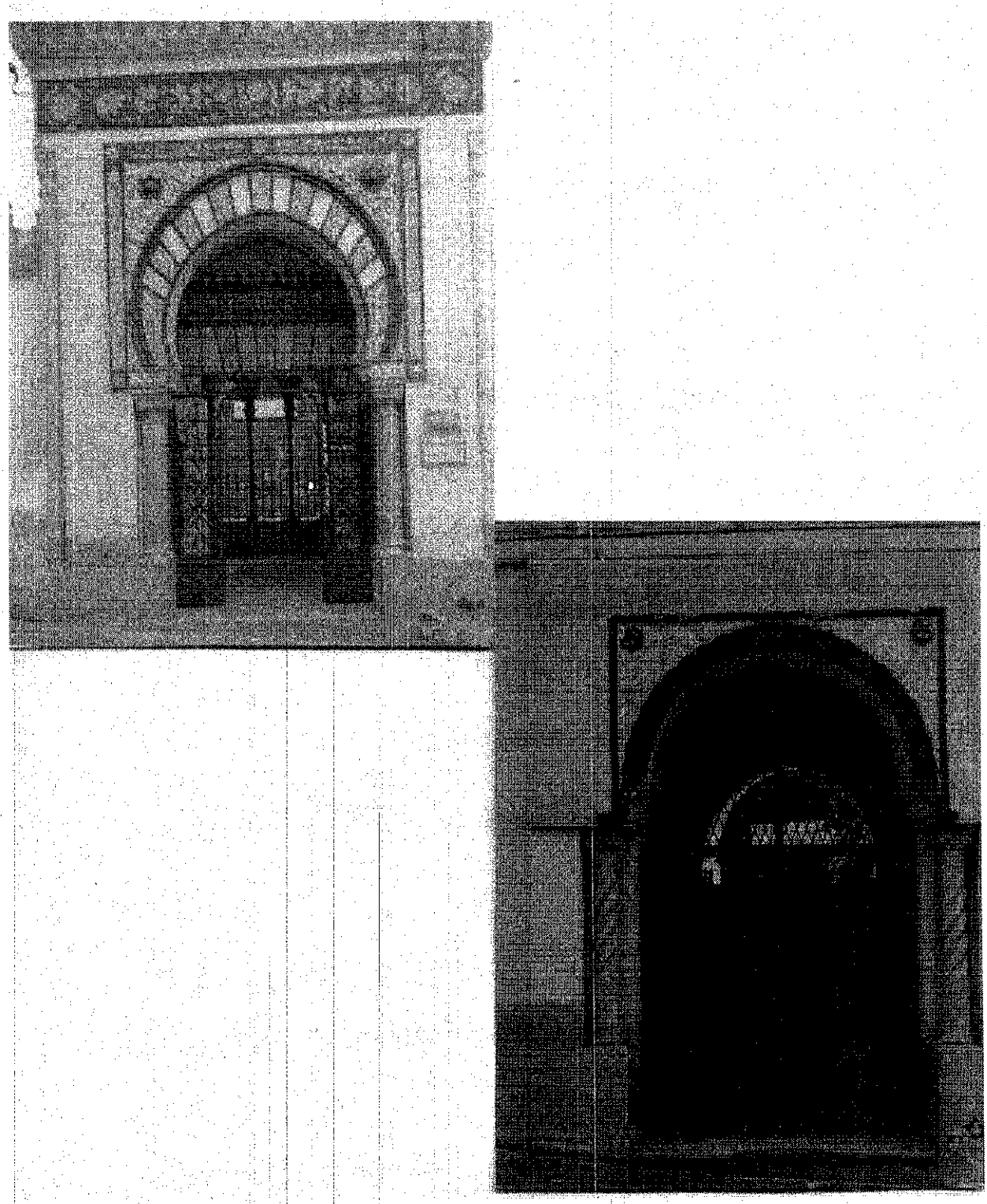

اللوحة رقم (6): صورة تشمل المدخل الرئيسي و الجانبي لجامع الباشا.

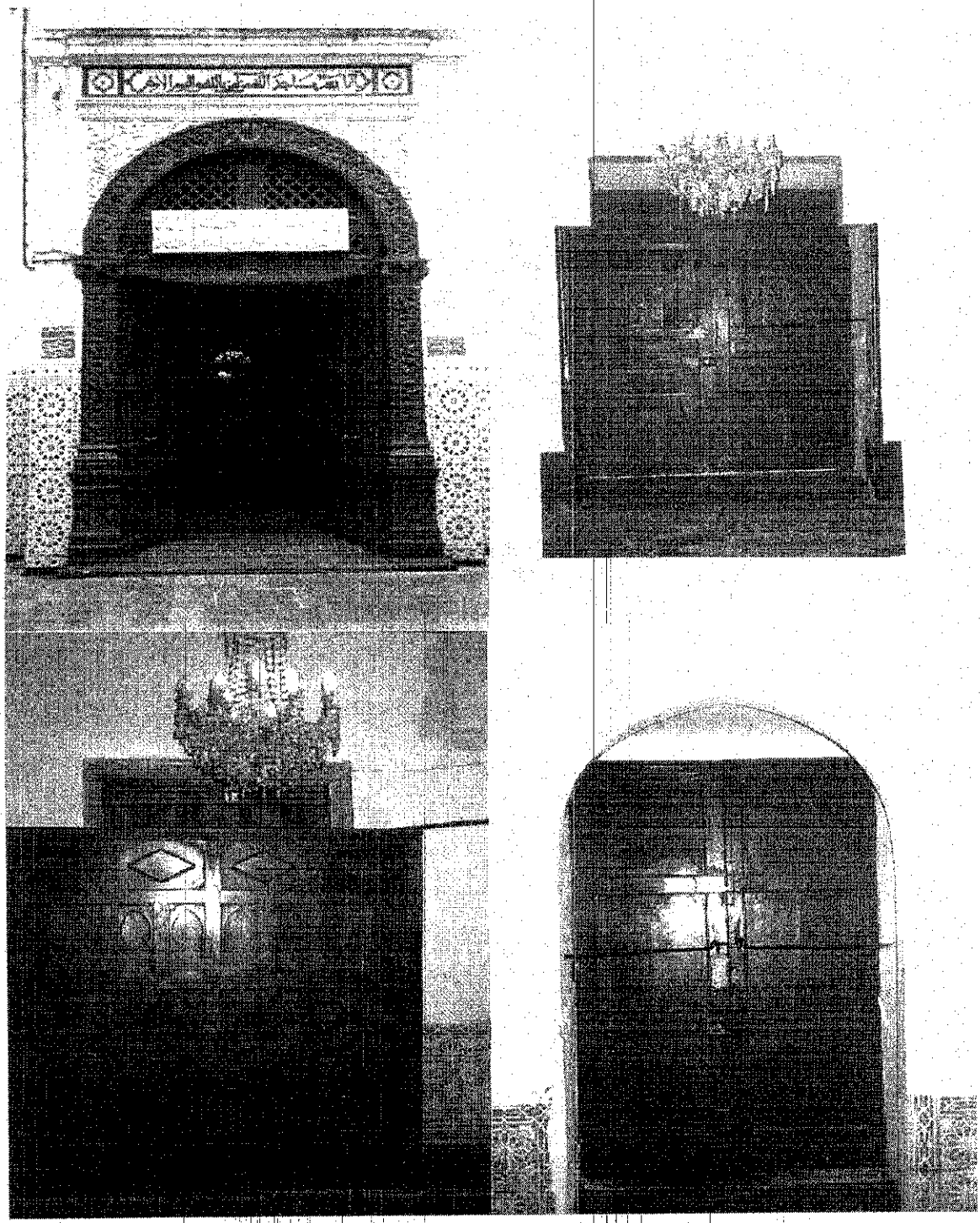

لوحة رقم (7):صورة لمدخل بيت الصلاة لجامع الباشا على الأعلى من جهته الدّاخلية و الخارجية ، وفي الأسفل على اليمين بيت الوضوء وعلى اليسار بيت النّساء .

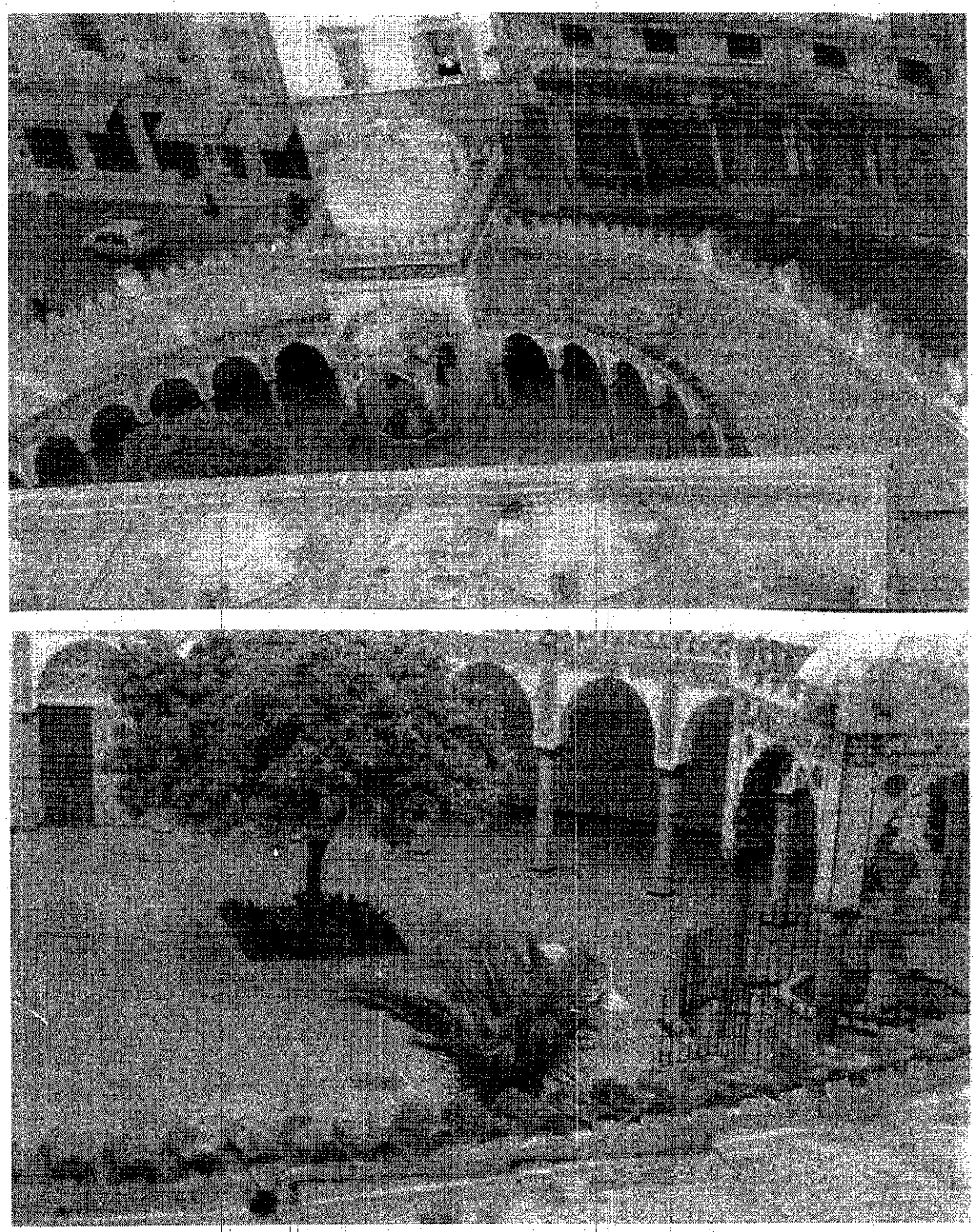

لوحة رقم (8): صورة علوية لصحن جامع الباشا.

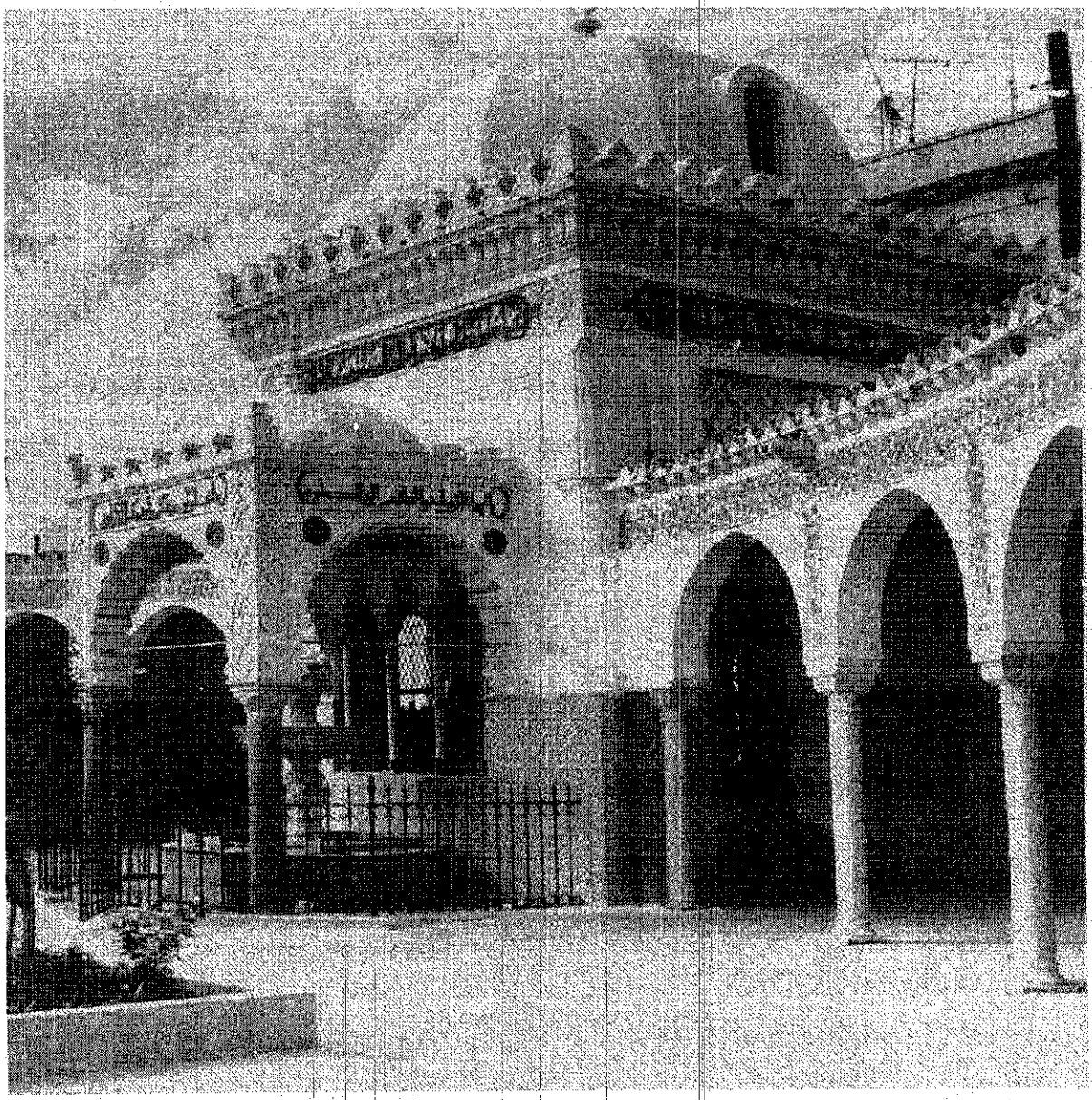

لوحة رقم (9):صورة تشمل قبة المدخل و قبة النافورة

بجامع الباشا من جهة الصحن.

لوحة رقم (10):صورة تشمل مشكاة قبة المدخل بجامع الباشا .

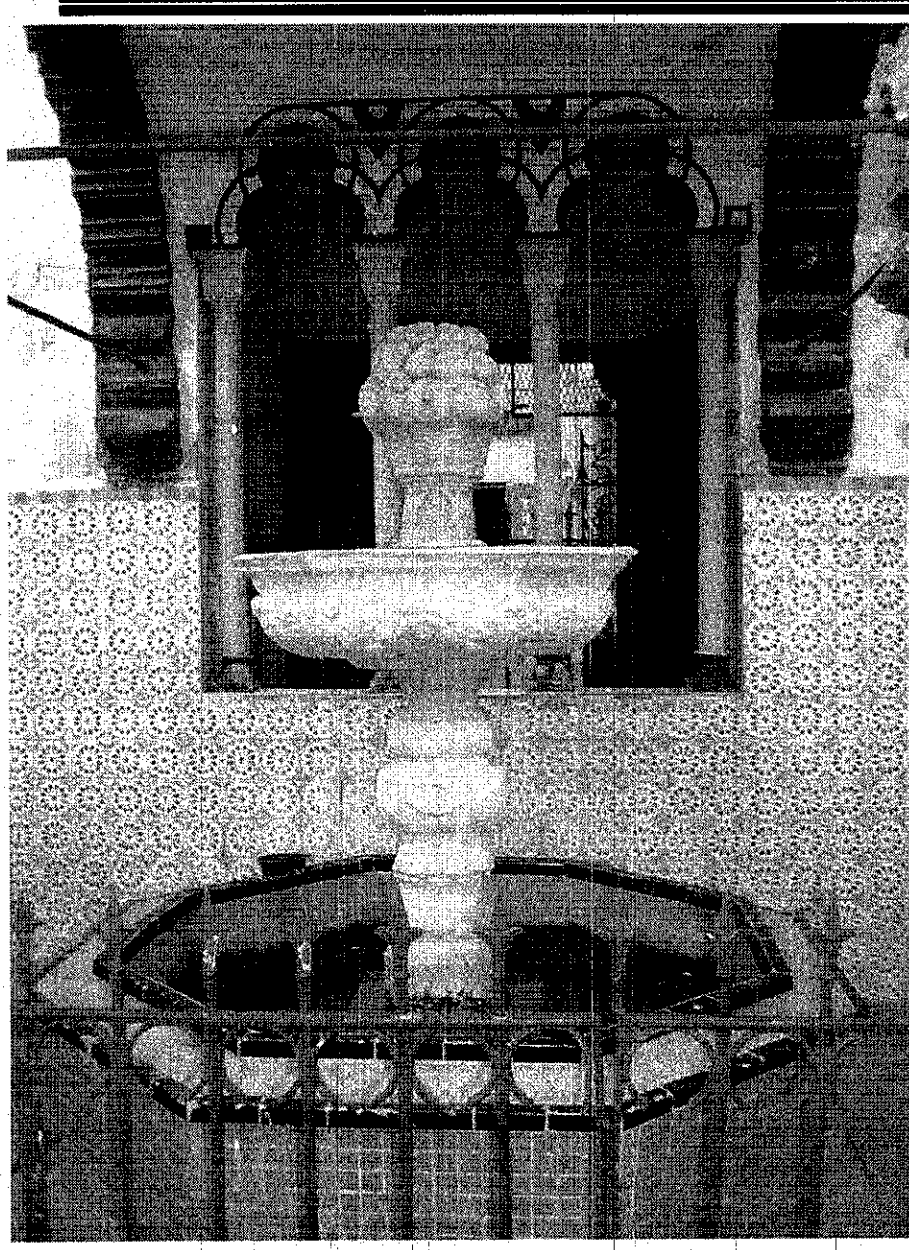

لوحة رقم (11):صورة تمثل نافورة الوضوء الموجودة بصحن جامع الباشا .

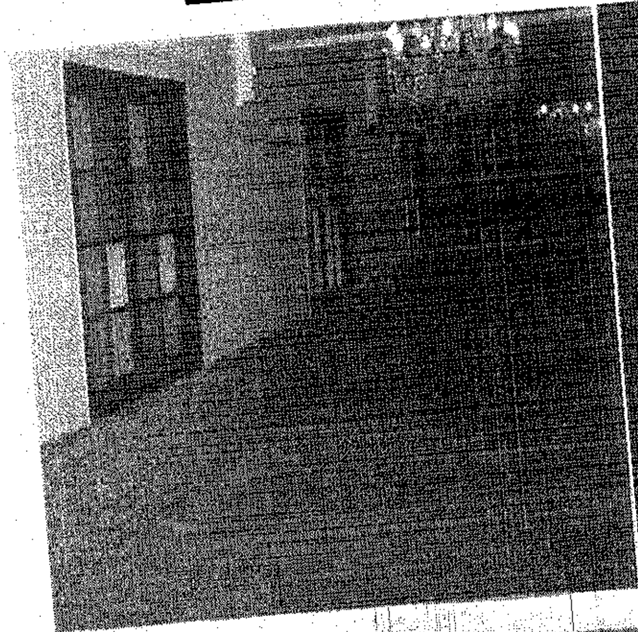

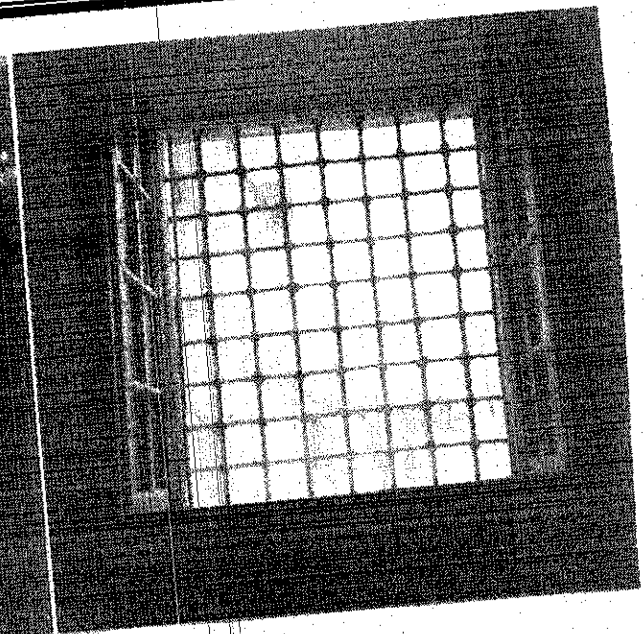

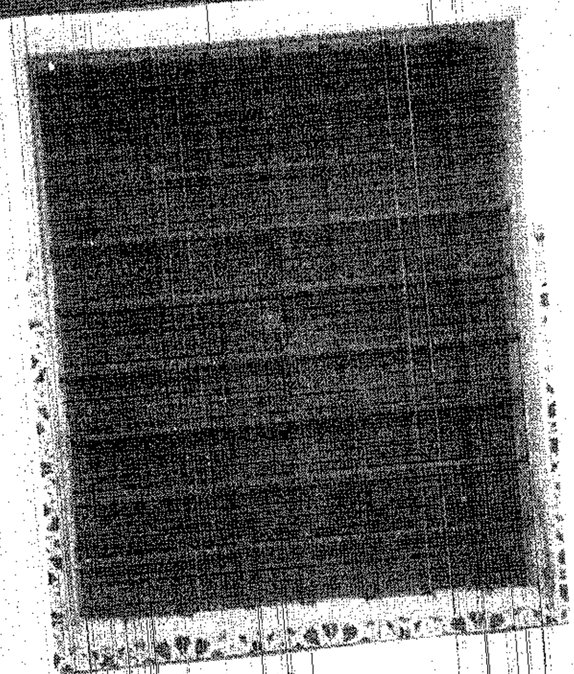

لوحة رقم (12) : صورة تشمل نافذة وشباك بيت صلاة جامع الباشا .

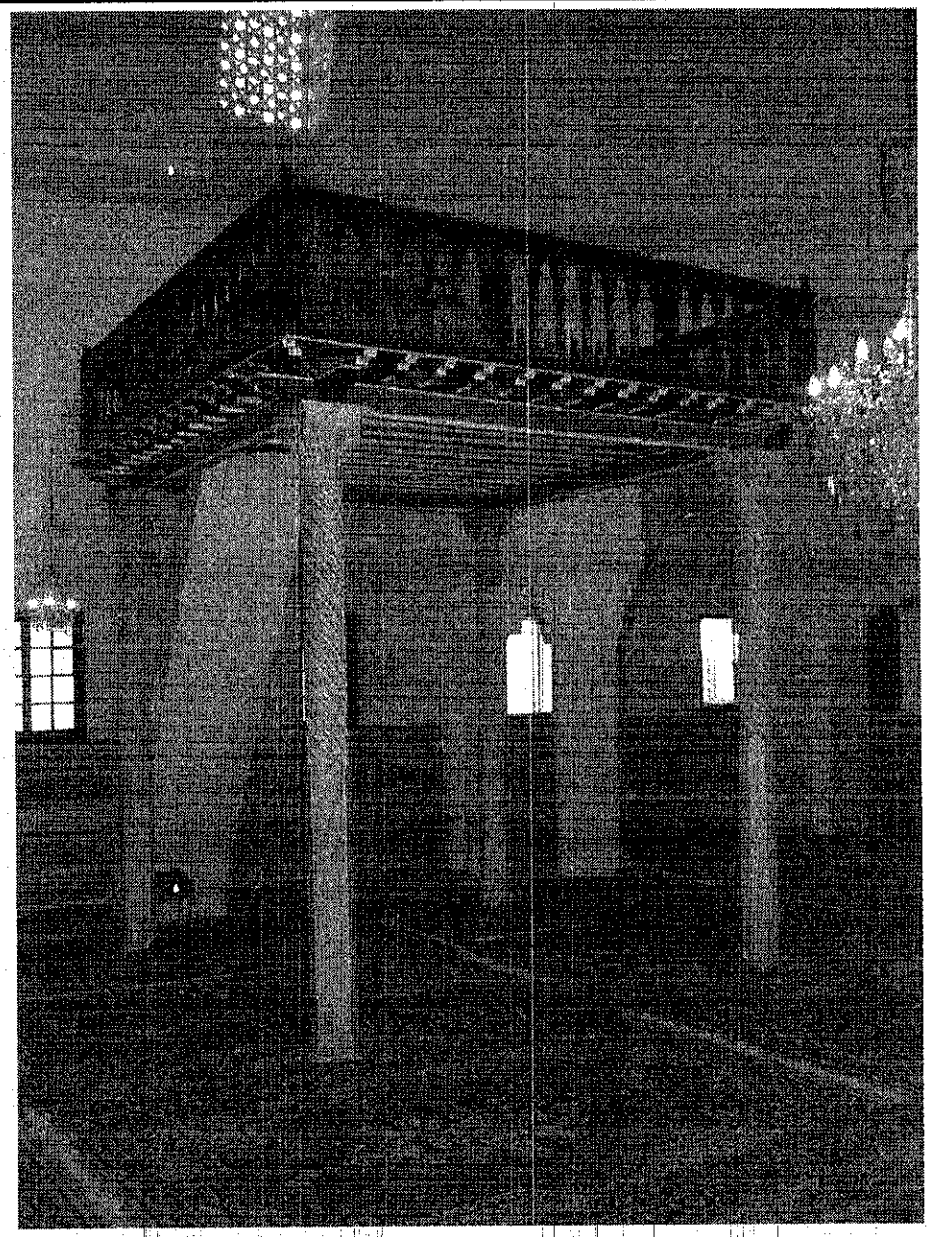

لوحة رقم (13) : صورة لدكّة المبلّغ الموجودة وسط بيت صلاة جامع الباشا فوق قبّته الرّئيسيّة .

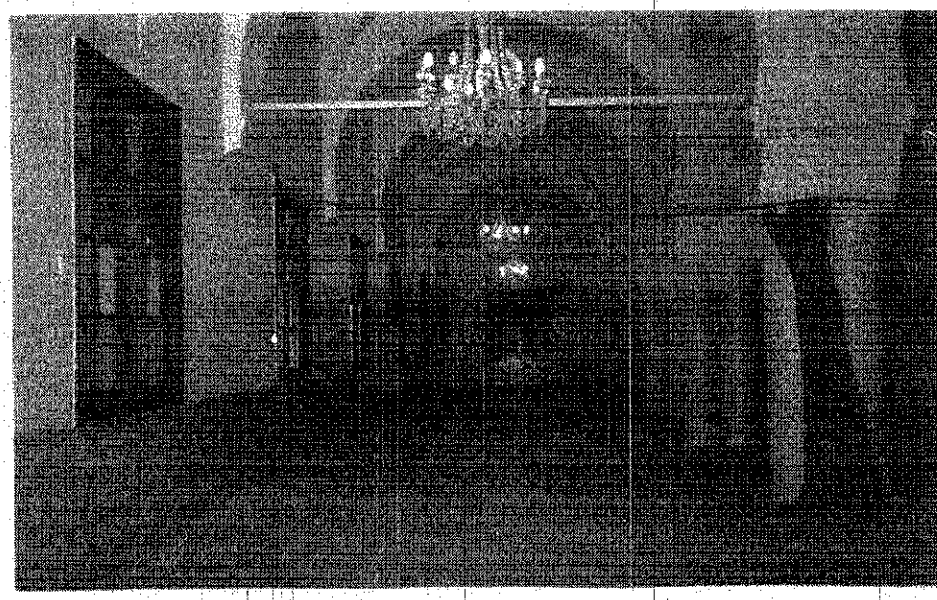

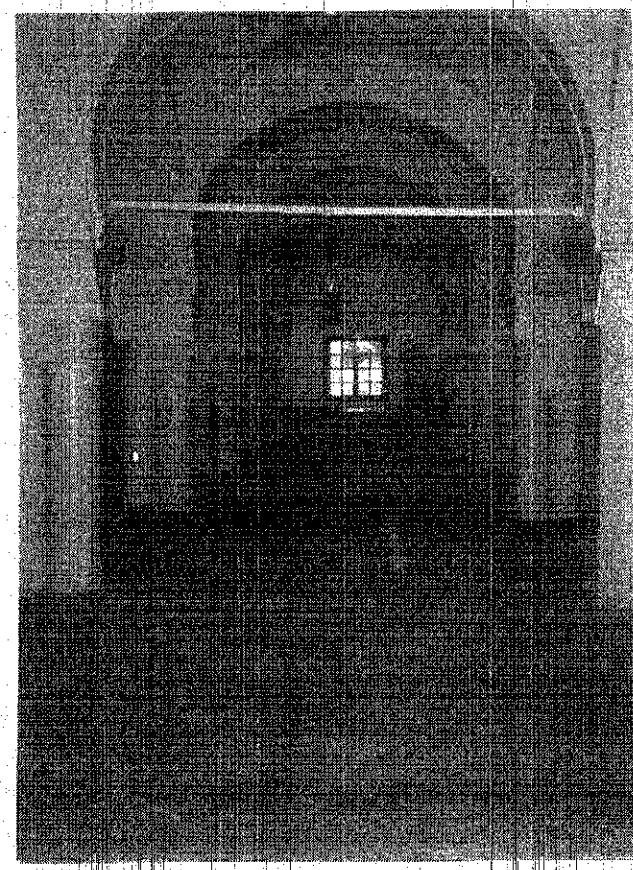

لوحة رقم(14): صورة تشمل بلاطات و أساكيب بيت صلاة جامع الباشا بوهران .

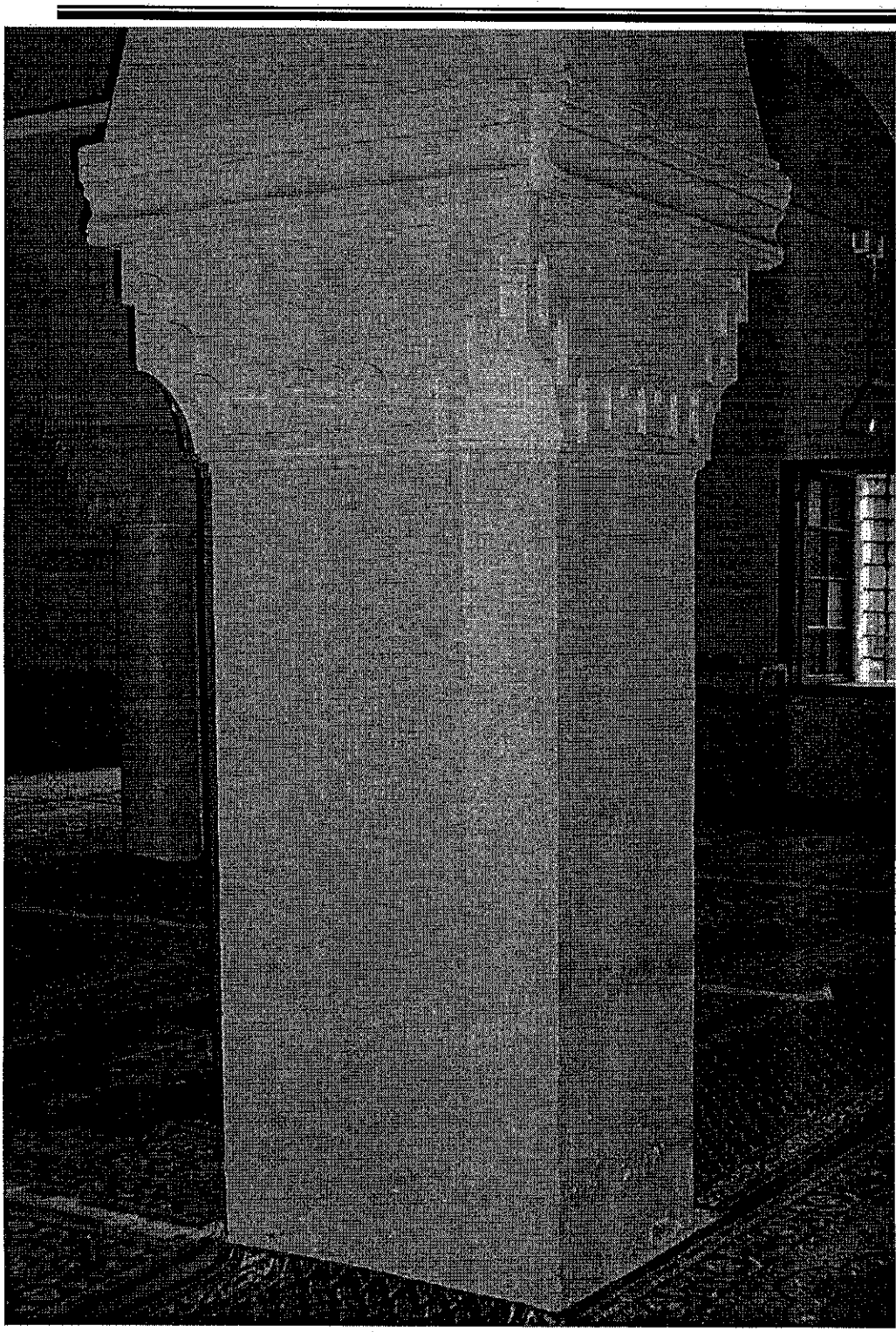

لوحة رقم (15): صورة للدّعامة الموجودة ببيت صلاة جامع الباشا .

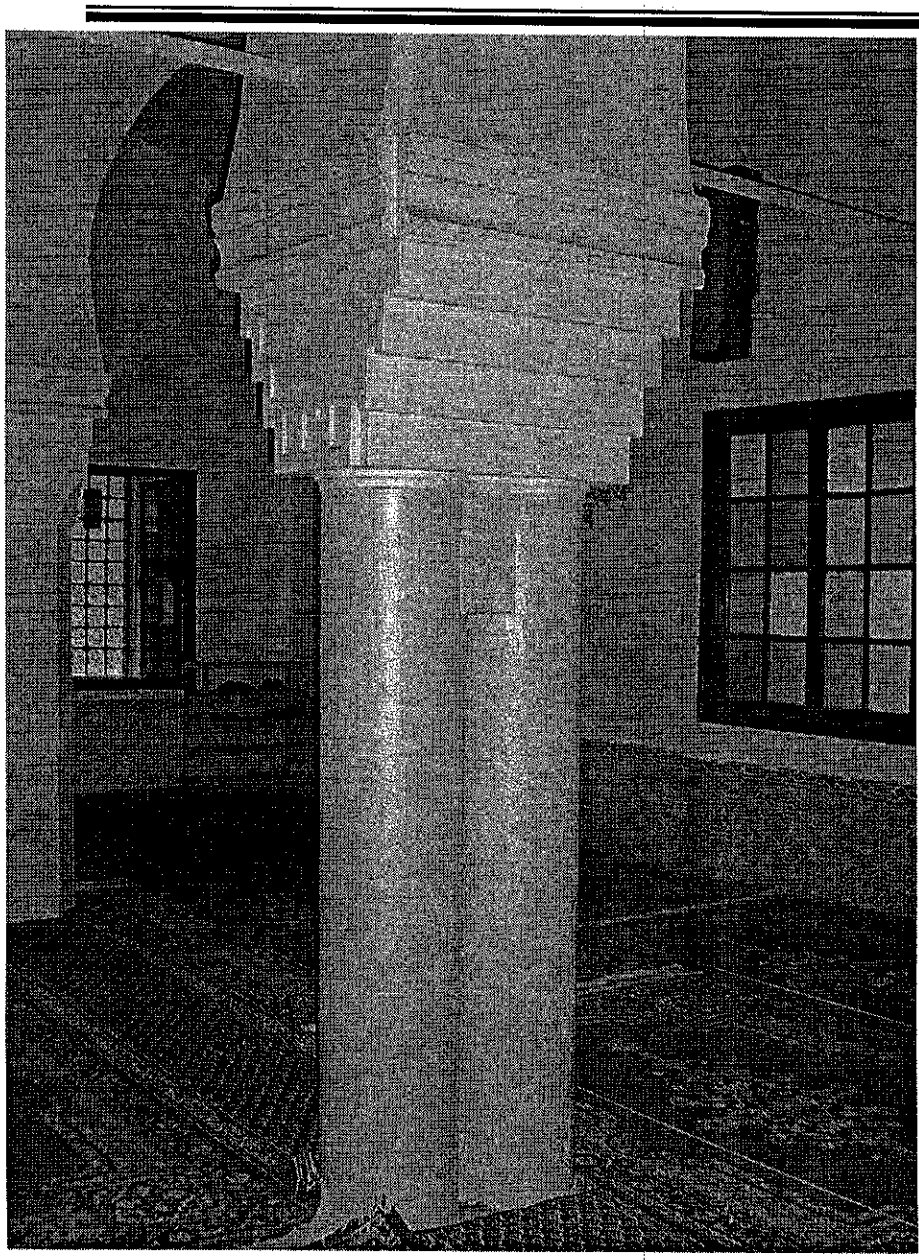

لوحة رقم (16):صورة لأعمدة دائرية مزدوجة ببيت صلاة جامع الباشا .

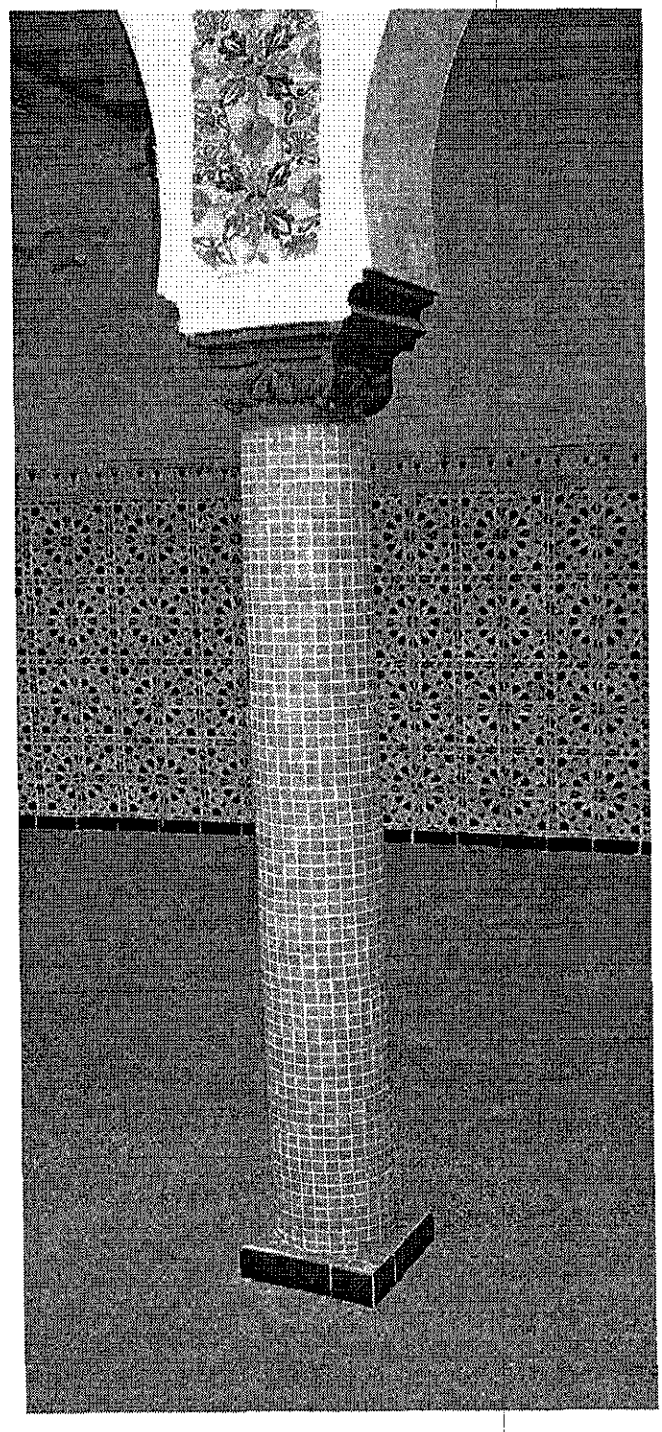

لوحة رقم (17):صورة لعمود دائري منفرد بصحن جامع الباشا .

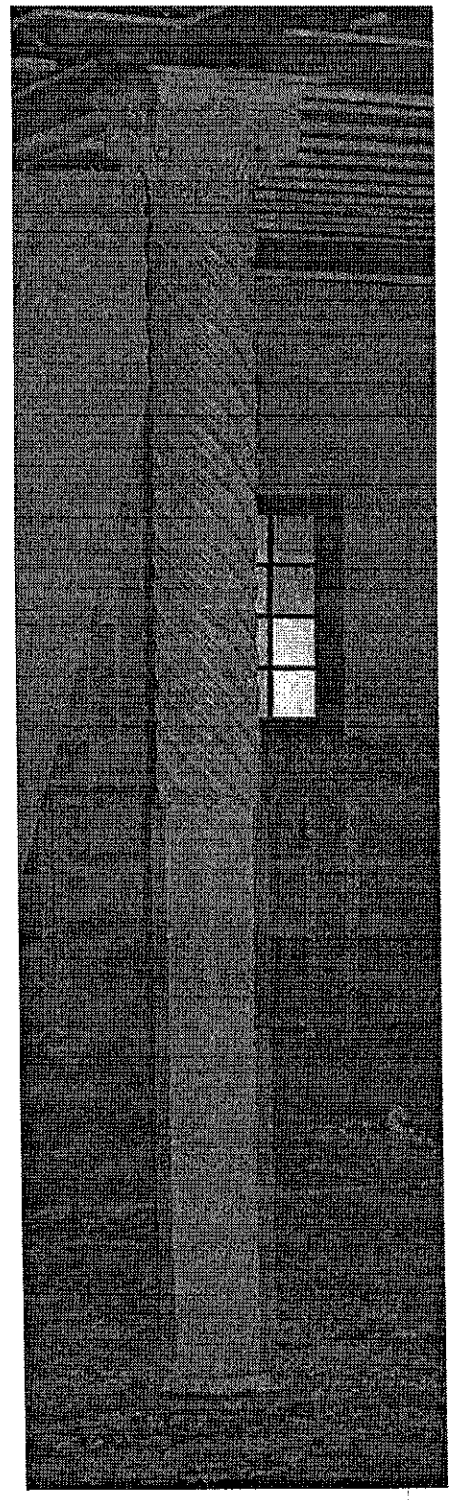

لوحة رقم(18): صورة تشمل العمود الرّخامي ذو الشكل المثمّن و الحلزوني

ببيت صلاة جامع الباشا .

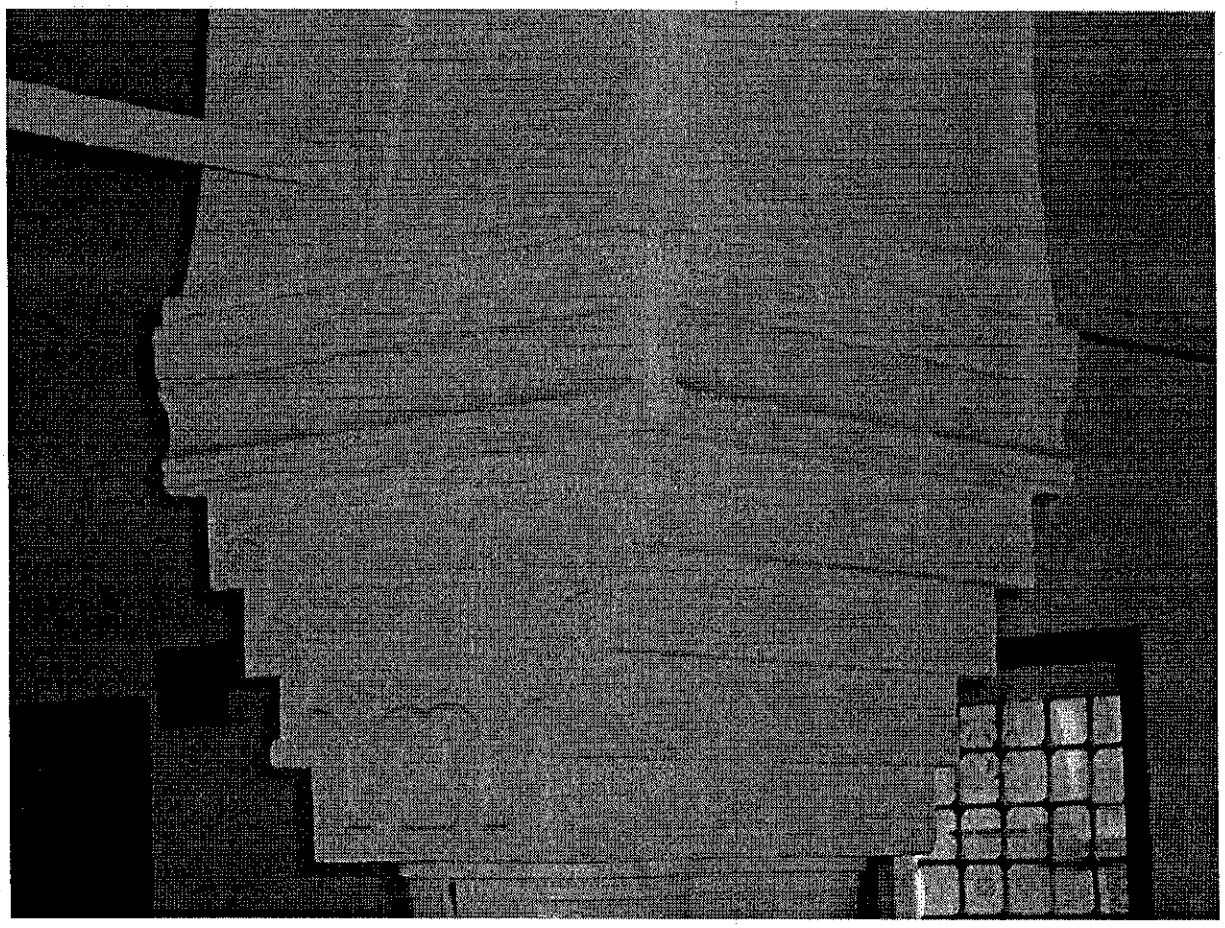

لوحة رقم (19): صورة لتيجان مدرجة مقلوبة ببيت صلاة جامع الباشا.

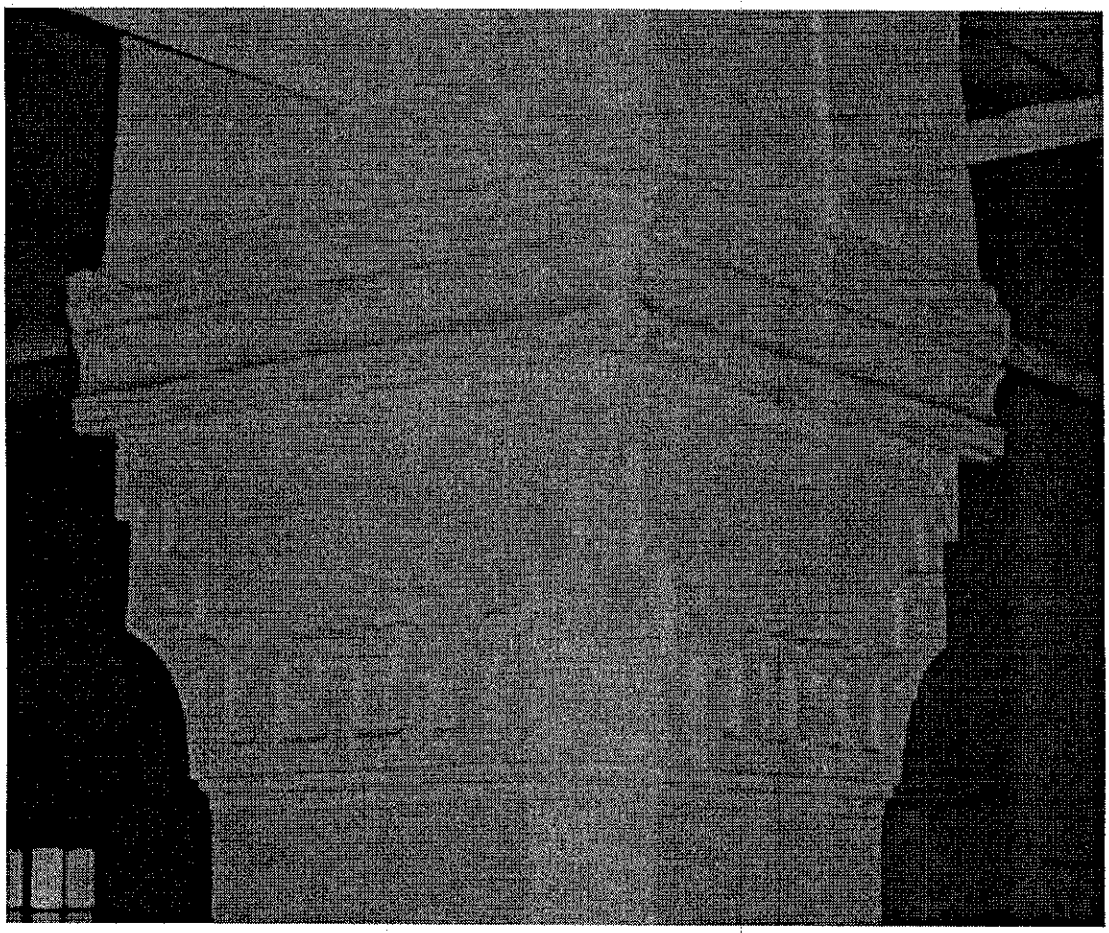

لوحة رقم (20): صورة لتيجان مدرجة مقلوبة ببيت صلاة جامع الباشا.

لوحة رقم (21): صورة لتيجان مركبة من الآيونيي والكورنثيي

ببيت صلاة جامع الباشا.

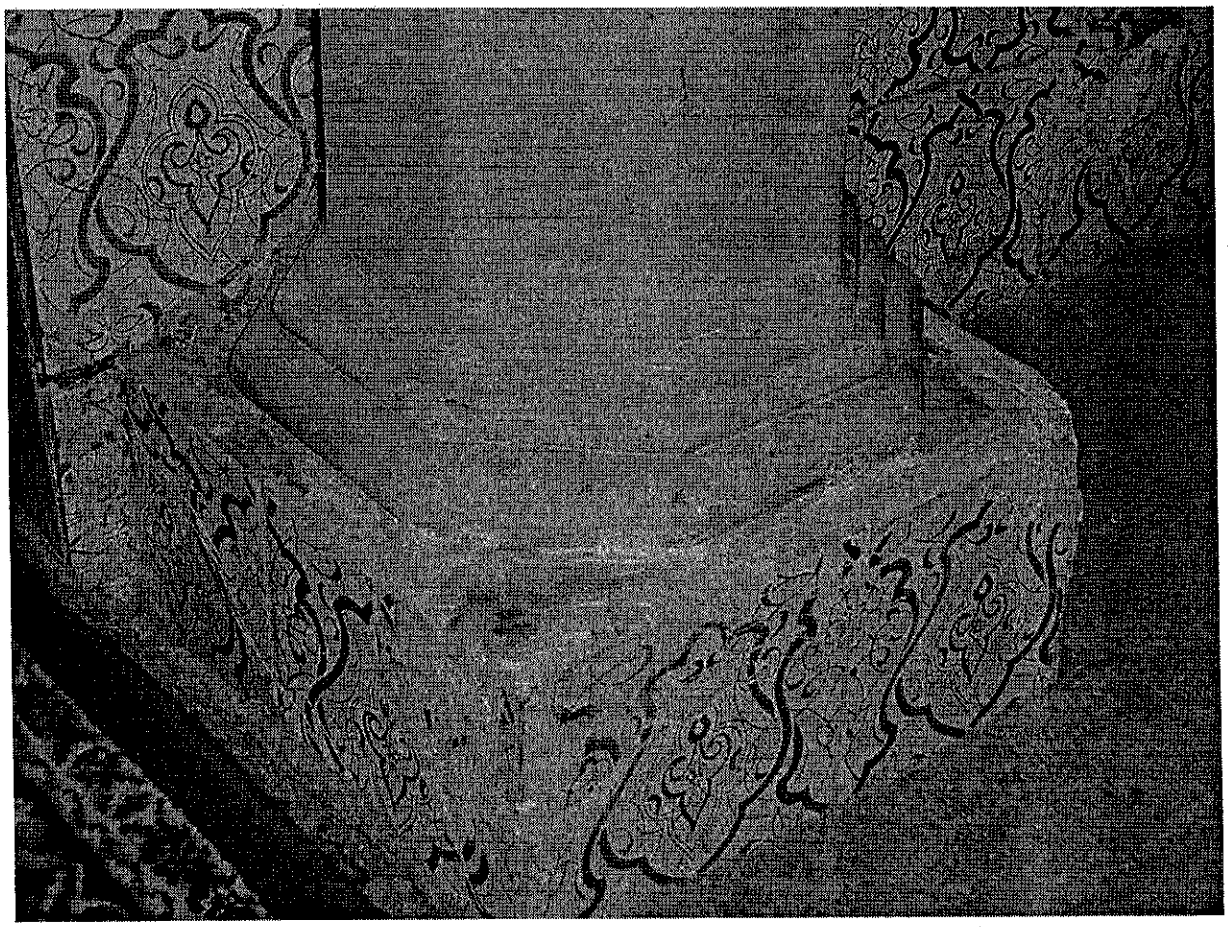

لوحة رقم (22): صورة لقواعد الأعمدة الرّخامية ذات الشكل المثمّنة

ببيت صلاة جامع الباشا.

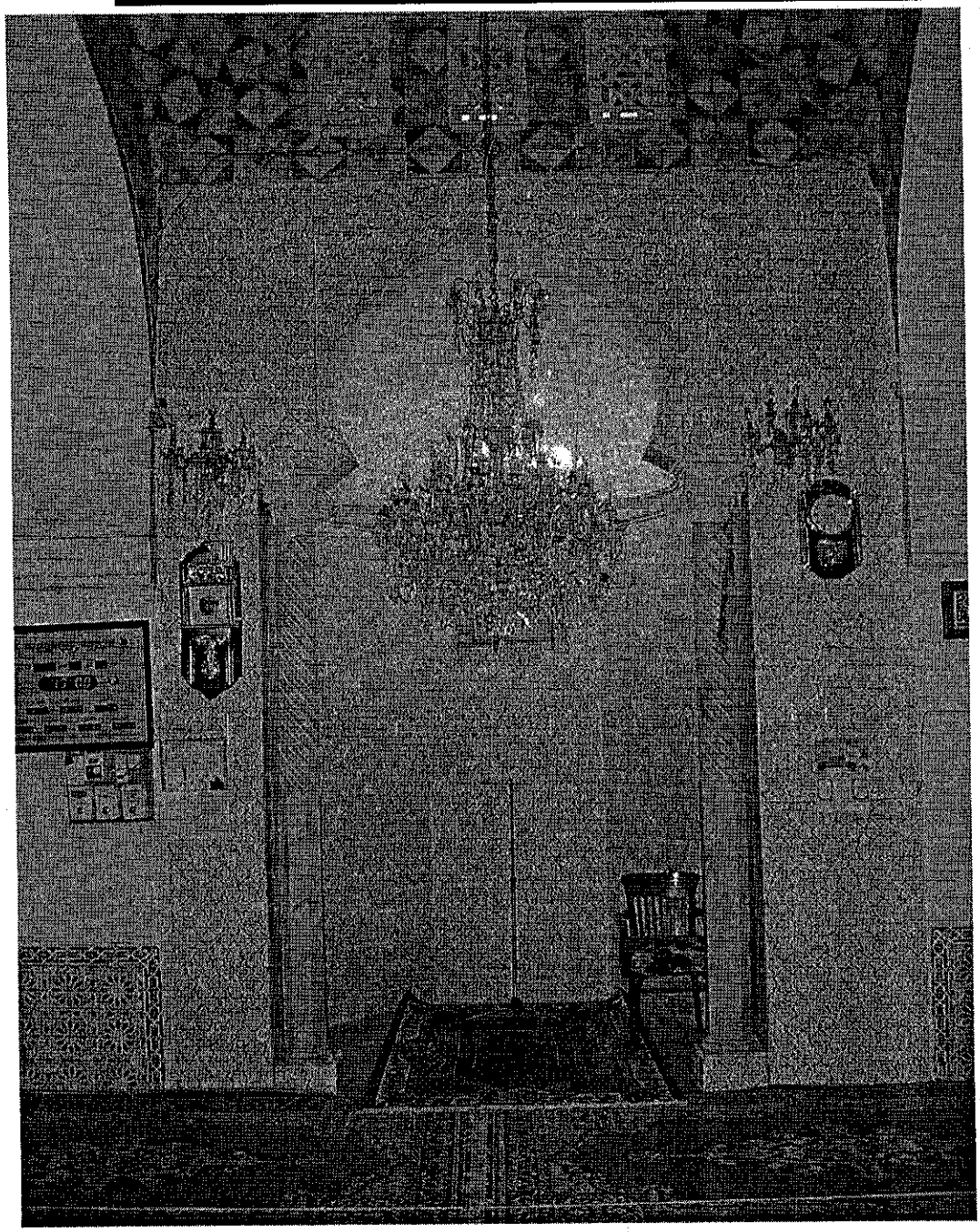

لوحة رقم (23) : صورة توضح محراب جامع الباشا وعلى جانبيه الأعمدة الرّخاميّة .

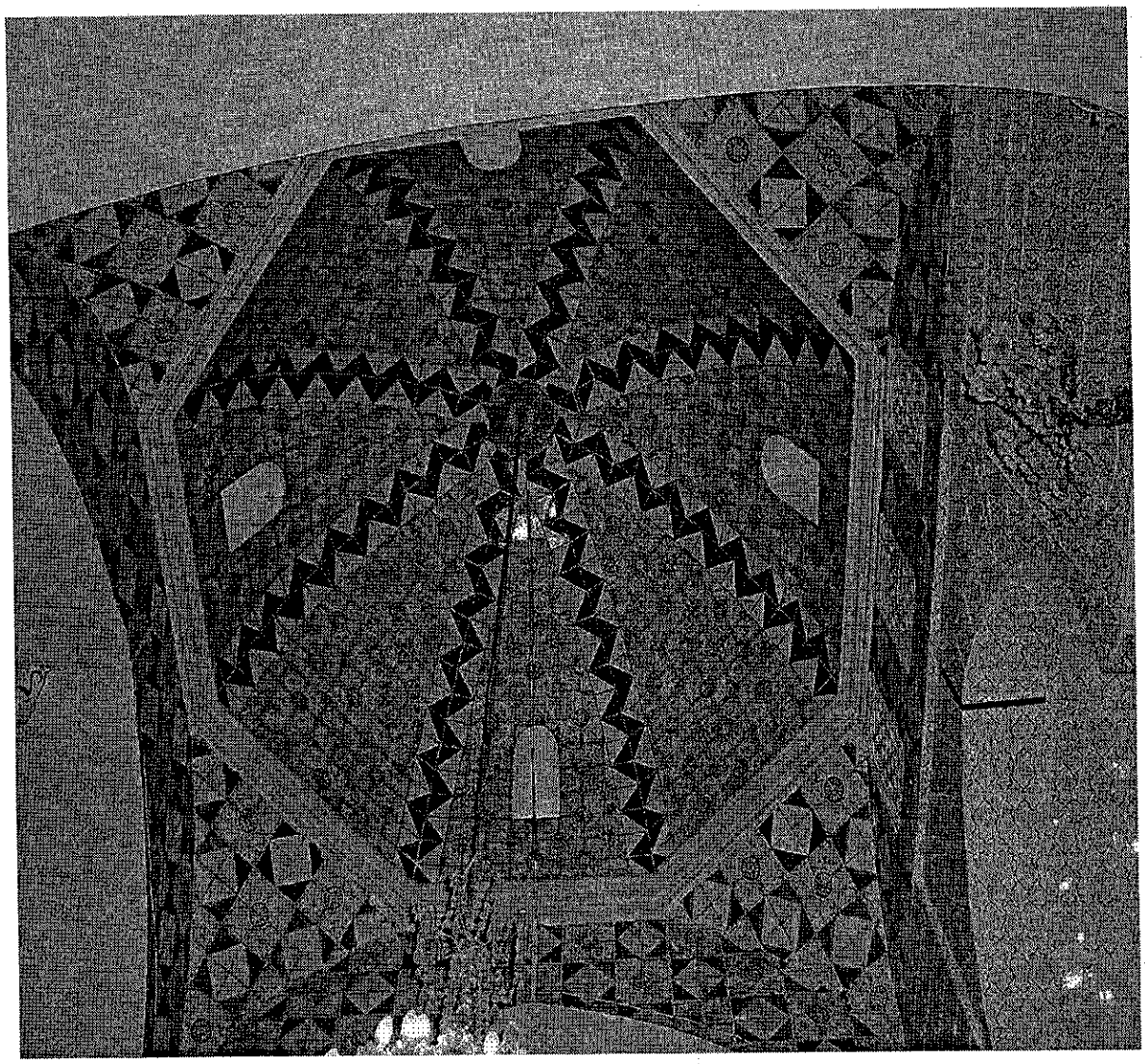

لوحة رقم (24): صورة لمشكاة قبّة المحراب بجامع الباشا .

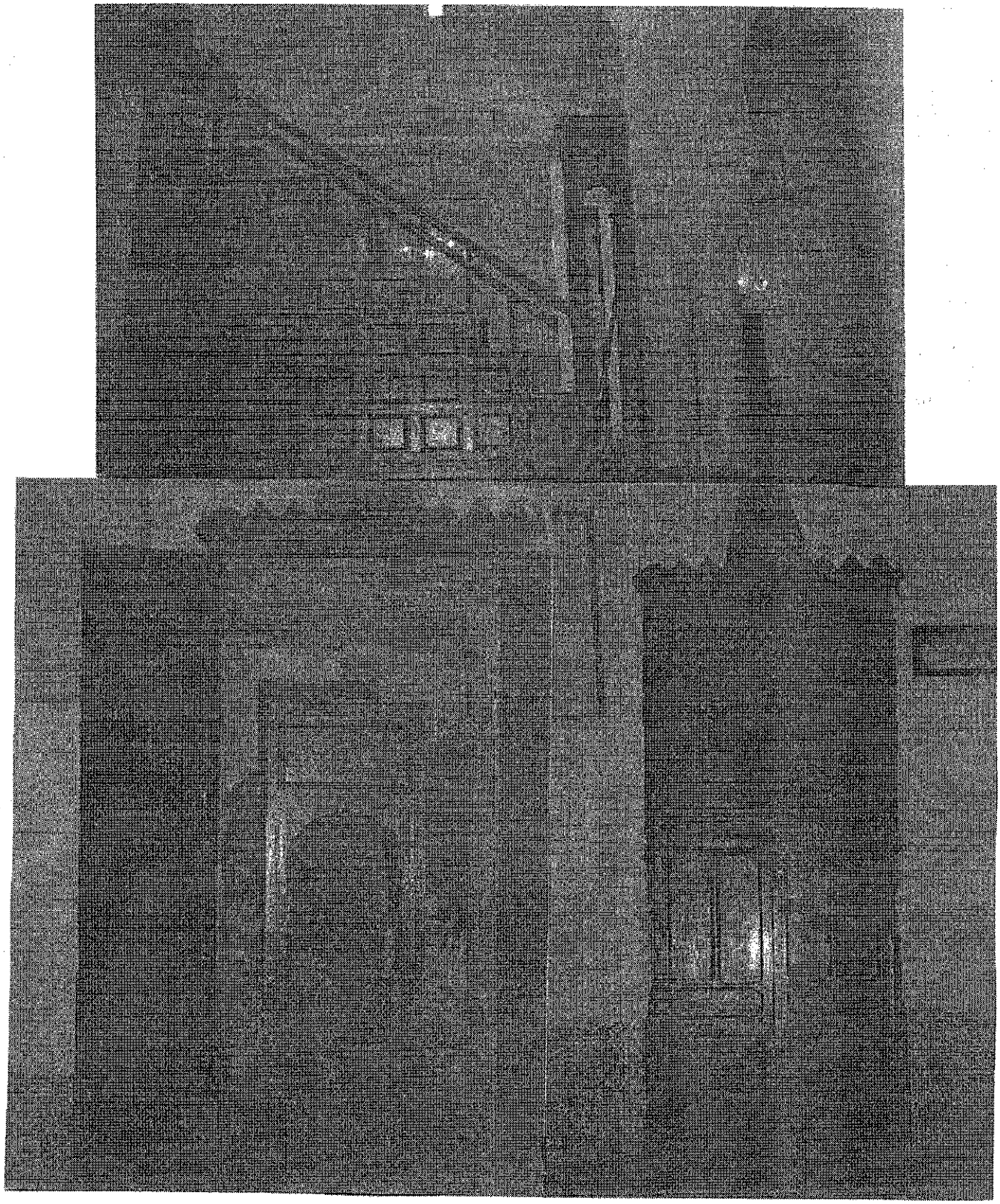

لوحة رقم (25): صورة أمامية و جانبية لمنبر جامع الباشا.

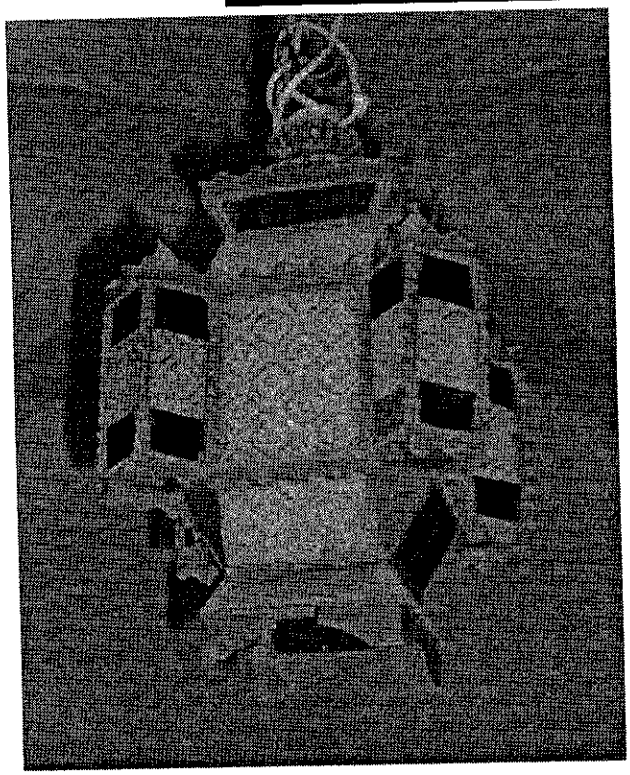

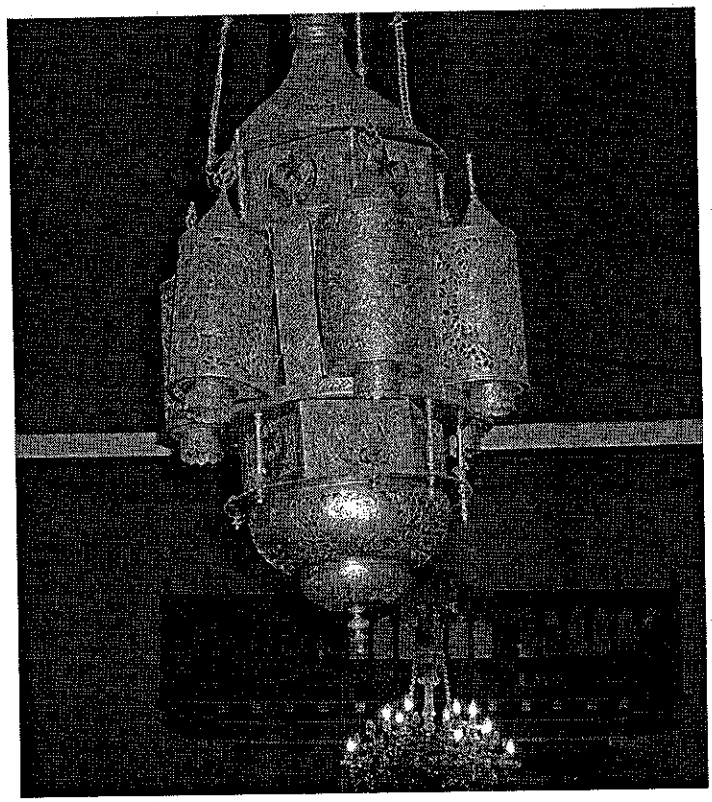

لوحة رقم (26): صورة تشمل بعض ثريات جامع الباشا من الطراز التركي.

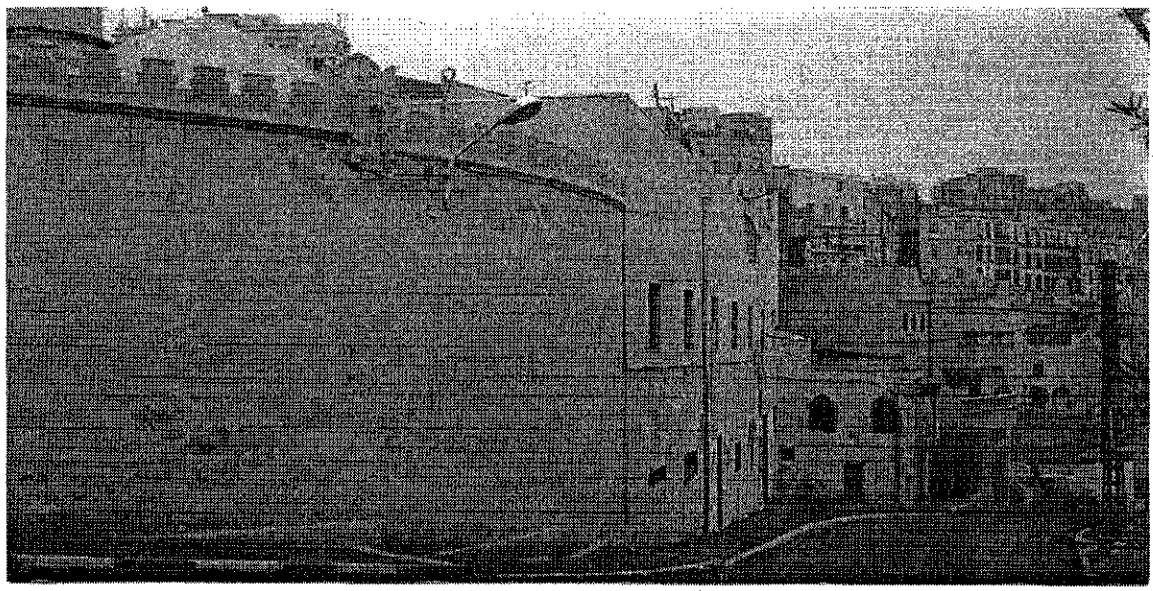

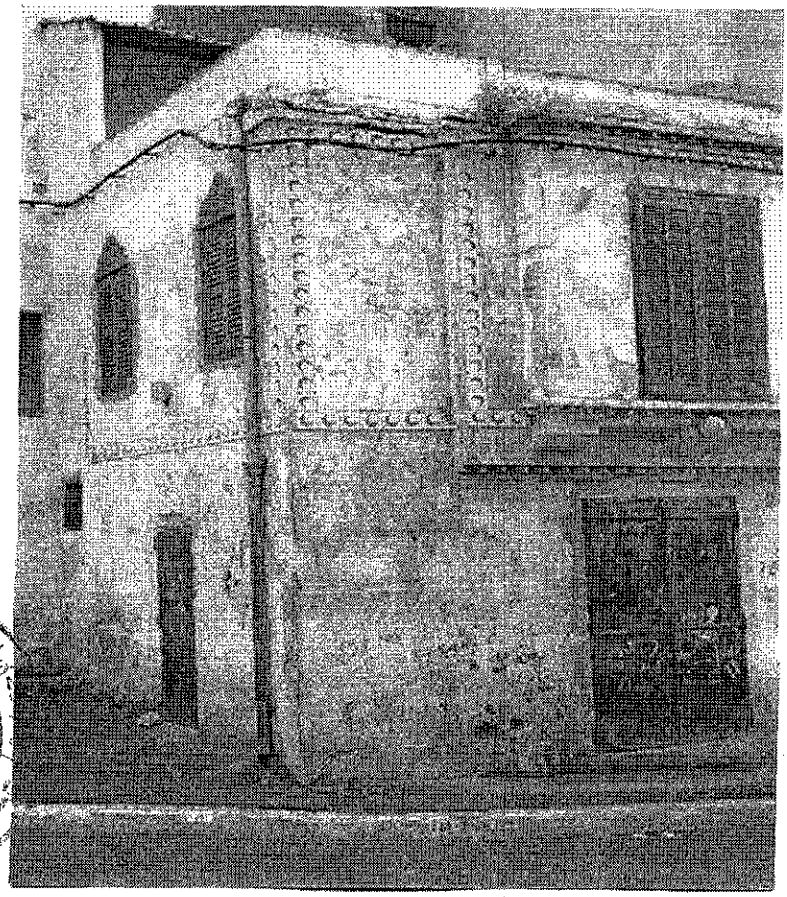

لوحة رقم (27): صورة لمسكن و دكّان الباي حسن آخر بايات وهران .

الموجود في أقصى جنوب شرق جامع الباشا.

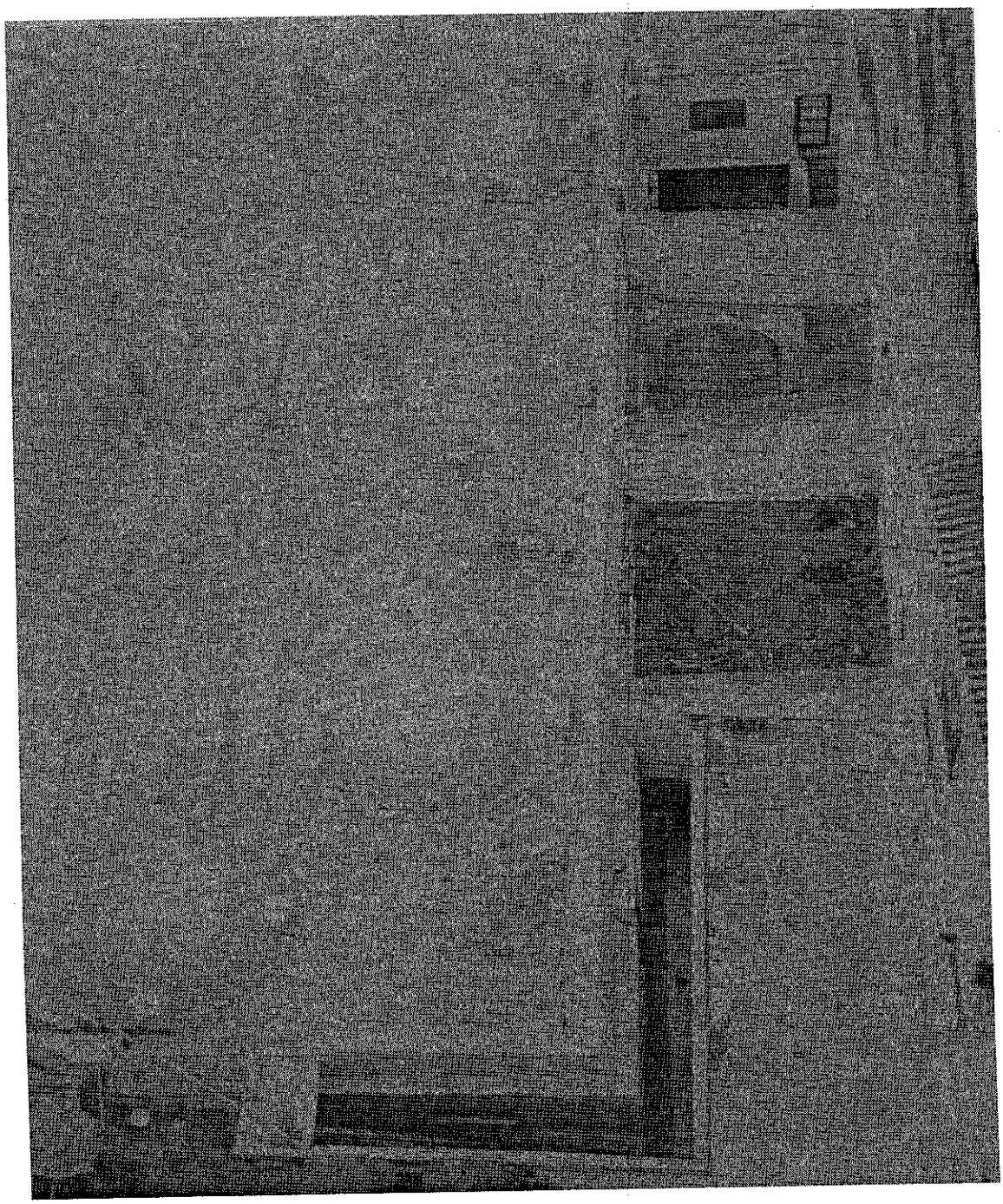

لوحة رقم (28): صورة علوية لرواق الوضوء بجامع الباشا .

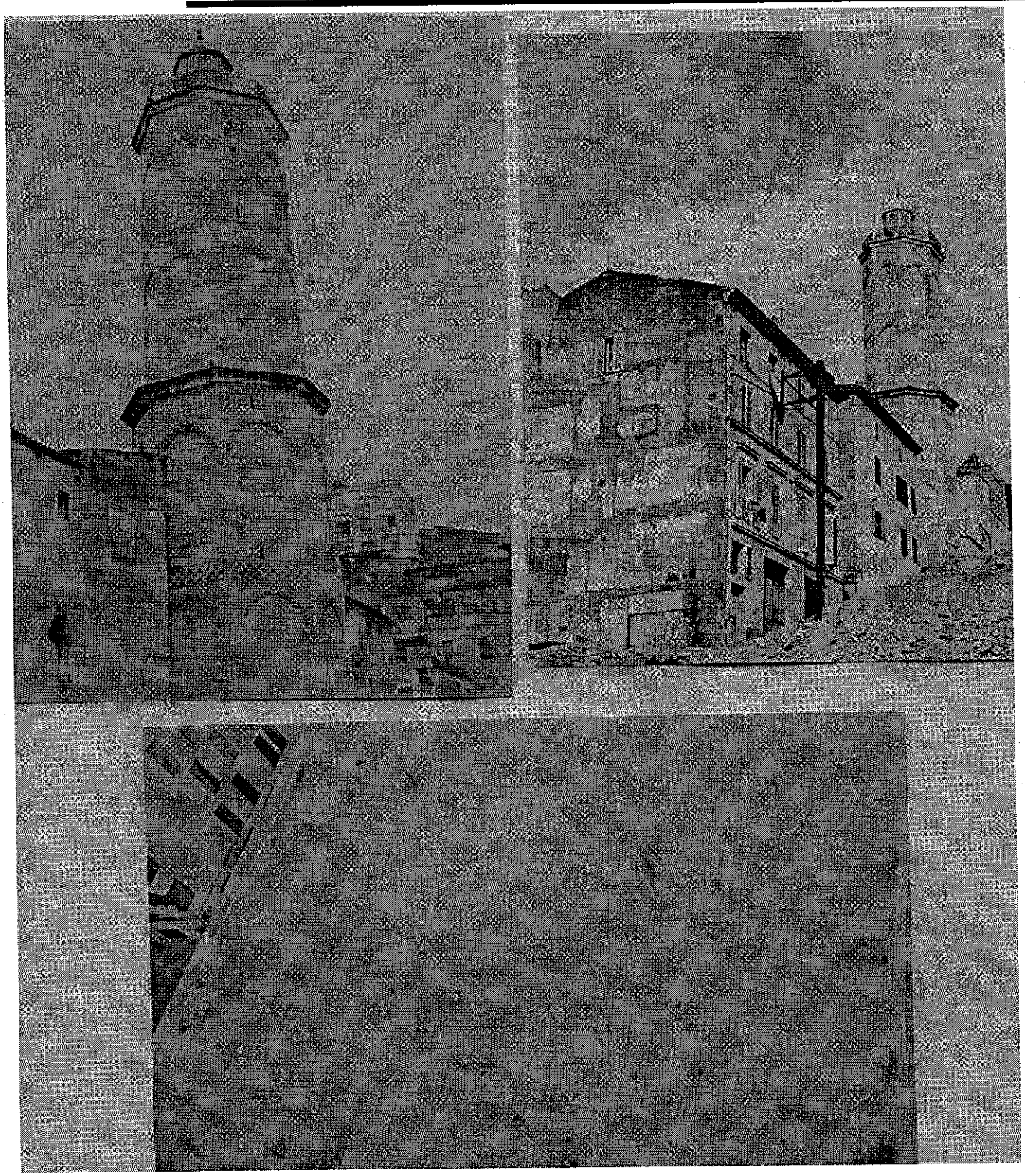

لوحة رقم (29) : نظرة جانبية و علوية لمئذنة و قبة جامع الباشا.

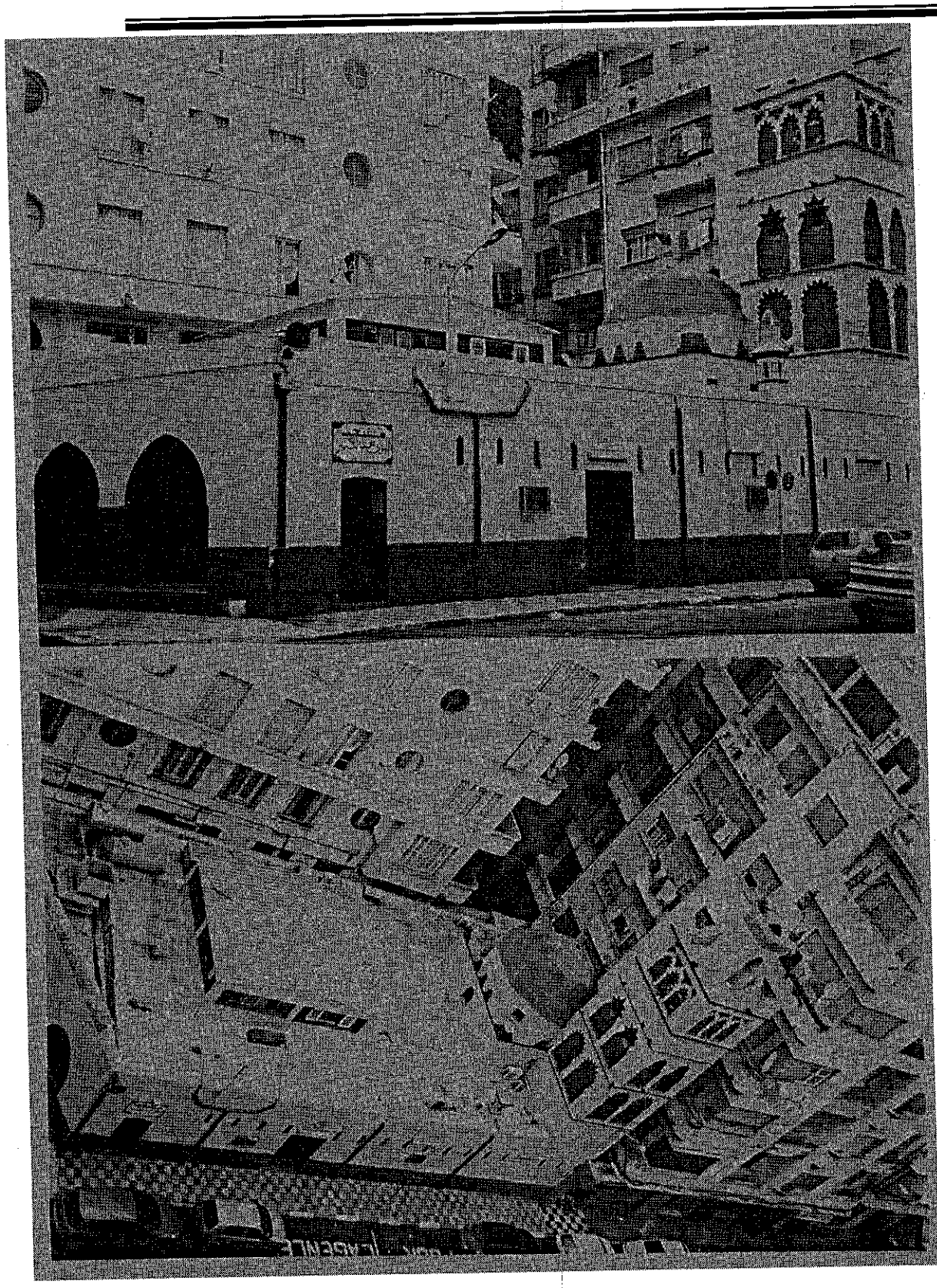

لوحة رقم (30): صورة عامة لمسجد الباي محمد الكبير.

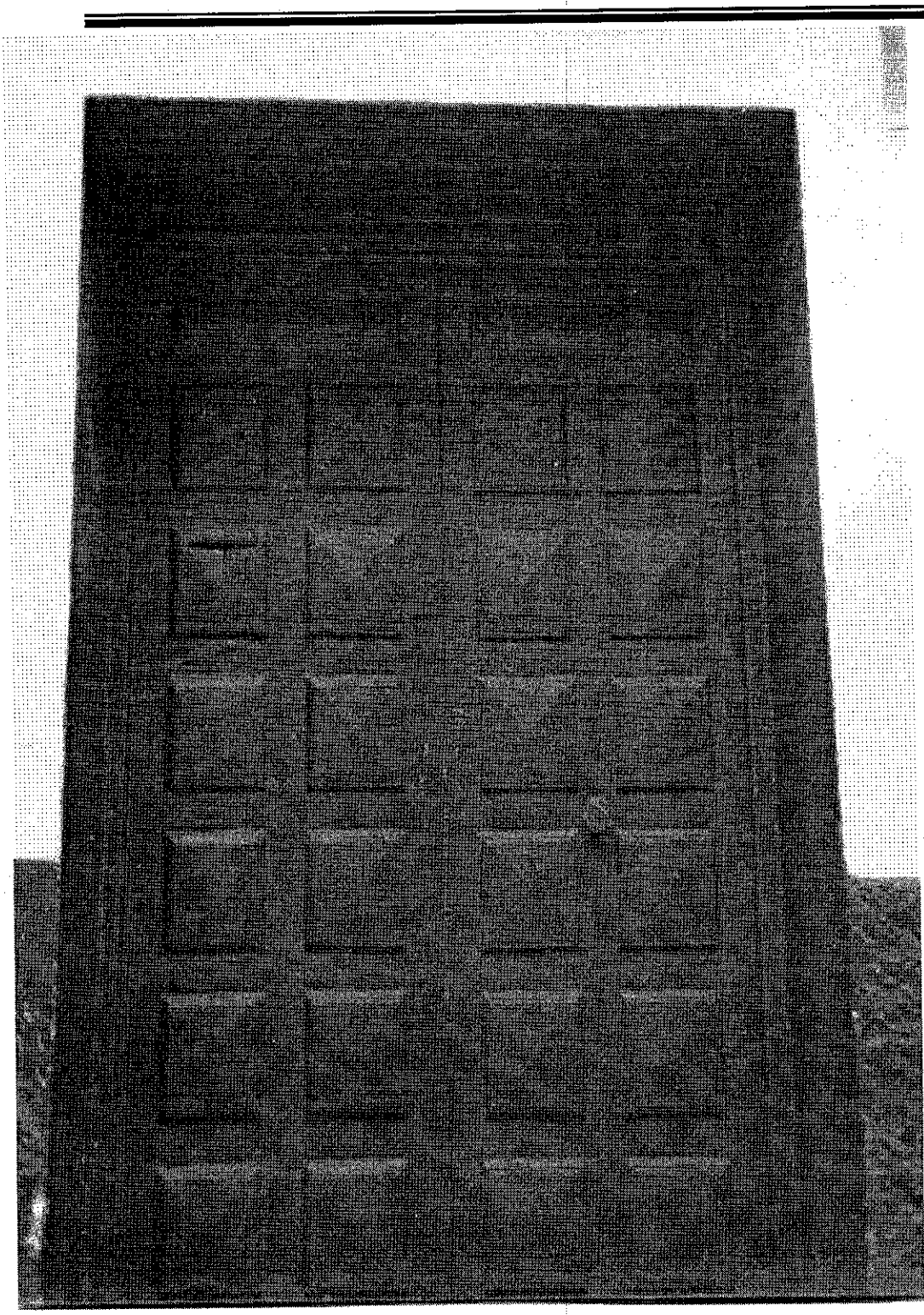

لوحة رقم (31): صورة المدخل الرئيسي لمسجد الباي محمد الكبير.

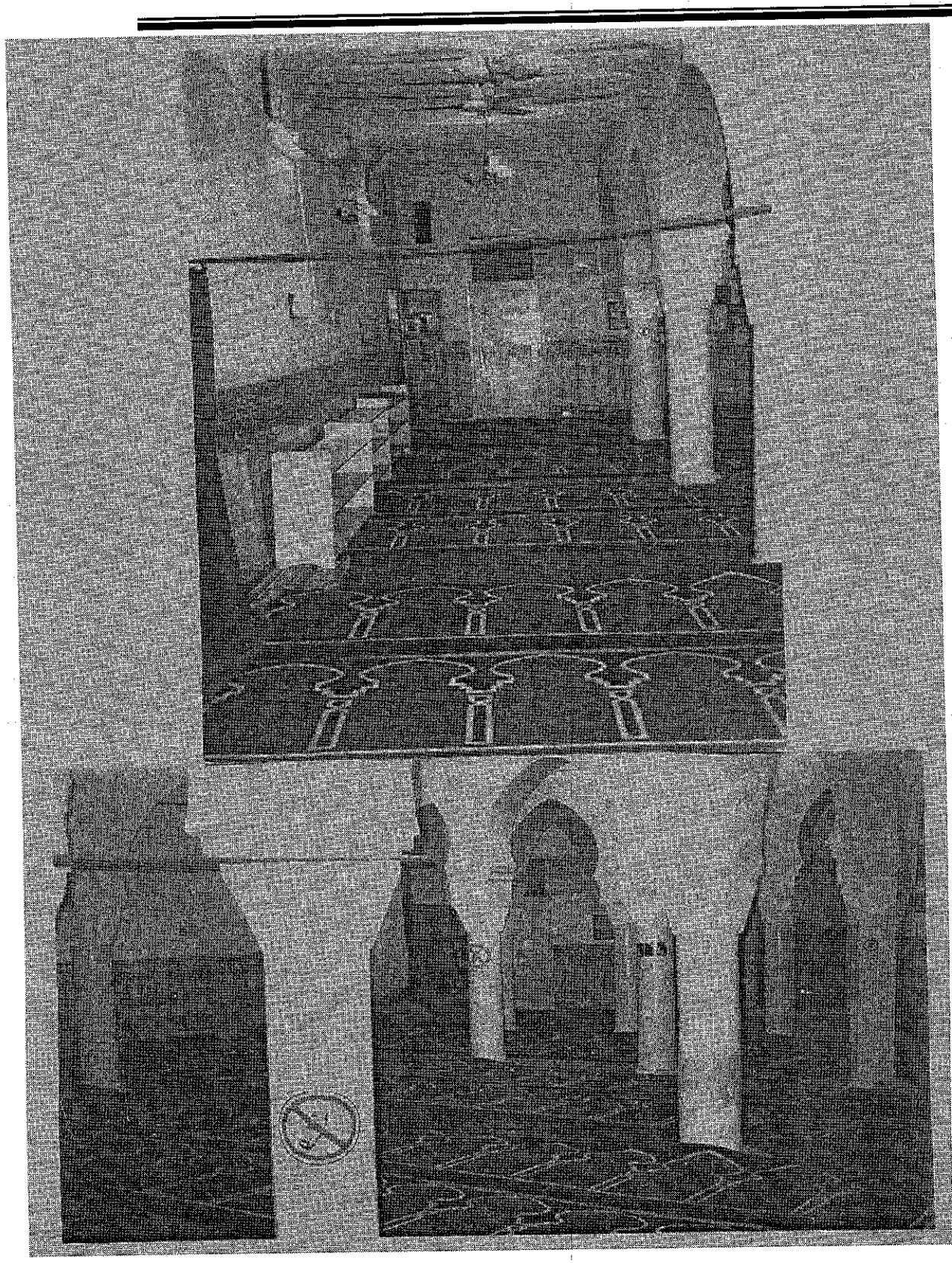

لوحة رقم (32): صورة توضح بلاطات مسجد الباي محمد الكبير.

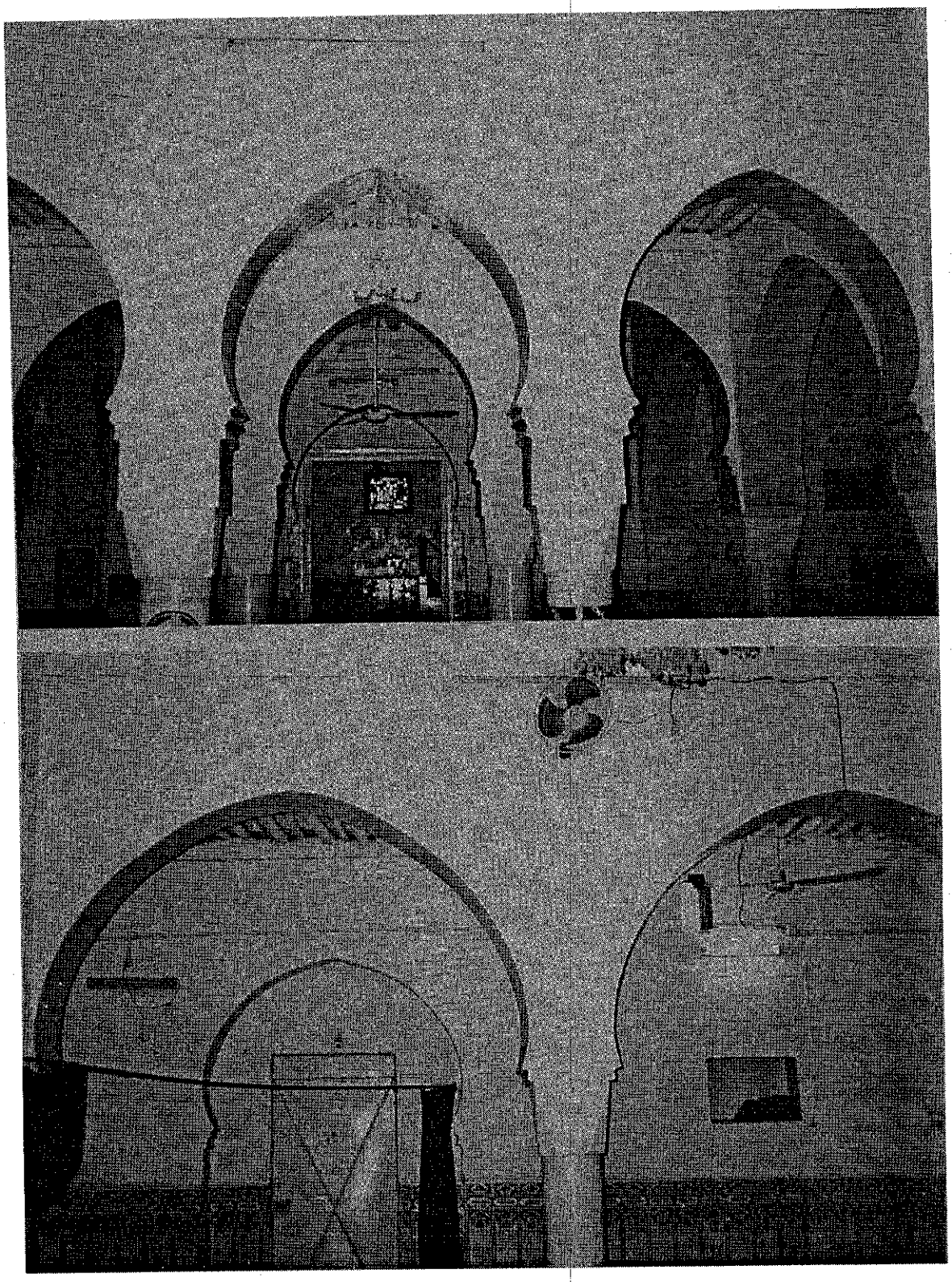

لوحة رقم (33): صورة تشمل عقود وأعمدة مسجد الباي محمد الكبير.

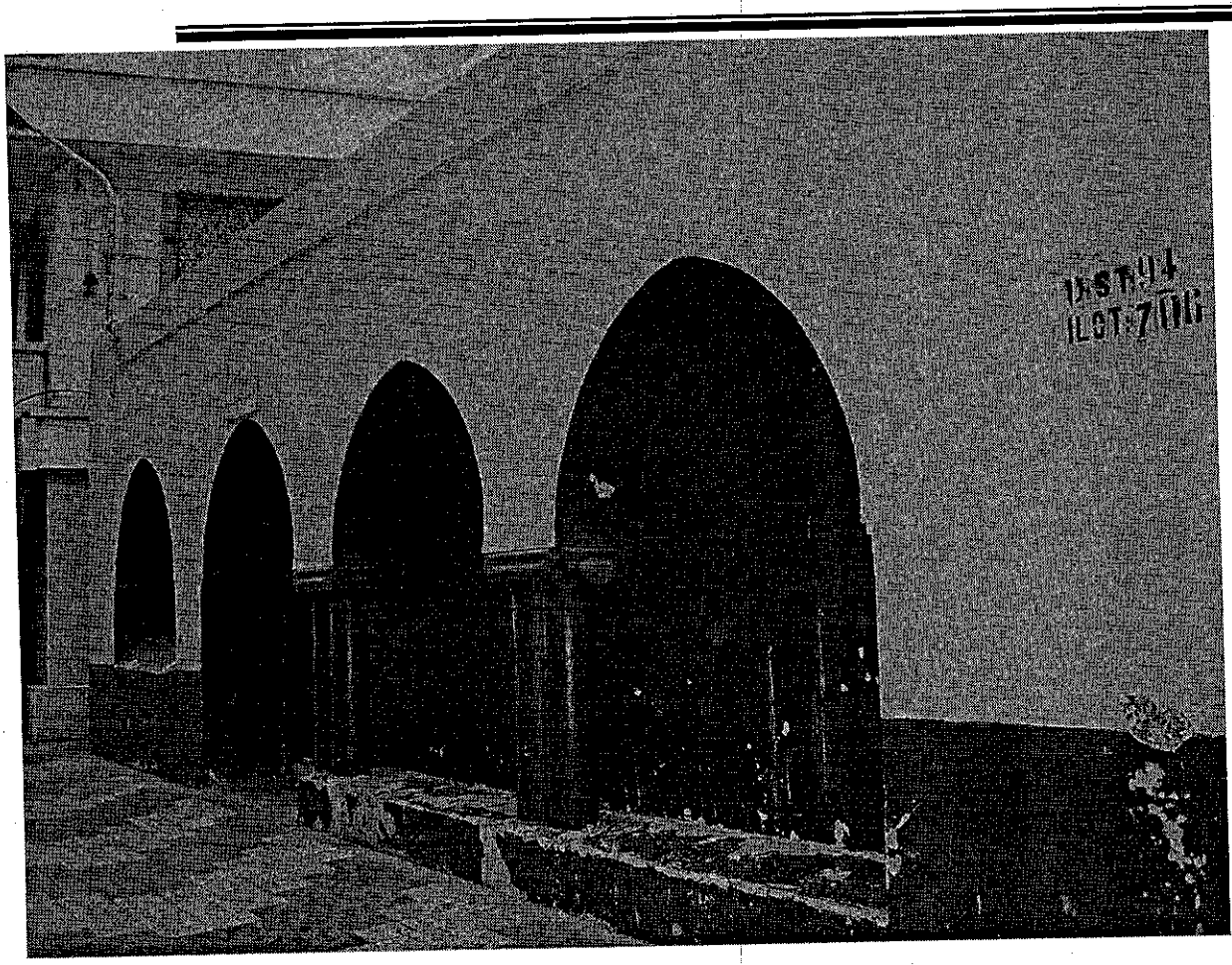

لوحة رقم (34): صورة لعقود وأعمدة مسجد الباي محمد الكبير من جهته الخلفية .

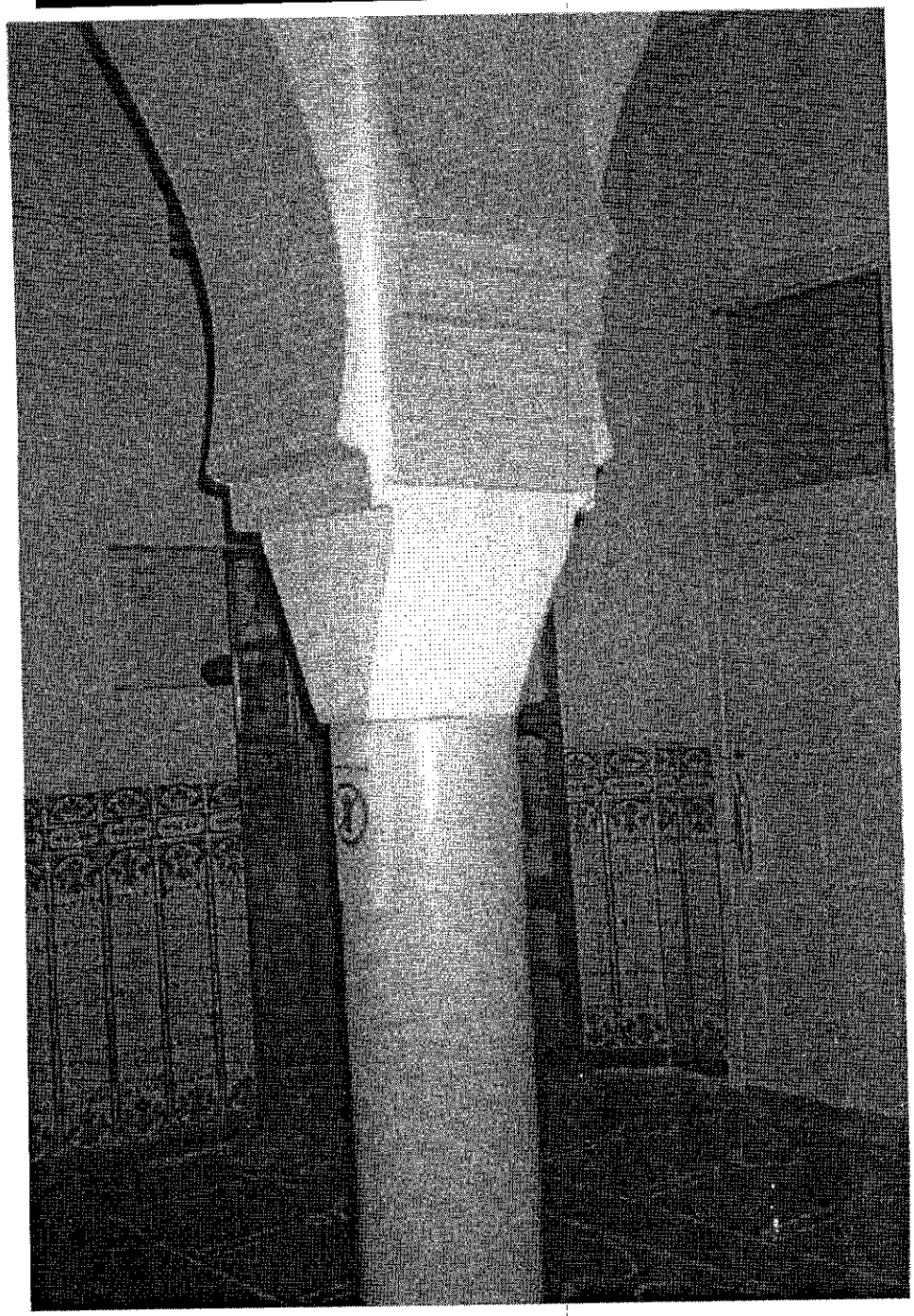

لوحة رقم (35): صورة تشمل عمود وتاج مسجد الباي محمد الكبير.

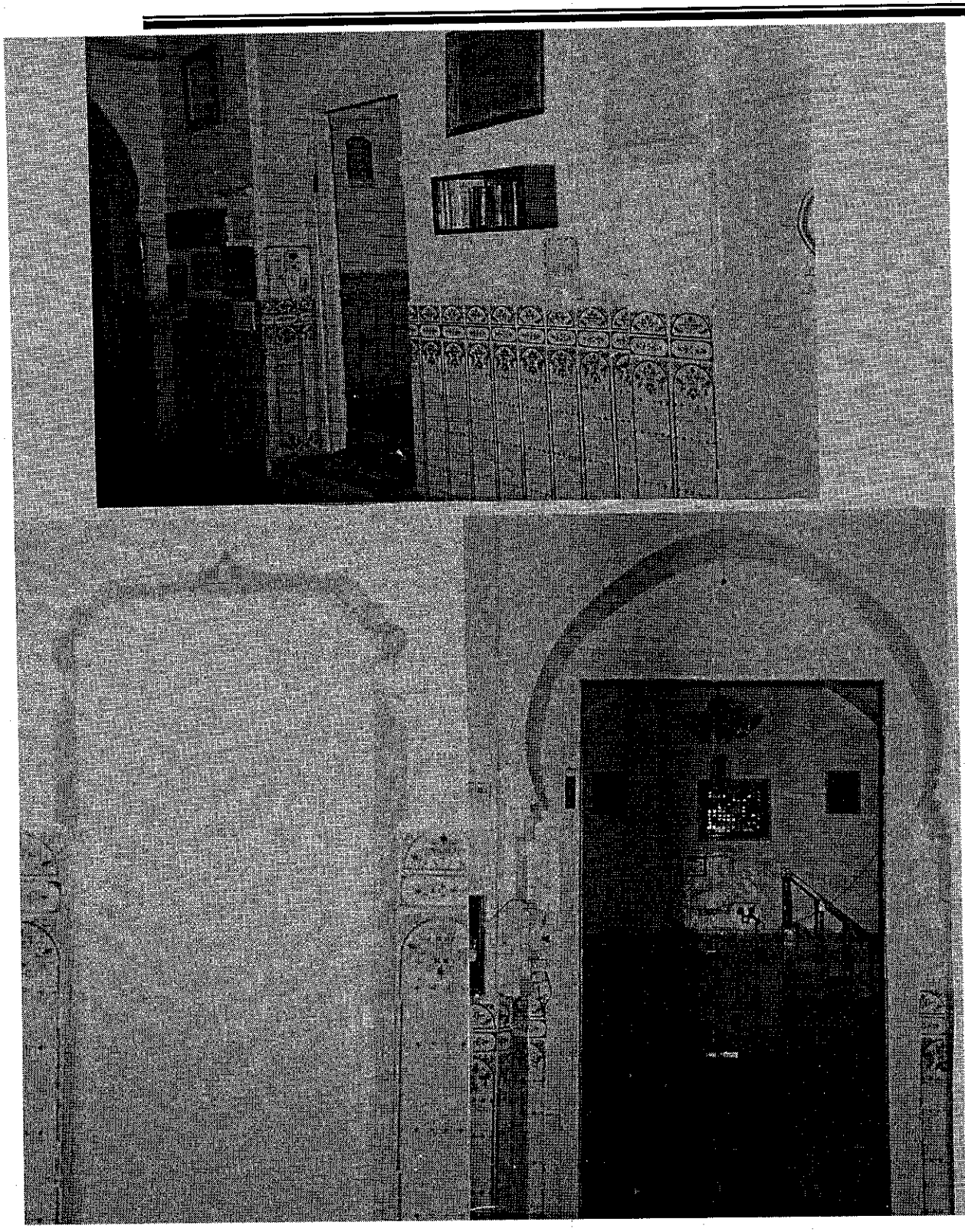

لوحة رقم (36): صورة للمداخل الثانوية لمسجد الباي محمد الكبير.

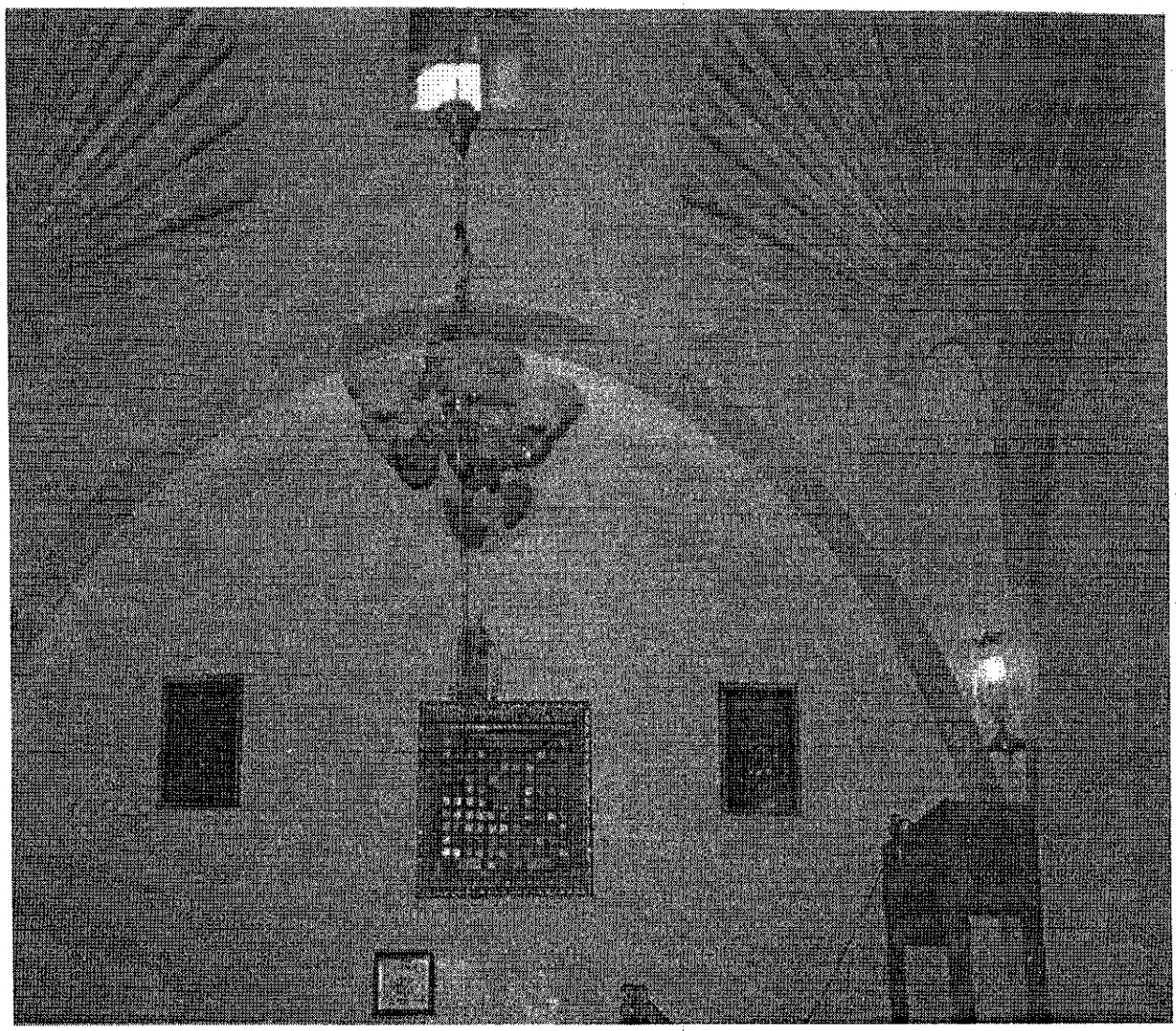

لوحة رقم (37): نظرة داخلية لمشكاة القبّة الرّئيسية لمسجد الباي محمد الكبير.

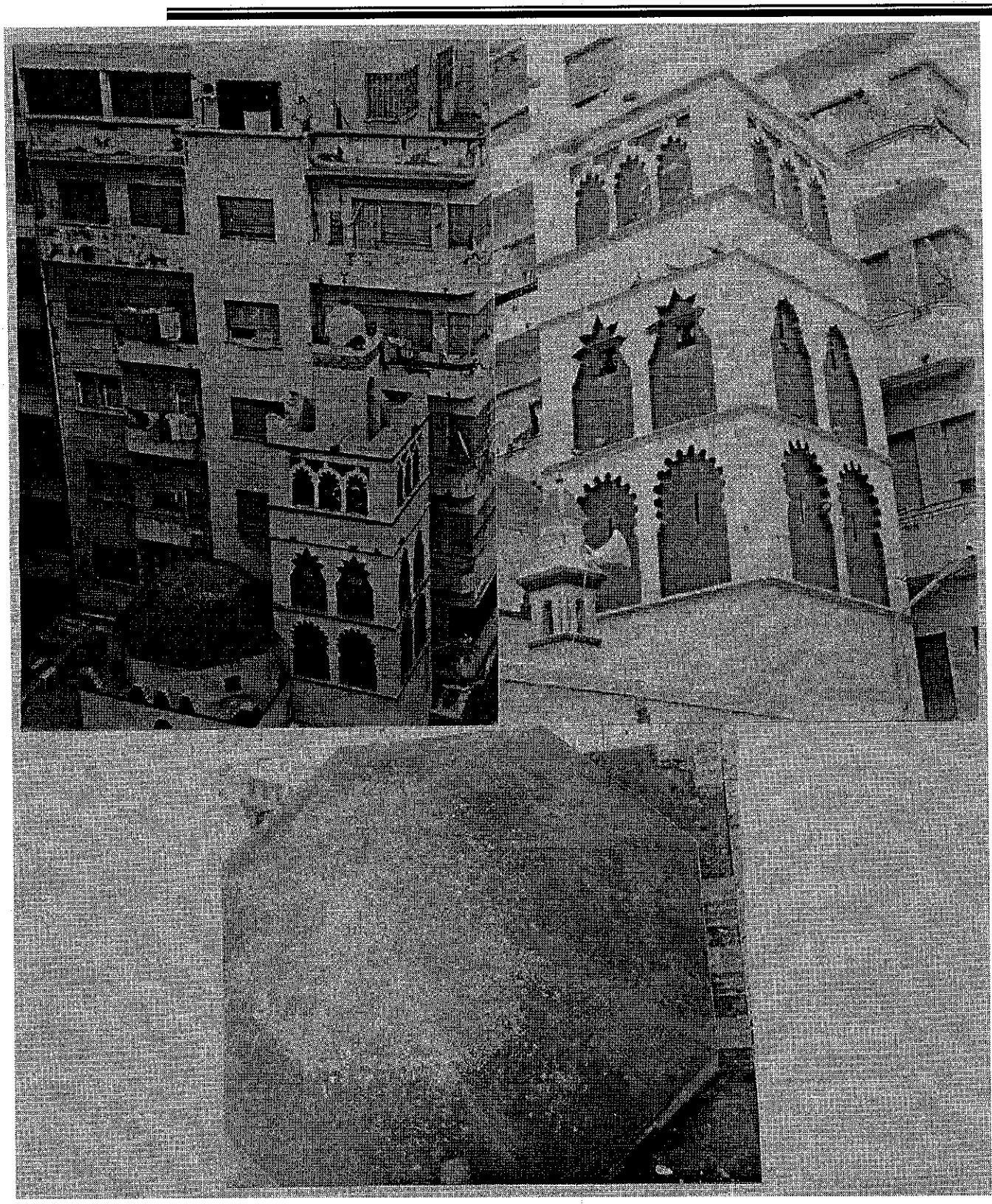

لوحة رقم (38): صورة تشمل مئذنة و قبة مسجد الباي محمد الكبير.

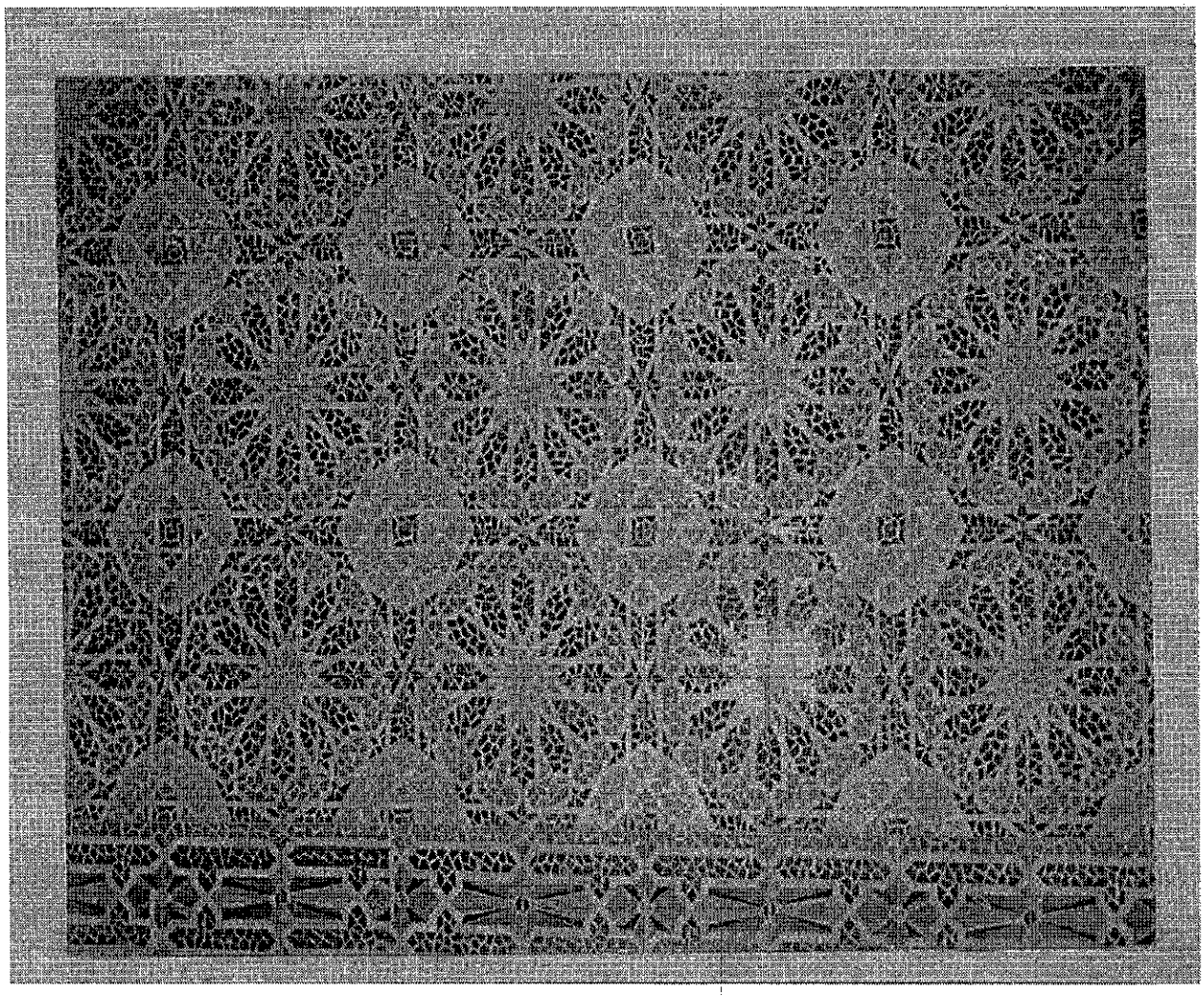

لوحة رقم (39): صورة تشمل بلاطات الزلّيج الموجودة في أسفل جدار

بيت صلاة جامع الباشا .

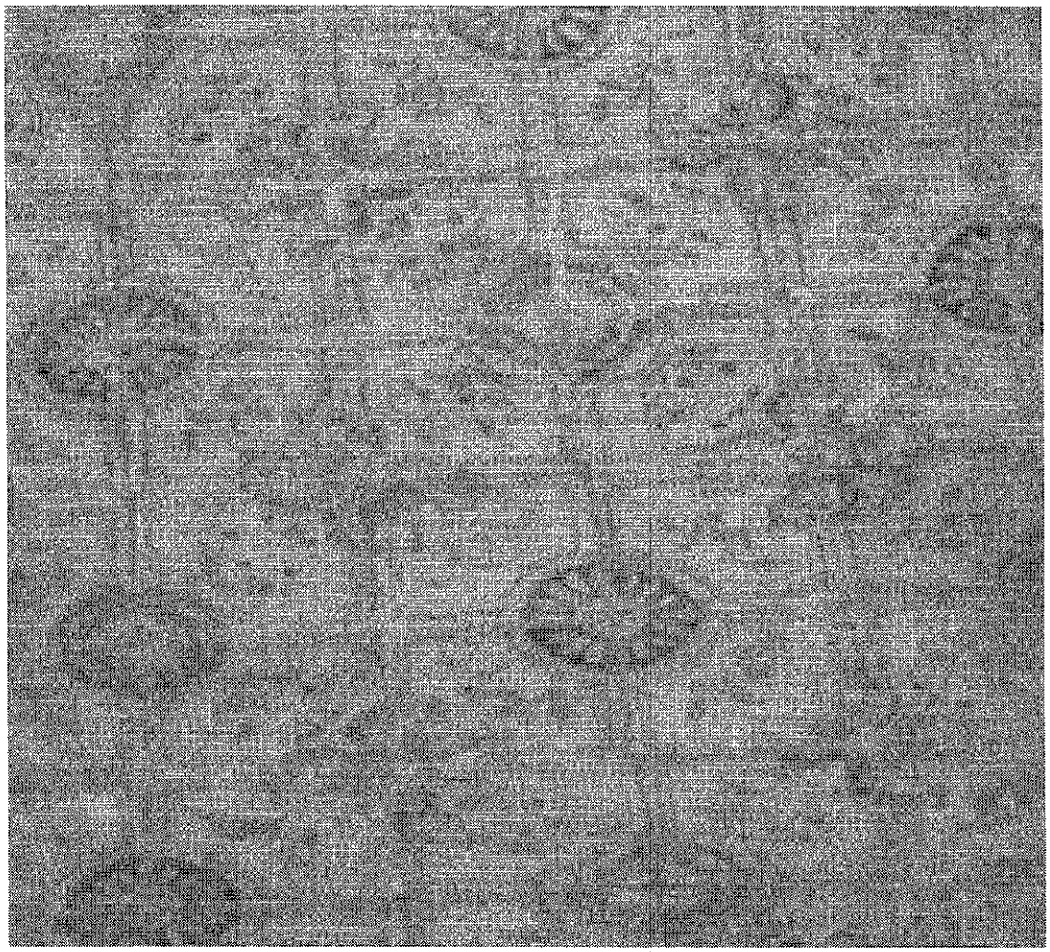

اللوحة رقم (40) : بلاطات من الخزف في جدران قبة المحراب من الداخل

ببيت صلاة جامع الباشا .

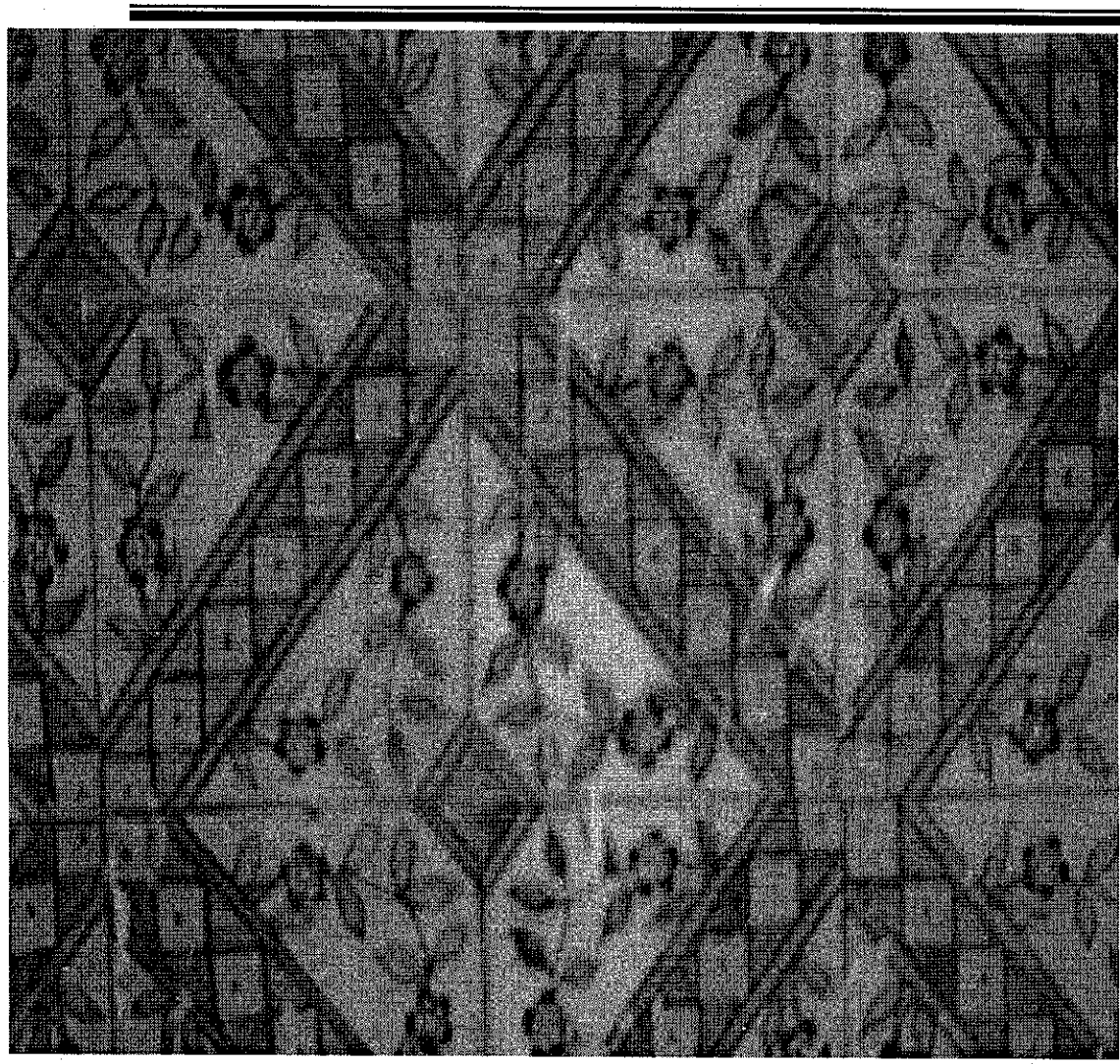

لوحة رقم (41): بلاطة من الخزف ذو الزخارف النباتية و الهندسية

في جوسق مئذنة مسجد الباي محمد الكبير.

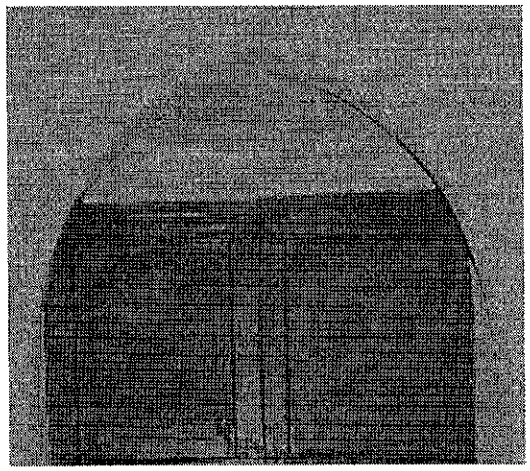

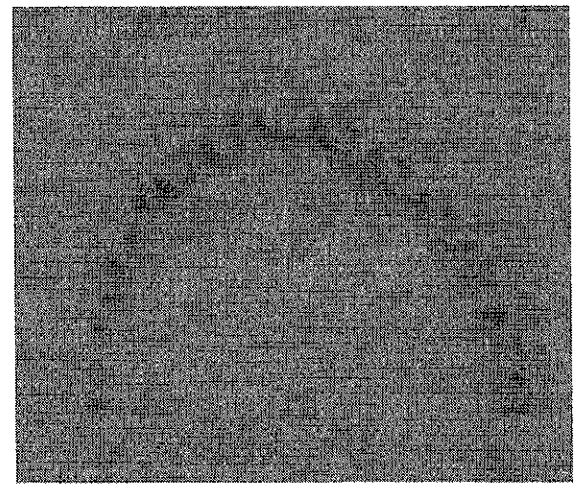

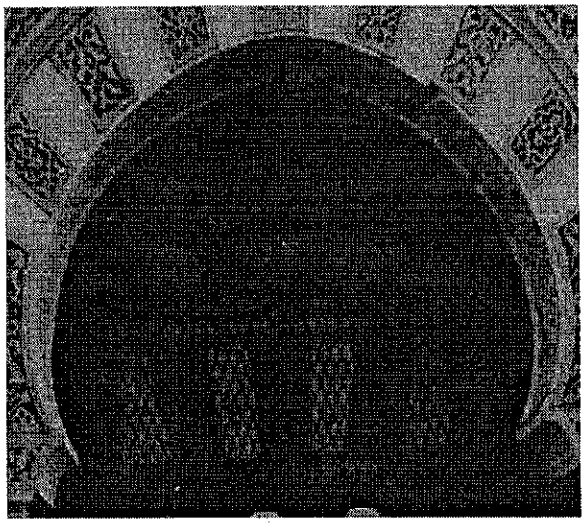

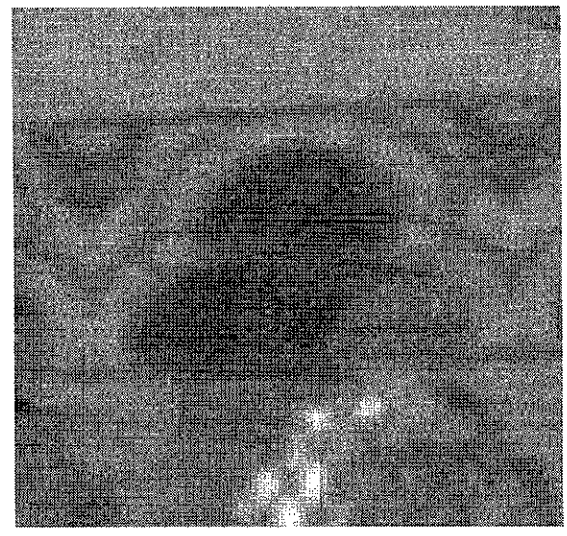

اللوحة رقم (42) : أنواع العقود الموجودة بجامع الباشا .

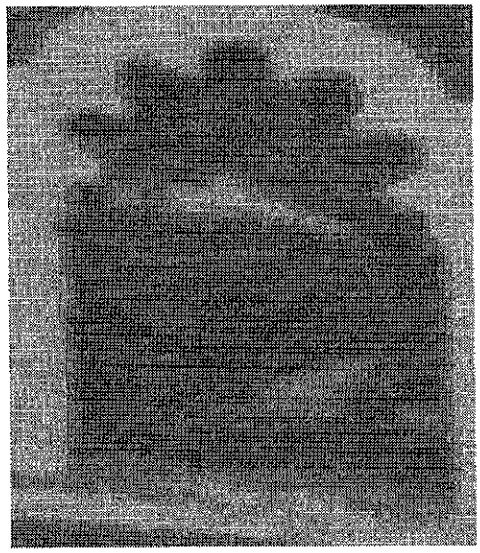

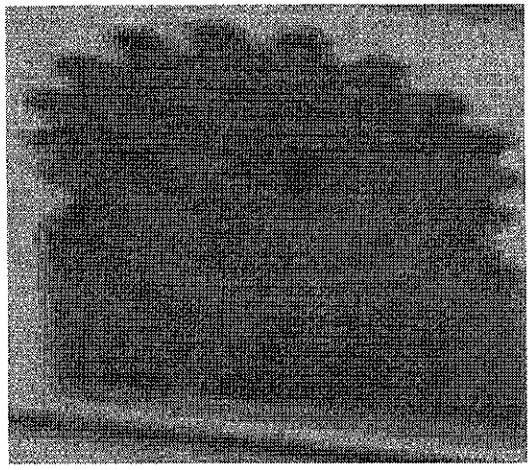

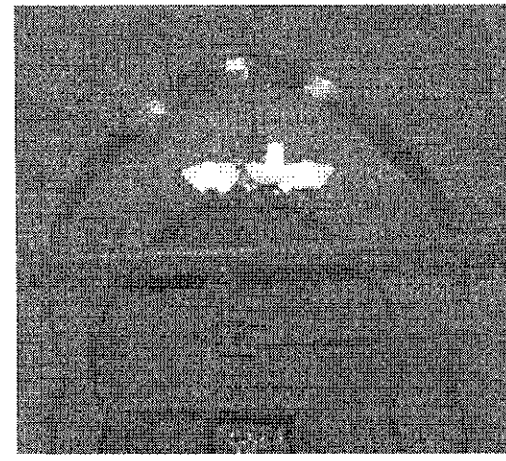

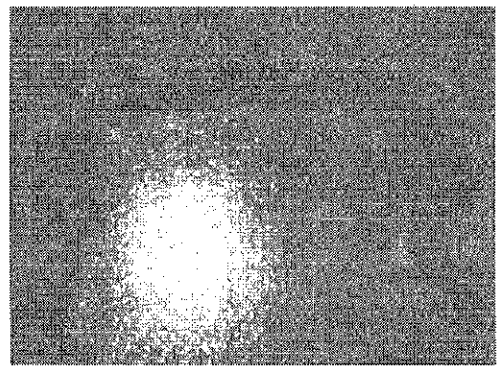

اللوحة رقم (43) : أنواع العقود الموجودة بمسجد الباي محمد الكبير .

قائمـــــة

البيبليوغرافيا

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

1- المصـــادر :

- **ابن خلدون** ، " كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " ، ج7 ، بيروت ، 1959م .

- **التلمساني أحمد بن هطال** ، " رحلة الباي محمد الكبير إلى الصحراء " ، تحقيق محمد عبد الكريم.

- **الجزائري محمد بن ميمون** ، " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية " ، تقديم وتحقيق : محمد عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 .

- **الزياني محمد بن يوسف** ، " دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران " ، تقديم وتعليق : المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1978 .

- **المحلي جلال الدين محمد بن أحمد و السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر** ،

" تفسير الجلالين " ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

- **المزاري بن عودة** ، " طلوع سعد السعود " في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق ودراسة : د. يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 .

- **الوزان حسن** ، " وصف إفريقيا " ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1983 .

- **لمؤلّف مجهول** ، " غزوات عروج وخير الدّين " ، تحقيق : نور الدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية ، الجزائر ، 1934 .

2- المراجـــع :

1-المراجع باللّغة العربية :

1 – 1 : الكتب :

- **الآلوفي أبو صالح** ، " الفن الإسلامي " أصوله فلسفته مدارسه ، دار المعرفة ، مصر ، بدون تاريخ .

- **البهنسي عفيف** ، " الفن الإسلامي " ، ط1 ، دار طلاسم للدّراسات و الترجمة والنّسشر ، دمشق ، 1986 .

- **البهنسي عفيف** ، " الفن عبر التاريخ " ، مطبعة الجمهورية ، دمشق ، بدون تاريخ .

- **الجبوري كامل سلمان** ، " كشكول الزخرفة العربية " ، دار مكتبة الهلال ، بدون تاريخ .

- **الجيلالي عبد الرحمن بن محمد** ، " تاريخ الجزائر العام " ، ج2 ، ط7 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 .

- **الرّفاعي أنور** ، " تاريخ الفن عند العرب المسلمين " ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، بدون تاريخ.

- **الشّابي محمد** ، " أضواء على الآثار الإسلامية " ، الدار التونسية للنّشر ، بدون تاريخ .

- **الشّافعي فريد** ، " العمارة العربية في مصر الإسلامية " ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للتّأليف و النّشر ، القاهرة ، 1970 .

- **الشّامي أحمد صالح** ، " الفن الإسلامي إلتزام و إبداع " ، ط1 ، دار القلم ، القاهرة ، 1990.

- **الشّناوي محمد عبد العزيز** ، " الدّولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها " ، ج2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1980 .

- **المدني أحمد توفيق** ، " حرب الثلاثمائة بين الجزائر و إسبانيا 1742-1792 " ، ط2 ، الجزائر ، 1976 .

- **المدني أحمد توفيق** ، " محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 " ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 .

- **الوالي طه** ، " المساجد في الإسلام " ، ط1 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1988 .

- **بورويبة رشيد** ، " الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية : ، ترجمة : إبراهيم شبّوح ، ش و ن ت ، الجزائر ، 1979 .

- **بوعزيز يحي** ، " المساجد العتيقة في الغرب الجزائري " ، ط1 ، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2002 .

- **بوعزيز يحي** ، " الموجز في تاريخ الجزائر " ، دار الطليعة للطّباعة و النّشر ، 1965 .

- **بوعزيز يحي** ، " وهران " ، ط2 ، دار الغرب للنّشر و التوزيع ، وهران ، 2002 .

- **ثروت عكاشة** ، " القيم الجمالية في العمارة الإسلامية " ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981 .

- **جودي محمد حسين** ، " العمارة العربية الإسلامية "إبتكاراتها جمالياتها ، ط1 ، عمان ، 1998.

- **حداد محمد حمزة** ، " دزاسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية " في ضوء كتابة الرّحالة المسلمين و مقارنتها بالنّهوض الأثرية و الوثائقية و التاريخية ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2001 .

- **حسين خالد** ، " الزّخرفة في الفنون الإسلامية " ، دار البحار للطّباعة و النّشر ، 1983 .

- **ديماند م س** ، " الفنون الإسلامية " ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مراجعة : أحمد فكري ، ط2 ، دار المعارف ، 1958 .

- **زكي محمد حسن** ، " فنون الإسلام " ، دار الرّائد العربية ، بيروت ، 1981 .

- **سامح كمال الدّين** ، " العمارة الإسلامية في مصر " ، مكتبة النّهضة المصرية ، بدون تاريخ .

- **سعد الله أبو القاسم** ، " تاريخ الجزائر الثّقافي " من القرن 15 إلى 14 هـــ ، ج1 ، الجزائر ، 1981 .

- **عزّوق عبد الكريم** ، " تطور المآذن في الجزائر " ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2006 .

- **عقاب محمد الطّيب** ، " مدخل إلى العمارة الجزائرية "قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة ، الجزائر ، 1999 .

- **علي حسين حمّودة** ، " فنّ الزّخرفة " ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1972 .

- **عنان محمد عبد الله** ، " عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس " ، ج1 ، ط1 ، القاهرة ، 1964 .

- **كونل أرنست** ، " الفن الإسلامي " ، ترجمة : أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ، 1966 .

- **لعرج محمود عبد العزيز** ، " الزّليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي " ، ط1 ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 .

- **لمعي مصطفى صالح** ، " القباب في العمارة الإسلامية " ، دار النّهضة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- **نسيب محمد** ، " زوايا العلم و القرآن بالجزائر ، ط1 ، مطبعة النّخلة دار الفكر ، بدون تاريخ .

- **مؤنس حسين** ، " المساجد " ، عالم المعرفة ، العدد 37 ، الكويت ، 1981 .

- **مؤنس حسين** ، " تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي " ، ج2 ، ط2 ، العصر الحديث للنّشر و التّوزيع ، بيروت ، 1992 .

- **ماهر محمد سعاد** ، " الخزف التّركي " ، الجهاز الإداري للكتب الجامعية و المدرسية ، 1972.

- **مرزوق محمد عبد العزيز** ، " الإسلام الفنون الجميلة " ، دار الكتاب ، القاهرة ، 1944 .

- **مرزوق محمد عبد العزيز** ، " الفنّ الإسلامي تاريخه و خصائصه " ، بغداد ، 1965 .

- **مرزوق محمد عبد العزيز** ، " الفنون الزّخرفية الإسلامية في العصر التركي " ، ط1 ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 .

- **مقيبس بشير** ، " مدينة وهران " دراسة في جغرافية العمران ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

2 – 1 : الأطروحات و الرّسائل و الدّوريات :

2 – 1 – 1: الأطروحـــات :

- **خلاصي علي** ، " قصبة الجزائر " القلعة و قصر الداي ، أطروحة جامعية لنيل شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة في علم الآثار ، قسم علم الآثار ، جامعة الجزائر في سنة 1985 .

- **عقاب حمد الطّيب** ، " قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني " ، أطروحة جامعية لنيل شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة في علم الآثار ، قسم علم الآثار ، جامعة الجزائر في سنة 1984 .

- **معروف بلحاج بن نوح** ، " العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب من خلال بعض النّمادج " ، أطروحة جامعية لنيل شهادة دكتوراه في علم الآثار ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان في سنة 2002 .

- **مهيريس مبروك** ، " المساجد العثمانية بوهران ومعسكر " ، دبلوم الدّراسات المعمّقة في علم الآثار ، قسم علم الآثار ، جامعة الجزائر في 1981 .

2 – 1 – 2: الرسائـــل :

- **الزّين محمد** ، " العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نمودجين " الجامع الكبير و زاوية سيدي محمد بن عمر دراسة تاريخية و فنية ، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية ، قسم الثّقافة الشعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان في سنة 2001 .

- **الواليش فتيحة** ، " الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة الجزائر في سنة 1993 .

- **بلبراوات بن عتو** ، " الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري 1779 – 1797 " ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة وهران في سنة 2001 .

2 – 1 – 3: الدّوريات:

- **بوعزيز يحي** ، " طرق القوافل و الأسواق التّجارية بالصّحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون في القرن 19 م " ، مجلة الثّقافة ، العدد 59 ، الجزائر ، 1980 .

- **بورويبة رشيد** ، " وهران " ، مجلة فن و ثقافة ، الرغاية 1983 .

- **سي يوسف محمد** ، " دراسة مخطوط عجائب الأسفار و لطائف الأخبار لأبي راس النّاصري " ، مجلة الدّراسات التاريخية ، العدد2 ، الجزائر ، 1986 .

- **وزيري يحي** ، " العمارة الإسلامية و البيئة " الروافد التي شكّلت التّعمير الإسلامي ، عالم المعرفة ، العدد 304 ، نوفمبر 2004 .

2- المراجع باللّغة الفرنسيّة :

2 – 1 : الكتب :

- **Arceven .g.a** , ! « Les arts décoratifs turcs », ancara,s,d .

- **Bourouiba Rachid** , « Apports de l'Algérie a l'architecture religieuse arabo-islamique » , Entreprise nationale du livre , Alger 1986 .

- **Bourouiba Rachid** , « l'Art religieuse musulman en Algérie ».

- **Chaila Houari** , « Oran » histoire d'une ville , EDIK , Oran 2002 .

- **Déspois George** , « Géographie de l'Afrique du nord –ouest » , Payot , paris 1967 .

- **Didier** , « Histoire d'Oran » , Tom 4 , Oran 1931 .

- **Doukali Rachid** , « Les mosquée de la période turque a Alger » .

-**El Bakri** , « Description de l'Afrique septentrionale » , Trad de slam , paris 1859 .

- **El Edrisi** , «Description de l'Afrique et de l'Espagne » , Trad de domy et George , Leyde , 1866 .

-**Féy Henri Lion** , « Histoire d'Oran avant , pendant, et apprêt l'Occupation espagnole » , Oran 1858 .

- **Gaid Mouloud** , « L'Algérie sous les turcs » , S.N.E.D , Alger 1974 .

-**Ibn Haouqual** , « description de l'Afrique » , Trad de slam dans le journal asiatique , fev-mars 1842 .

- **Lespes .R** , « Oran étude de Géographie et d'Histoire urbaine » , Collection du centenaire d'Algérie .

- **Marcais George** , « L'Architecture musulmane d'occident ,tunisie,algérie,maroco, Espagne et Sicile , arts et matière graphiques » , Paris 1954 .

- **Séguy George** , « Oran et l'Algérie en 1887 » , Oran 1888 .

- **Taleb Mohamed** , « bulletin du centre de la recherche et de documentations Université D'Oran » , 1969 .

- **Tinthoin .R** , « Les aspects physiques du tell oranais » , Essai de morphologie de pays semi-aride la fougue , Oran 1948 .

2 – 2 : المقالات و البحوث العلمية :

- **Mariel .w** , « La mosquée de sidi Mohamed el kébir a Oran , Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran , Fondé en 1878 , Tome 8 .

- **Revue africaine** , « Rapport official de 1738 » , 1943 .

الفهـــــرس

الإهداء .

كلمة شكر وتقدير .

المقدمة ..... أ،ب، ج،د

الفصل الأول : جغرافية و تاريخ مدينة وهران .

المبحث الأول : الإطار الطبيعي لمدينة وهران .

موقع مدينة وهران :

- الموقع الفلكي 3

- الموقع الجغرافي 4

التضاريس :

- الجبال و الهضاب 5

- السهول و السبخات 6

المناخ و النّباتات 9

المبحث الثاني : الإطار التاريخي لمدينة وهران .

- أصل تسميتها 11

تطور المدينة تاريخيا:

- بناء وهران 13

- وهران في ظل الخزريين المغراويين 14

- وهران تحت حكم الفاطميين و الأمويين 16

- وهران تحت حكم المرابطين و الموحدين 18

- وهران بين الزيانيين و الحفصيين و المرينيين 20

- أوضاع وهران خلال القرن 9هـ - 15 م 23

- الإحتلال الإسباني لوهران و المرسى الكبير.....24

- وهران في ظل دولة الأتراك 27

- القضاء النهائي على النفوذ الإسباني بوهران 33

المبحث الثالث : الحياة العامة للمدينة .

- الحياة الإجتماعية 36

- الحياة الإقتصادية 36

- الحياة الثقافية 37

الفصل الثاني : الجامع الكبير بوهران (جامع الباشا) .

المبحث الأول : تاريخ جامع الباشا .

- تأسيسه 43

- التجديدات التي أدخلت عليه 47

المبحث الثاني : الدراسة الوصفية المعمارية .

- الصحن 49
- بيت الصلاة 54
- المئذنة 57
- الميضأة 57
- المباني الملحقة 58

المبحث الثالث : الدراسة الوصفية الفنية .

- القبة 60
- الأعمدة و الدّعامات 61
- العقود 63
- التيجان 64
- المحراب 65
- الدكّة 67
- المنبر 68
- المئذنة 71

الفصل الثالث : مسجد الباي محمد الكبير بوهران .

المبحث الأول : تاريخ مسجد الباي .

- تأسيسه 76

- التجديدات التي أدخلت عليه 81

المبحث الثاني : الدراسة الوصفية المعمارية .

- بيت الصلاة 84

- الصحن 85

- المئذنة 85

- بيت الوضوء 86

- الغرف الإضافية 86

المبحث الثالث : الدراسة الوصفية الفنية .

- القبة 88

- الأعمدة والعقود والتيجان..... 88

- المئذنة 89

- المنبر 90

الفصل الثالث : فنّ الزّخرفة .

المبحث الأوّل : الزّخارف النباتية 93

المبحث الثاني : الزّخارف الهندسية 99

المبحث الثالث : الزّخارف الكتابية 104

الخاتمة 108

الملاحق .

- ملحق الخرائط 113

- ملحق المخطّطات 119

- ملحق الأشكال 128

- ملحق اللّوحات 141

- قائمة البيبليوغرافيا 185

الفهرس 195